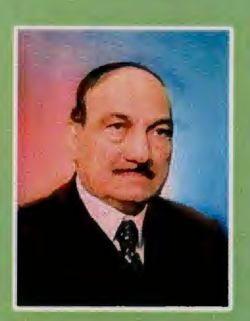
شاكر مجيد ناصر الشطري
SHAKIR AL-SHATRY

سِلسلة العَميد 21

تأريخ
الإمبراطوريّة الفَارسّية القَديمَة
وَمَراحِل حُكمُها فِي العِراق قَبل المِيلاد وَبَعدَه





شاكر مجيد ناصر الشطري

عميد متقاعد

هواياته: البحث في علم الأنساب العربية وعلم المصطلحات السياسية..

وله من المؤلفات المطبوعة:

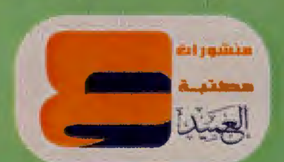


- قاموس العميد للمصطلحات السياسية
- تاريخ العرب والعشائر العراقية العربية والكردية
- وماذا بعد يا بغداد؟
- نساء في التاريخ
- أسماء ومسميات في تاريخ العرب قبل القرآن
- فطاحل شعراء العرب قبل القرآن
- أخبار أمهات المؤمنين رضي الله عنهن
- أخبار حياة أهل البيت عليهم السلام
- قاموس المعاني لأسماء العرب
- تاريخ العراق والعشائر العراقية (الجزء الثاني)
- القاموس السياسي العام
- قاموس المصطلحات العشائرية والنسبية للقبائل العراقية
- قبائل الجزيرة العربية أساس الحضارات البشرية
- أحداث في لسان التاريخ
- دليل المعرفة لأسماء ومسميات في التاريخ اليهودي
- جمهرة الأسماء اليهودية وأثرها في تحقيق الأهداف الاسرائيلية
- الأسفار اليهودية وأثرها في تحقيق الأهداف الصهيونية
- أعلام وأقلام دونها التاريخ
- جدلية العرب العاربة والعرب المستعربة في العقل والخلق في عربية القرآن الكريم
- تاريخ الإمبراطورية الفارسية القديمة ومراحل حكمها في العراق قبل الميلاد وبعده

وله عدة مؤلفات أخرى تحت الطبع



تصميم المهندس اركان هاشم البخاتي الموسوي
موبايل: 07702535359



تاريخ الامبراطورية الفارسية القديمة
ومراحل حكمها في العراق قبل الميلاد وبعده

شاكر مجيد ناصر الشطري

SHAKIR AL-SHATRY

سلسلة العميد/٢١

تاريخ الامبراطورية الفارسية القديمة ومراحل حكمها في العراق قبل الميلاد وبعده

منشورات مكتبة العميد

بغداد

رقم الإيداع في دار الكتب
والوثائق العراقية ببغداد
٢٥١٢ لسنة ٢٠١٤

الطبعة الأولى

٢٠١٥

البريد الالكتروني Shakiralshatry@yahoo.com
الموبايل: ٠٧٩٠١٣٣٦٨٩٠

تصميم الغلاف والإشراف الفني: المهندس أركان هاشم عباس
الموبايل: ٠٧٧٠٢٥٣٥٣٥٩
البريد الالكتروني:ahal١٩٨٥@yahoo.com

مكتب العين للطباعة والاستنساخ

الإهداء

إلى من:

حملت مع أسمي اسمه وربياني صغيرا...

والى من:

سهرت الليالي وبالروح تفديني واعطت من روحها لحياتي...

والى:

رفيقة دربي في السراء والضراء واعطت لي وأولادي من قلبها مـــا لا اعطي مثلها...

والى من:

التفوا حولي وأبعدوا عني وحشة الطريق وعناء الزمن فلذات اكبـــادي ونور عيني...

والى كل صديق وقريب يقرأ ويتفكر بأن العقل كالزناد كلمـــا أهمـــل لا يقدح ومثلما نغذي البطون نغذي العقول

إلى هؤلاء جميعاً أسألكم الدعاء...

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الناس ! إن الله تعالي أذهب عنكم نخوة الجاهلية وفخرها بالآباء، كلكم لآدم وآدم من تراب، ليس لعربي على أعجمي فضل إلا بالتقوى.

حديث شريف

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمة

الحمد لله الذي خلق آدم من سلالة من طين وأخرج منـــه ذريتـــه وجعلهـــم شعوباً وقبائل ليتعارفوا، وأصطفى منهم نبيه وحبيبه محمد ابن عبـــد الله القرشـــي الصادق الأمين وآل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه الغر الميامين.

وبعـــــــد:

من خلال تاريخ العراق القديم نجد ان أرض العراق كانت ولا تزال مطمع أنظار الدول القوية لأهمية موقعها الجغرافي والسياسي وثرواته الطبيعيـــة لـــذلك نرى يد الفاتحين قد تناولتها ولعبت بها مطامع المنتصرين منذ أقدم الأزمنة وحـــل بها في أكثر الأحيان من الويلات والنكبات والمصائب مالا توصف، ومـــن هـــذه المعارك القديمة المعروفة في تاريخ العراق منها تاريخ الدولة اليونانية في العراق سنة (٣١١-١٢٦ق.م)، عندما كان العراق من ضمن الممتلكـــات الامبراطوريـــة الفارسية، وعندما أنكسر الملك الفارسي (دارا) في واقعة (اربيلا) محافظة اربيـــل حالياً وقد هرب الملك الفارسي وترك جميع البلاد العراقية (وادي الرافدين) ومـــا فيها من أموال وخزائن مما سهل دخول الاسكندر مدينة أربيل ومنها ســـار إلـــى داخل الأرض العراقية قاصداً مدينة (بابل) وعندما دخلها خرج البابليون لاستقباله بثياب الفرح والاعياد وضرب الطبول وبدخوله سلمت له كـــل المـــدن العراقيـــة وخضع لحكم الاسكندر كل من كان في بادية مابين النهرين من القبائل وذلك ســـنة (٣٣١ق.م) ولم يمكث الاسكندر في بابل إلا قليلاً فسار نحو بلاد فارس فأفتتحهـــا وظل يطارد (دارا) حتى وجده قتيلاً بجوار (بلخ) وبموت الملك (دارا) انقرضـــت تلك الدولة العريقة صاحبة المجد والفتوحات وأصبح كل ما كان لها مـــن الـــبلاد والمستعمرات ملكاً لليونان. ثم قام الاسكندر بفتح قسماً من بلاد الترك وعاد إلـــى بابل ثم زحف نحو الهند سنة ٣٢٧ق.م ورجع ثانية إلى بابل سنة ٣٢٥ق.م، وبقي في بابل سنتين تقريباً من سنة ٣٢٥-٣٢٣ق.م، ولما حضرته الوفاة اجتمع برجال دولته وسألوه عن الذي يخلفه فقال (خليفتي عليكم اجدركم برعاية الملك ثم نـــزع

خاتمه وسلمه إلى (برديكاس) قائلاً: هذه لمن به الكفاءة ومات ذلك القائد الكبير وكانت مدة حكمه أثني عشر سنة تقريباً، وكانت وفاته في القصر الشرقي الذي بناه بختنصر ببابل على ضفة الفرات عند الجسر ولم يترك ورائه غير أمه (ليمياس) واخيه (أريديه) وزوجتين احداهما ابنت الملك الفارسي (دارا) ودفن في بابل ثم نقلت جثته إلى مصر من قبل (بطليموس) ودفنها في منفيس حسب وصيته ثم نقلت الجثة مرة اخرى إلى الاسكندرية في أيام خلفه ويذكر المؤرخون انه على الأرجح مات الاسكندر مسموماً عام ٣٢٣ق.م، ولا يخفى على القارئ المتتبع بتاريخ الأمة الفارسية نجد أنهم كانوا من أقدم أمم العالم وأشدها شوكة في الحروب والفتوحات وهم من الشعوب الآرية وقد نزلوا أرض تدعى أرض العجم وأطلقوا عليها ايران وهم أقدم من خالط العرب من الأمم وأقدم من ساد وحكم العرب قديماً، ومن أجل ذلك كانت بين الأمتين العربية والفارسية منافسة شديدة وخاصة أيام الدولة الساسانية ولم يشتركوا مع العرب في دين واحد إلا عند ظهور الإسلام فكانت مدة حكمهم للعراق (١١٤١سنة ق.م) مدة حكم الفرس و (١٧١٦ سنة) مدة حكم العرب قبل الإسلام وبعده (٦٠٦٠سنة) مدة حكم المغول والتركمان واليونان والاتراك وعلى هذا الاساس تكون مدة الدول التي حكمت العراق منذ سنة (٧٠٠٠ق.م) إلى سنة (١٩١٧م) تقدر (٨٩١٧ سنة) حسبما ورد في مصادر ومراجع التحقيق المرفقة في أخر الكتاب. كان الفراغ في مكتبة رابطة تحقيق الانساب لهذا التاريخ الفارسي حافزاً مؤثراً دفعني لإعداد وتأليف هذا الكتاب لسد الفراغ وإغناء الحاجة للباحث في تاريخ العراق عسى ان يكون مفيداً ومرشداً لكل عربي آمن بوحدة أمته وعمل من أجلها واستعذب الموت في سبيل استعادة أمجاد أمته العربية لإعادة بناء دولته من المحيط الاطلسي إلى الخليج العربي لتخليص وطنه من الاستعباد والاستغلال والانحلال لبناء مجتمع الكفاية والعدل مجتمع الرخاء والازدهار والحرية والله من وراء القصد.

المؤلف

شاكر مجيد الشطري

توطئـــــة

لغرض تحقيق الغاية المتوخاة لمعرفة مراحل حكم الامبراطورية الفارســية القديمة لوادي الرافدين (العراق) التي حكمت قروناً عديدة وفي أزمان مختلفة قبــل الميلاد وبعده وهذا ما يحتاجه النشأ الجديد من الشباب العربي لمعرفة تاريخ بلاده لذا يتوجب علينا لسهولة البحث أن نقسم مراحل حكم الدولة الفارسية القديمة إلـــى ثمانية مراحل وكما يلي:

١- الدولة العيلانية (الدولة الفارسية الأولى) في جنوبي العراق (٢٢٩٥-٢٢٨٧ق.م).

٢- الدولة الكيانية (الدولة الفارسية الثانية) في العراق كله (٥٣٨-٣٣١ق.م)

٣- الدولة البرتيه (الدولة الفارسية الثالثة) في العراق كله (١٢٦-٢٢٦ ب.م).

٤- الدولة الساسانية (الدولة الفارسية الرابعة) في العراق كله (٢٢٦م-٦٣٧م).

٥- الدولة البويهية (الدولة الفارسية الخامسة) في العراق كله (٩٤٥م - ١٠٥٥م).

٦- الدولة الصفوية الأولى (الدولة الفارسية السادسة) في العراق كله (١٥٠٢م -١٥٣٥م).

٧- الدولة الصفوية الثانية (الدولة الفارسية السابعة) في العراق كله (١٦٢٠م -١٦٣٨م).

٨- الدولة الزندية (الدولة الفارسية الثامنة) في العراق كله (١٧٦٨م - ١٧٧١م).

فيكون المجموع الكلي لمدة حكم الفرس في العراق ما يقدر بـــ(١١٤١ســنة) (أنظر التفاصيل في الجدول رقم/١ المرفق في الكتاب).

تمهيد:

مازالت حلقات السقوط في الأرض العراقية منذ القدم تشهد تداعي الكراسي وتساقط رقاب البعض تتدحرج بالسيوف وتسميل العيون وتسميم الابدان، ولاتـزال سمة حكام العرب قبل الإسلام وبعده تحول الدولة إلى اقطاعيات عائليـة وتقسم المدن والاحياء على الأبناء والأحفاد وخزينة بيت المال حُصصاً للوراثـة والـى وعاظ السلاطين، وليس الاستغراب في هزيمة الحكام والمتخاذلين وإنما الدهشة أن لا يتعض عشاق المناصب والكراسي وعبيد السلطة من حكم التاريخ الذي لا يرحم والأكثر دهشة إن الشعب العراقي لا يتعض من أن يصبح مخدوعاً لمرات عديـدة وهو يردد في كل مناسبة المؤمن لا يلدغ من حجر مرتين.وقد نعترف بأن شـعبنا الطيب بطيء التغير سريع الفرزنة وبطيء الاستجابة ولا يكترث لدروس الماضي وقد مرت أمتنا العربية المجيدة بفترات طويلة منذ سقوط بغداد على يـد هولاكـو عام ١٢٥٨م، والعراق لايزال يمر بعدة احتلالات متكررة وبمسميات مختلفة فـي سبات طويل حتى غاصت الركب ومايزال الحكام العرب يصرون علـى ارتـداء الحزام اللاصق على الكراسي حتى صار جزءاً من أعضائهم، ولكن ما لم يدركـه الطغاة والمتخاذلين بحق أوطانهم وشعوبهم أن الزمن يُعري أجسادهم ويسقط مـن على جلودهم ورقة التوت ليمشوا عُراة تحت طائلة النهاية المحتومـة والحزينـة المضحكة المبكية على لسان التاريخ وللتاريخ لسان فيه الموعظة والعبرة لأولـي الألباب وسيبقى الأمل معقوداً على الأجيال الصاعدة واللاحقة لتغيير الواقع الألـيم والأمل المفقود وربما كلمة تغيير مسار التاريخ. أرجو أن أكون بعد هذا قد وفقـت للوصول إلى الغاية التي آمل أن نستمد منها قوة الايمان وقوة البناء لمستقبلنا الذي نتطلع إليه ونعمل جاهدين على تحقيقه والحمد لله رب العالمين والصلاة والـسلام على خير خلق الله محمد صلى الله عليه وآله وصحبه المنتجبين.

تاريخ الفرس القديم

يطلق الفرس على بلادهم أسم (ايران) وهي كلمة مشتقة من (أريان) الاسم الذي اطلق على أول من سكن وعاش في هذه الأرض التي كانت تدعى (بلاد العجم) وقد أنقسمت ايران في الازمنة الغابرة إلى قسمين، القسم الاول أطلق عليه (فارس القديمة أو بلاد العجم) وتقع في الجنوب الغربي وهي بلاد الجبال والصحارى والوديان الخصيبة المنعزلة التي يمكن فيها زراعة المحاصيل، وفي القسم الثاني الشمال من فارس القديمة تقع مملكة (ميديا) المنافسة التي تظم امبراطورية واسعة استولى عليها (الميديون)[١]، من الآشوريين. وفي حوالي سنة ٥٥٠ق.م، استطاع (كورش) اول ملوك فارس القديمة أسر الملك (استياجس) ملك ميديا وبذلك فرض سيطرته على الامبراطورية (الميدية) وفي ذلك الوقت كان للفرس عدوان كبيران وهم (الليديون) في الغرب والبابليون في الجنوب وكانت ليديا تقع فيما يعرف اليوم بقرب تركيا، وفي سنة ٥٥٠ق.م، كانت بحكم موقعها الجغرافي تقف بين امبراطورية فارس النامية واليونان فاذا تمكن كورش من الاستيلاء على ليديا فأن الطريق سيكون مفتوحاً امامه لغزو بلاد اليونان وفي سنة ٥٤٦ ق.م، انهزم قارون ملك ليديا ومن ثم أصبحت ليديا والمستعمرات الاغريقية تحت حكم الفرس وقد كان قارون واحداً من أغنى ملوك العالم وتحوي بلاده العديد من مناجم الذهب وحتى اليوم تضرب به الأمثال في الثراء والغنى فيقال عن الغنى انه (غني مثل قارون) كان حلم كورش ان يقهر مملكة بابل على الرغم مما يقوله

---

[١] الميديون: سكان مديا أو ميديه أو بلاد ماري ويقال ماوي وهي التي عرفت اخيراً باذربيجان والعراق العجمي معاً أقسامها شهرزور وحلوان وهم الميديون من الجنس الاري اخوان الفرس والافغان والارمن وغيرهم من الآريين ومن بقاياهم الاكراد استولى عليها كورش وصارت جزءاً من بلاد فارس.

الناس بان بابل لايمكن ان تهزم إذ فيها من مخازن الطعام مايكفي للصمود امام أي حصار حتى لو طال عشرات السنين.

وفي سنة ٥٣٩ق.م، تقدم كورش نحو المدينة التي لاسبيل إلى اختراقها وذات ليلة بينما كان سكان المدينة منصرفين إلى حفل أقيم لهم في أحد القصور الفخمة مما دفع كورش وبعض رجاله الاشداء الاندفاع لمسافة قصيرة في نهر الفرات وقام بهدم جسور النهر وحولوا مجراه إلى منخفض قريب وبذلك سبب توقف تدفق مياه النهر واستطاع رجاله إلى الزحف على طول قاع النهر الجاف إلى داخل المدينة واستولوا عليها تماماً مما حقق المفاجئة والمباغتة ضد أعدائه وبعد فوات الامان تنبه الحاكم البابلي المدعو (بك زاد) إلى نبوءة هزيمة بلاده كما ورد في سفر (دانيال-الاصحاح/٥ -الآية من ٢٥-٣١) ولكن سكان بابل عوملوا معاملة حسنة مما كسب ودهم ورضاهم ونودي بكورش ملكاً على بابل وأصبح يلقب (ملك العالم ملك بابل) مات كورش سنة ٥٢٩ق.م، ودفن بالمدينة الملكية (باسارجاديا) وقد خلفه من بعده في الحكم ولده (قمبيز) وكان هذا ملكاً فظاً وعنيداً ولكنه كان موفقاً في حكمه خلال السنوات السبع لحكمه مما أضاف إلى الامبراطورية الفارسية كلاً من فينيقيا وقبرص ومصر. بعد حوالي سبعة سنوات من الحكم والانتصار ثم مالبث الملك الفارسي قمبيز إلا ان جن وقتل سنة (٥٢٢ق.م) وتولى من بعده ولده (دارا الملقب بدارا الاول الذي كان يأخذ الاتاوات من مستعمراته في بحر أيجه ولكن هذه المستعمرات رفظت تقديم هذه الاتاوات فأرسل دارا مبعوثاً إلى مستعمراته وطلب ان يبعثوا له من هناك (ماءً وتراباً) من أرضهم ولكن سكان المستعمرات في بحر أيجه رفضوا ذلك إذ رأوا ان ذلك رمز لاستسلامهم لأن الماء والتراب رمز الوطن فقتلوا رسل الملك (دارا) وألقوا بهم في بئر بعد ان قالوا لهم هناك في البئر التراب والماء وعلى أثر ذلك أرسل دارا

أسطولاً إلى بحر أيجه ولكن ريحاً عاتية أغرقت الاسطول ومن فيه من قوات دارا بالقرب من جبل (أثوس) على الساحل وبعد سنتين أرسل الفرس أسطولاً أخر أضخم من سابقه وتوجه إلى بحر أيجه بالقرب من (ماراثون) وما ان سمع الاثنيون بوصول الاسطول الفارسي حتى أرسلوا جيشاً قوامه عشرة الاف مقاتل وأحاطوا بسهل ماراثون(١)، وأشتبك الجيشان فهزم الفرس وأدركت المدن اليونانية ان عليها ان تتوحد ضد الاعداء الغزاة فوضعت معاهدة اتحاد سميت (العصبة الدليانية) وبعد وفاة الملك دارا تولى الحكم من بعده أبنه (اكساركيس) العرش وحاول الاستمرار فيما أهمله أبوه ففي سنة ٤٨١ ق.م، حشد جيشاً عظيماً واسطولاً ضخماً من جميع اجزاء الامبراطورية وبنى جسراً من الزوارق حتى يستطيع جيشه العبور من اسيا إلى اوربا ويقول (هيرودوت)(٢) ان الجيش الضخم قد استغرق سبعة ايام بلياليها في عبور (هيليسبونت) ولقد حفر كسرى قناة طولها حوالي ميلين بالقرب من قرية (نيا روده) ليتجنب شبه جزيرة (اثوس) حيث تحطم اسطول ابيه واثناء عبور الفرس ممر (ثرمويلي) ظهر لهم (٣٠٠) اغريقي معظمهم من اسبرطة تحت قيادة (ليو ثيداس) فحاربوهم بشجاعة حتى آخر رجل لكنهم عجزوا عن صد الفرس وبحلول صيف ٤٨٠ق.م. استولى الفرس على اثينا ولكن الاستيلاء على اثينا لم يكن نهاية للاغريق ففي المعركة البحرية عند (سلاميس) تحول التيار آخيراً في صالح الاغريق وهزم الفرس وهرب الملك الفارسي مع جيشه إلى الشمال تجاه (هيلوسبونت) وكان يراقب المعركة من تل

---

(١) ماراثون: أرسل الاثينيون احد العدائين الرياضين واسمه (فيدبيس) إلى اسبوطه طلباً للنجدة ومن هنا جاء اسم (سباق الماراثون للمسافات الطويلة). تخليدا لذكرى البطل اللاتيني الذي دافع عن مدينته بكل هذه البسالة والتضحية وكانت هذه المعركة في سنة (٤٩٠ق.م)

(٢) هيرودوت: مؤرخ اغريقي ولد باسيا الصغرى (٤٨٤-٤٢٥ق.م) ويعتبر أبو التاريخ.

مطل على البحر وكان قد خسر القائد الفارسي قضيته عندما هزم جيشه في معركة (بلاثاي) وبذلك أقلع الملك عن محاولته هزيمة الاغريق وأنصرف مع باقي جيشه لإكمال الانجازات وتعمير بلاده في (برسيبوليس) التي بدأها أبوه (دارا) وأخيراً قتل عام ٤٦٤ق.م. وكان مقتل (اكساركيس) علامة على بداية الافول والانهيار السريع لدولة فارس وتبع ذلك قرون من الفوضى وفي سنة ٢٣٠ق.م. دحر الاسكندر الأكبر الفرس في معركة (جوجاميلا) وقتل آخر ملوك فارس (كودومانوس)وهو في طريقه إلى (باكتريا) بعد هروبه من المعركة ومن ثم سقطت امبراطورية فارس بين يدي أعدائهم القدامى الاغريق.

الدولة العيلامية (الدولة الفارسية الأولى)

قديماً كانت أمة من الفرس تدعى بالامة العيلامية تسكن في الإقليم المعروف الآن (بخوزستان) المسمى قديماً ببلاد عيلام[1]، وكان لها منزلة رفيعة بين أمم الشرق وسماهم العرب (ببني غليم) وكانت الدولة العلامية محاطة ببلاد الكلدان وبلاد مادي (ميديه) وبلاد فارس وتحتوي على عدة مدن أشهرها مدينة (شوشن) أو شاشان القديمة[2]، عاصمة تلك المملكة إلا انها كانت احياناً تتوسع ومرة تتقلص واخرى تخضع لسيادة جارتها مملكة أور في جنوب العراق. ولمجاورتها لجنوب العراق كانت لها عدة روابط معها ولكنها لم تكن لتطمع في جارتها القوية حتى إذا ما ضعفت مملكة أور الشهيرة في التاريخ وشعر العيلاميون في أنفسهم قوة طمعوا بأرضها الخصبة الكثيرة الخيرات فحملوا عليها في القرن

---

[1] ويعرف بعربستان ولورستان وجبال البختارية وسماه العرب بلاد الاحواز وعرفه اليونان وتسمى (ديوس بوليتس) وهو اليوم جزء من الجمهورية الإسلامية الايرانية.

[2] ونسمي شوشن والسوس وستر وتستر وشوشتر وهي ششتر الحالية.

الثالث والعشرين قبل الميلاد وبعد حروب جرت بين الامتين استولى العلاميون على مملكة أور ودخلوا عاصمتها (أور) وآسروا ملكها (ابي سين) بن جبل سين آخر ملوك السلالة الثالثة لملوك أور وساقوه أسيراً إلى عاصمتهم شوشن واستولوا على جميع مدن تلك المملكة وقرضوها بعد ان كانت مستقلة في جنوب العراق وكانت أور حينذاك لها منزلة رفيعة عند العراقيين لعظم مركزها الديني والتجاري ومركزاً للصناعة والفنون وفيها هيكل (آنون ماخ للالهة القمر ورفيقته الذي تم تدميره في هذه المعركة واستولى العلاميون على جنوبي العراق أو على مملكة أور الكلدانيين بعد حروب دامت بينهم وبين الكلدانيين في الوقت الذي كان فيه العراق منقسماً إلى قسمين القسم الاول: الجنوبي المسمى بمملكة أور أو ببلاد الكلدان أو كلدو. والقسم الثاني الشمالي المعروف بمملكة بابل أو بلاد بابل[١]، وكان كل قسم مستقل بنفسه غير ان الجنوبي كان قد فاق الشمالي بالمدنية والعمران واشتهر بالتجارة والزراعة والفنون. وبعد ان نمى أمر تلك الأمة الفارسية في الجنوب حاولت الاستيلاء على الشمال ولكنها عادت بالفشل بعد ان تمكنت بمهاجمتها من دخول مدينة (اوروق) (الوركاء) التي هي من البلاد الشمالية أو من مملكة بابل الراضخة لحكم السلالة السامية أو الدولة البابلية الاولى التي أسسها سامورابي سنة ٢١٦٤ق.م. وقد نهبت كنوزها وآثارها من جملتها تمثال الالهة (نانا) شفيعة مدينة أوروق وأرسلت الجميع إلى شوشن وأودعت هذا التمثال في هيكلها وبقي جنوبي العراق في قبضة تلك الأمة القارسية لحين قدوم سادس ملوك الدولة البابلية الاولى أو الدولة السامية لعصر الملك حمورابي سنة (٢٢٨٧ق.م-٢٢٣٢ق.م) فحمل عليهم بجنوده وطردهم من بلاده ولم يكتف بذلك

---

[١] لم يطلق اسم كلدوا أو كلدانية أو بلاد بابل على جميع العراق إلا بعد ان أسس الملك (بنوبلاصر) الدولة البابلية الثانية سنة ٦٢٦ق.م.

بل طاردهم حتى دخل عاصمتهم شوشن ولم يعد لمفره إلا بعد ان أخضع عدوه لسيادته وأرجع تمثال الالهة (نانا) إلى هيكل مدينة أوروق ويقال في رواية اخرى أن آشور بانيبال ملك آشورية هو الذي استرجع صورة الالهة نانا إلى مقرها في اوروق (اوروك) حينما حارب العيلاميين وانتصر عليهم سنة ٦٤٥ق.م. هذا ماوجد من بين الابحاث التاريخية الحديثة المستند إلى الآثار المستخرجة من مواقع المدن العراقية القديمة غير ان المؤرخين قد اختلفوا في السنة التي استولى العلاميون فيها على مملكة أور غير ان الدولة العلامية لم تحكم جنوبي العراق غير مدة وجيزة فطردهم الملك حمورابي عندما قويت شوكته وملك العراق كله ولم يقف عند ذلك الحد بل انه اخضعهم لسيادته كما تقدم وليست هذه المرة الاولى التي خضع فيها العلاميون لملوك العراق بل انهم خضعوا مراراً لسيادة ملوك هذا القطر في أزمان مختلفة ومن ذلك ان الملك سرجون الاكدي السامي الذي ملك سنة ٢٨٧٢ق.م. كان قد ادخلهم تحت سيادته كما ان الملك (اناتوم) الذي ملك سنة ٣٩٠٠ق.م. وهو كان احد ملوك لجش حاربهم واخضعهم لحكمه علماً لم تكن ديانة العيلامين حينئذ تختلف عن ديانه الكلدانيين في شيء عن عبادة الكواكب والعبادة التي اتخذتها هذه الأمتان تماثيل وبنوا لعبادتها الهياكل العلمية في المدن وقد كان الاله شمسا (الشمس والاله القمر وغيرهما يعبدون في مدن العيلامين) كما يعبدون في مملكة أور وبعد ان ظل العراق مزدهراً في عهد الدولة البابلية الاولى التي جمعت شمله ووحدت كلمته وأعلت شأنه أنعكس الأمر عند سقوط تلك الدولة واضطربت شؤون العراق وأصبحت البلاد منقسمة على نفسها وصارت عدة ممالك أو دول صغيرة عديدة كل واحدة منها قائمة بنفسها وكثيراً ما كانت البلاد من سلالة إلى أخرى ومن بيت إلى أخر وبعد ذلك أشتد الخلاف بين أهل البلاد وطمع بهم أعدائهم فعاد العلاميون إلى طمعهم في جارتهم وأعلنوا الحرب

عدة مرات على أهل هذا القطر وشنوا الغارة على المدن العراقية في أزمان مختلفة ونهبوا بعض المدن وفتكوا بأهلها ومن تلك المدن نبور واوروق ومن ملوكهم الذين أغاروا على العراق الملك (شتروك ناخونتا) فإنه شن الغارة على هذا القطر سنة ١١٩٠ق.م. وغنم غنائم نفيسة من البلاد من جملتها شريعة حمورابي فإنه نقلها إلى عاصمة شوشن ولما أستحكم الشقاق بين أهل البلاد واختفت كلمتهم حمل عليهم الآشوريون[١]، وخضعوهم لسيادتهم وظلوا تحت سيطرتهم قروناً جرت في خلالها حوادث خطيرة وانقلابات غريبة حتى قامت الدولة البابلية الثانية التي أسسها نبوخذنصر ودامت (٦١١-٥٣٨ق.م) فتم لم الشمل وعاد العز والاقبال إلى هذا القطر وعلا شأنه في عهد الملك نبوخذنصر، غير ان شمس ذلك العز أفلت بظهور كورش الفارسي الذي قوض تلك الدولة بعد ان عاشت ٧٣ سنة تقريباً.

الدولة الكيانية

(الدولة الفارسية الثانية للعراق سنة ٥٣٨ -٣٣١ ق.م)

ظهر أرمر كورش الثاني الملقب بكورش الأكبر في أواسط القرن السادس قبل الميلاد سنة ٥٥٢ق.م. فنهض كورش الأكبر بقومه الفرس وأخضع الميديين والعيلاميين بعد ان دانت له فارس فتوج ملكاً وأصبح امبراطوراً على هذه الاقاليم

---

[١] كان الآشوريون تحت سيادة البابلين ولكنهم تمكنوا اخيراً من التخلص منها ثم قويت شوكتهم وصارت لهم دولة عظيمة أشتهرت في التاريخ وقام منهم ملوك عظام اخضعوا لحكمهم بلاد بابل وغيرها. أما أصلهم فإنهم فرع من أهل بابل أو الكلدان وكانوا قد نزحوا إلى ذلك القطر وظلوا قروناً تحت حكم الكلدان ثم استغلوا ادارياً وظلوا خاضعين لسيادة الكلدان حتى إذا ما ضعف أمر البابليين استغلوا تماماً ولم يمض زمن طويل حتى صارت لهم دولة كبيرة أخضعت عدة أقطار وخلدت لها ذكراً عظيماً في التاريخ القديم.

الثلاثة (فارس وميدية وعيلام) وأسس دولة الكيانين المشهورة وعلى آثر ذلك تحالفت مملكة بابل ومصر وليديا[1]، على هذا الفاتح فلم يغني تلك الممالك ذلك التحالف الثلاثي لأن كورش حمل بجيوش الفارسية على الليديين اولاً وقرض دولتهم سنة ٥٤٦ق.م، وتوغل في آسيا الصغرى إلى مملكته بلاد مستعمرة الاغريق التي كانت على شواطئ آسيا الصغرى ثم فتح بخارى ومرو وديار الافغان وبلوجستان ثم حول نظره إلى مملكة بابل فحمل عليها سنة ٥٣٨ق.م، بجيش جرار فخرج للدفاع بلطشاصر بن الملك البابلي (بنوناهيد) وبعد عدة معارك انكسرت في جميعها الجنود البابلية ووقع ابن الملك (بلطشاصر) قتيلاً في المعركة الآخيرة وانهزمت جيوشه وتحصنت في عاصمة الملك مدينة بابل فألقى الحصار عليها كورش بعد ان استولى في طريقه على مدن عدة وبعد حصار طويل دافع في خلاله البابليون دفاع الابطال استولى كورش على بابل عنوة وآسر الملك (نبوناهيد) وأهله وساقهم إلى كرمان ومات بعد ايام قليلة في الآسر وعلى آثر سقوط مدينة بابل عاصمة العراق سلمت جميع المدن العراقية لكورش في السنة نفسها سنة ٥٣٨ق.م، وانقرضت الدولة البابلية الثانية أو المملكة الكلدانية على يد الفاتح بعد ان دامت ٧٣سنة كما تقدم.

دخل كورش مدينة بابل كما يقول المؤرخون دخول منقذ ومصلح فلاقوه أهلها بالتهليل والتصفيق شأنهم مع كل فاتح فأظهر لهم الولاء والرقة والرأفة وعطف عليهم وبالغ في احترام دياناتهم وعاداتهم وأطلق لهم الحرية التامة في التنقل والعمل والدين وأبقى قوانين البلاد وشرائعها على حالها واقتدى بملوكهم

---

[1] ليديا تطلق على إقليم الاناضول الغربي وهي مقاطعة كبيرة فيها بلاد كثيرة وكانت عاصمتها مدينة (سارد) وقد استولى عليها كورش فجعلها عدة امارات ثم استولى عليها الاسكندر والسلوقيين والروم.

الأولين وقرب للالهة القرابين وقدم لهم التحف. وكورش على دين زردشت الذي ظهر بين القرن العاشر والسابع قبل الميلاد وهذا يدل على جانب عظيم من السياسة والدهاء وأتخذ لقب ملك بابل لنفسه وعمل كل من شأنه ان يجذب اليه قلوب البابليين ولم يخرب شيء من بلادهم وبقيت المدن جميعها زاهرة وعامرة ولم يشتهر كورش بسياسته الرشيدة ومراعاته لعواطف الشعوب بل انه أشتهر بتنشيط التجارة وتوسيع الزراعة كما أشتهر بالفتوحات والانتصارات لذلك تمتع أهل العراق في عهده بالحرية التامة وكثرت ثروات بلادهم وحفر لهم الترع والانهار ومابثه من العدل والأمن في أنحاء البلاد وبعد ان ثبت حكمه في العراق أناب عنه نائباً فيها أحد قواده وسار بجيوشه قاصداً سوريا فأفتتحها ثم فتح فلسطين سنة ٥٣٦ق.م، واصدر أمرً باطلاق حرية اليهود الاسرى في بابل من عهد الملك بختنصر وأذن لهم بالرجوع إلى وطنهم اورشليم وبناء الهيكل وولى على فلسطين (زربابل) أحد أحفاد (يهوياكيم) ولقبه بلقب (الحاكم) فسار من العراق نحو الستين ألفاً منهم إلى وطنهم واختارت جماعة منهم السكن في العراق ومات كورش ذلك الفاتح العظيم والسياسي سنة ٥٢٩ق.م، ودفن في عاصمته شوشن.

الدولة البرتية

الدولة الفارسية الثالثة في العراق

(١٢٦- ٢٢٦) بعد الميلاد

عندما ضعفت الدولة السلوقية اليونانية التي قامت على أنقاض دولة الاسكندر الذي فرض الدولة الكيانية أغتنم (البرتيون) من سكان البلاد الجبلية في شرقي بحر قزوين الذين كانوا سابقاً خاضعين للآشوريين والميدين والفرس ثم للاسكندر الكبير ثم للسلوقيين الفرصة لضعف الدولة اليونانية نهض فيهم زعيمهم

المدعو (أرشك) او (ارشاق) فأجتاح بقومه بلاد البرتين سنة ٢٥٠ق.م، وخرج على السلوقيين ثم أعلن استقلاله سنة ٢٤٨ق.م، وأسس الدولة البرتية[١] تيمناً لاسم إقليمهم الأصلي وهو (برتيه) وهي خراسان الحالية وعرفت أيضاً بالدولة الأرشكالية نسبة الى زعيمهم ومؤسس دولتهم أرشك ومات في السنة التي أعلن استقلاله فيها بعد ان حكم لمدة سنة واحدة ويقال مات قتلاً وانه من نسل دارا وظل اعقابه يوسعون مملكتهم بما كانوا يفتحونه من بلاد الدولة السلوقية اليونانية حتى أصبحت دولته واسعة الأطراف ثم حملوا على العراق سنة ١٤٣ق.م، وبعد حروب استمرت أعواماً بين تلك الأمتين البرتيون واليونان حتى احتل العراق سنة ١٢٦ق.م، في عهد ملكهم (مهر داد السادس) (١٧٥-١٢٦ق.م) وأتخذوا مدينة سلوقية التي بناها سلوقس الأول اليوناني على الضفة اليمنى من دجلة عاصمة لهم بعد ان فتكوا بأهلها لتحزبهم للسلوقيين ثم بعد ذلك بنوا مدينة جديدة لهم سموها (قطيسفيون) وجعلوها عاصمة لهم بدلاً من سلوقية وعند الفتح الاسلامي سماها العرب طيسفون وسماها اليونان (اكتيسيفون).

فكان نظام حكومة البرتين ونظامهم مختلف باختلاف الأقوام والأقاليم وكانت دولتهم تنقسم الى مماليك صغيرة ومقاطعات مستقلة ولكن لكل واحدة منها ملك يحكم عليها ويخضع للملك البرتي المقيم في المدينة العاصمة (اكتسيفون) وهي أشبه بالولايات المتحدة ومن تلك الممالك الصغيرة التي كانت في العراق إمارة (ميشان) التي كانت في البصرة وإمارة (حطارا) في تكريت وإمارة (حديلي) في وإمارة الحيرة والتي كانت في ابي صخير وهي حكومة عربية أسسها (مالك بن فهم المتوفي سنة١٣٨م).وهو أول ملك على العرب بأرض الحيرة أصله من

---

[١] البرتية: عرفت بهذا الاسم نسبة إلى اقليمهم الأصلية برته وهي خراسان الحالية وعرفت أيضاً بالدولة الارشكالية نسبة إلى زعيمهم (أرشك) واستقل ببلاد فارس كلها سنة ٢٥٥ ق.م.

قحطان هاجر من اليمن بعد سيل العرم مع قومه فنزل بالعراق وابتنى بستاناً في الحيرة وعاش فيها نحو عشرين سنة حتى قتله سلمة بن مالك غيلة[1].

وبعد ان تم أمر الدولة البرتية في بلاد بابل أطلقوا لأهلها الحرية التامة في كل شيء وابقوا قوانين البلاد وشرائعها على ما كانت عليه قبلاً ولم يعترضوا بدياناتهم وعباداتهم ومنحوا لبعض المدن استقلالاً إدارياً وبعضها استقلالاً سياسياً ولكنهم جعلوا على العراق حاكماً عاماً فارسياً يدير شؤون تلك المدن المهمة تحت اشراف الملك البرتي المقيم في اكتيسيفون، وفرضوا على كل مدينة ضريبة سنوية تؤديها للحكومة المركزية وبذلك تمتع العراقيون بالحرية التامة وعمرت بلادهم وكثرت ثروتهم ولم يكن عند البرتين أي فرق بين دين وآخر ولا تعصب حتى دينهم الزردشتي الذي كانوا عليه، إلا انه كانت تحدث بين ملوك سوريا وبين البرتين الملوك بعض الحروب التي كاد يتطاير بعض شررها على أبناء الرافدين. ولكن البرتين حاولوا التسلط على سوريا كما حاول السلوقيين اليونان ملوك سوريا الذين طردوا من العراق حاولوا أرجاع العراق فسببت تلك المطامع حروب دامت أعواماً طوالاً خسرت فيها الدولتان خسائر فادحة أصيب بسببها أبناء الرافدين ببعض النوائب، ولما انقضى عهد السلوقيين في سوريا سنة ٦٤ق.م، وقام فيها الرومانيون طمعوا في العراق كما طمع البرتيون في سوريا فامتدت من أجل ذلك بينهم الحروب وأكثرها كانت تقع فيما بين النهرين ولكنها كانت في أول الأمر سجالاً بين الأمتين ثم صار النصر حليف الرومان وحمل طريانوس الإمبراطور الروماني سنة ١١٤م بجيش كبير على البرتين في ايام الملك خسرو الذي سماه

---

[1] أنظر المزيد في المختصر في أخبار البشر ٦٩/١ ومروج الذهب ١٨٢/٣ وتاريخ اليعقوبي ١٦٩/١ ونهاية الادب ٣١٥/١٥ وجمهرة الانساب ٣٥٨ والسبائك ٧٥ والعرب والعرب قبل الاسلام ١٧٣.

بعضهم (ارشاق الرابع والعشرين) فانتصروا عليهم وتوغل الإمبراطور في بلادهم حتى استولى على سواحل دجلة من جبال ارمينيا إلى خليج فارس سنة ١١٥م واستولى على سواحل مدينة سلوقة واكتسيفون وغيرها من مدن العراق وزعزع أركان الدولة البرتية وكاد يقضي عليها إلا ان الملك البرتي خسروا تمكن أخيراً من جمع جيوشه المتفرقة وحمل على الرومان وأخرجهم من بلاده فعادوا بالفشل ولم تمض أعوام قليلة حتى عادت الحرب بين الدولتين سنة ١٦٤م، فأنتصر الروم أيضاً وتوغلوا في العراق وحاصروا عاصمة الملك اكتسيفون سنة ١٩٥م، وعادت الحرب فأندحر البرتيون وتقدم الرومان في العراق وتمكنوا من الاستيلاء حرباً على اكتسيفون فنهبوها وظل البرتيون تارة ينتصرون على الروم وأخرى يندحرون أمامهم ومرة يعقدون الصلح معهم حتى انقضت أكثر مدتهم في نزاع وحروب عدا ما كان يحدث أحياناً من الفتن الداخلية التي كانت تقوم تارة بين الأسرة المالكة لتنازعهم على الملك وأخرى من الشعب فيختل النظام وتضطرب أمور المملكة وتؤدي ذلك إلى خلع الملك او قتله وأخذت الدولة تنحط عاماً فعاماً وزالت هيبتها وطمع بها الأعداء وكان أخر ملوكها اردوان الرابع (٢١٦-٢٢٦م).

وعندما جلس اردوان الرابع على العرش كانت الدولة قد أنهكتها الحروب الخارجية والفتن الداخلية كما تقدم ذكره فأغتنم الرومان فرصة تلك الفتن والاضطرابات المتوالية حتى حمل الإمبراطور الروماني (قراقلا) على مابين النهرين سنة ٢١٦ ثم خلفه (مرقيا نوس) سنة ٢١٧م صلحاً مع اردوان ولكن الدولة البرتية لم تكد تستريح من الحروب الخارجية حتى ثار الفرس سنة ٢٢٤م بزعامة اردشير بن بابك من آل ساسان وكان من كبار القواد في تلك الدولة وعزم على محو تلك الدولة التي حكمتهم مدة خمسة أجيال فاندحرت جيوش اروان الرابع وأعلن اردشير ملوكيته المستقلة في منطقة باخترا وسمى نفسه ملكاً وبعد ان

انتصر اروشير انتصاراً باهراً بعد ان مزق جيوش الدولة البرتية وافتتح العـراق وغيره من الأقطار التي تحت حكمهم فدخل عاصمة الملك اكتسيفون سـنة ٢٢٦م، واستولى على جميع ما كان لتلك الدولة البرتية وانهزم الملك البرتي اروان الرابع الى جبال ارمينيا وقتل في أحد المعارك الأخيرة فانقرضت تلك الدول البرتية التي أسسها (أرشك) بعد ان دامت ٤٧٤ سنة من (٣٧٣-٢٤٨م) وضمت مدن إيـران الحديثة وأكثر بلاد الأفغان وقسماً من تركيا، واسيا وأقاليم أخرى مـن ألأمـلاك الروسية والعراق وبلاد آشور وبلاد مادي من ضمنها كردستان وبـلاد مـا بـين النهرين (الجزيرة) وحكمت العراق نحو ٣٥٢ سنة وعدد ملوكها الـذين حكمـوا العراق (٢٠) أولهم مهرداد السادس وآخرهم اروردان الرابع كانوا يلقبون بألقـاب كما لقبوا ملوك الروم بالقياصرة وكما كان الساسانيون يلقبون بالأكاسرة.

الدولة الفارسية الرابعة في العراق

(الدولة الساسانية)

الدولة الساسانية او ما يطلق عليها الفارسية الرابعة سـنة (٢٢٦-٦٣٧م)، عندما استولى الملك الفارسي اردشير بن بابك على العراق بعد ان قـضى علـى الدولة البرتية وأسس الدولة الساسانية او دولة الأكاسرة الشهيرة في التـاريخ قـام بتنظيم إدارة البلاد العراقية وولى عليها الولاة ولم يتعرض بديانـة العـراقيين ولا بعاداتهم واقر قوانين البلاد على حالها ولكنه اضطهد اليهـود بـسبب مـساعدتهم للبرتين أثناء الحروب التي قامت بينه وبين البرتين في العراق وأقر على الحيـرة وما يليها ملكاً على العرب[1]. وبقي العراق في هدوء حتى مـات اردشـير سـنة

[1] الملك العربي جذيمة الوضاح الذي كان مخالفاً له قبل فتح العراق.

٢٤١م، بعد ان حكم خمسة عشر سنة (٢٢٦-٢٤١م) ومات هذا الفاتح والدولة الساسانية التي أسسها في دورة التأسيس ولم يفتح بعد العراق غير بلاد ما بين النهرين التي أعلن الحرب من أجلها على الروم في عهد القيصر (الكسندر سويروس) وأخذ منه جميع تلك البلاد ثم وسع حلفاؤه الملك بفتوحات جديدة حتى صارت هذه الدول من أعظم دول الأرض في تلك الأزمنة. وتولى بعد اردشير الأول ابنه شابور الأول (٢٤١-٢٧٢م) الذي أدخل القسم الأعظم من جزيرة العرب تحت حماية الفرس وبنى في العراق مدينة تكريت التي صارت بعد حين مركزاً لليعاقبة النصارى وظهر في أيامه (ماني) المشهور الذي أدعى النبوة في بلاد فارس وشابور هذا هو الذي أسر ملك الروم قيصر وأرسله أسيراً الى بابل بعد حروب شديدة استمرت أعواماً بين الدولتين ولكنه أندحر أخيراً أمام (أذنيه الثاني) العربي ملك تدمر الخاضع لسيادة الرومان حتى استردت منه باسم الرومانيين جميع بلاد الجزيرة وظل يطارده حتى دخل العراق وحاصر مدينة سلوقة سنة ٢٦١م، ثم رجع بمن معه من جيوش العرب والروم لاختلال حدث في المملكة الرومانية.

وتولى بعده ابنه (هرمز) الأول سنة ٢٧٢م، ثم بهرام الأول سنة ٢٧٣م، وهو الذي قتل ماني وسعى في محو مذهبه من بلاد فارس وأعلن الحرب على الروم فأنخذل أمامهم فطاردوه الى العراق واستولوا على مدينتين سلوقة واكتسيفون ثم رجعوا الى ما بين النهرين وخلفه بهرام الثاني سنة ٢٧٦م. ثم بهرام الثالث سنة ٢٩٣م، فلم يملك غير أربعة أشهر فتولى في السنة نفسها نرسي بن بهرام الثاني وهو الذي حفر في العراق بنواحي الكوفة نهر الترس الذي يأخذ من الفرات وهذا النهر هو الذي كراه الحجاج بن يوسف أمير العراق في عهد الأمويين فسمي نهر النيل وفي أيامه جعل نهر الخابور حداً فاصلاً بين العراق

والروم او بين المملكة الفارسية والمملكة الرومانية آنذاك وتولى بعده هرمز الثاني سنة ٣٠٢-٣٠٩م، وفي كل هذه المدة لم يحدث في العراق أي اضطراب أو احتلال. وعندما تولى شابور الثاني بعد هرمز الثاني سنة ٣٠٩ ولصغر سنه نصب الفرس وصياً عليه ليتولى شؤون المملكة فساءت الأحوال بادئ بدء وكثرت الاضطرابات في المملكة حتى طمع العرب فيها وجاء منهم عدة قبائل من البحرين وغيرها عبروا خليج فارس وأخذوا يشنون الغارات على الأطراف وأغارت قبيلة اياد على سواد العراق ونهبت وغنمت وظل العراق أعواماً وخصوصاً اياد معادين للفرس لا يقاتلونهم فلما بلغ شابور السادسة عشر تسلم زمام المملكة بدء بأعدائه القريبين منه وهم العرب الذين في العراق فتعمد أذاهم واخراجهم من بلاده وخصوصاً قبيلة اياد التي قال فيه شاعرها:

على رغم سابور بن سابور أصبحت قباب اياد حولها الخيل والنعم

وعلى هذا الوضع الحاقد ضد العرب تمكن شابور من الفتك بالعرب فقتل من اياد ومن تميم عدداً كبيراً وشنت جيوشه حملات إبادة ضد العرب ففر بعضهم الى الروم وبعضهم الى البحرين وغيرها فطارد سابور من في البحرين فقطع الخليج الفارسي وفتك في البحرين واليمامة ثم سار الى الإحساء والقطيف وفتك بهم ثم عاد وحمل على ديار بكر ومن يخالف يخلع الاكتاف فأراد العرب الذين فروا الى الروم ان ينتقموا من سابور فاتفقوا مع الروم في عهد الملك (قسطنطين الأكبر) وزحفوا معهم على الجزيرة فأتسع الخرق عبر الجزيرة وجرت بين سابور وبين الروم عدة وقائع أنهزم في أخرها الفرس فطاردهم الرومان والعرب حتى استولوا على مدينتهم اكتسيفون وغنموا ما فيها فأضطر الملك الفارسي الى تأليف جيش جديد فتمكن من استرداد المدينة حتى أخرجهم من العراق وطاردهم حتى

اضطر الروم الى مصالحته وإرجاع مدينة يصيبين له، وعندما تولى عرش الروم (يوليانوس) حمل على الفرس سنة ٣٦٣م، وعبر نهر دجلة وتوغل في البلاد حتى أقترب من اكتسيفون فلقيته جيوش شابور وبعد معارك هائلة انكسرت الجيوش الرومانية وقتل ملكها. علماً ان اضطهاد سابور لم يكن قاصراً على عرب البادية بل شمل سكان المدن ومنهم النصارى الذين كانوا منتشرين في المدن العراقية وكذلك أصدر أمر بمضاعفة الجزية ثم قتل الأساقفة وهدم الكنائس ومن جانب أخر قام ببناء مدينة الانبار وبنى مدينة الوس وقضى على دولة الضجاعمة العربية واستولى على مدينتها الحضر وتولى من بعده اخوه اردشير الثاني سنة ٣٧٣م، ثم خلع سنة ٣٨٣م، وأجلس مكانه شابور الثالث ثم بهرام الرابع سنة ٣٨٨م، وفي أيامه أغار الهوينون على ارمينيا سنة ٣٩٦م، ثم على ما بين النهرين وسوريا واستولوا على بلاد كثيرة ثم حملوا على العراق حتى اقتربوا من اكتسيفون فحمل عليه بهرام بالسبايا الذين سبوهم من بلاد الروم وكانوا حوالي الثمانية عشر ألف نسمة فأعاد بعضهم الى بلادهم وأسكن بعضهم العراق سنة ٢٩٩م، وبعد ذلك تولى يزد جرد الأول الملقب الاثيم سنة ٣٩٩م، وكان يحب العرب ويكرمهم وكان لملك النعمان الأول عنده منزلة رفيعة حتى ان اينه بهرام أعطاه وهو طفل للنعمان كبر ليربيه في الحيرة لطيب هواءها وعذوبة ماءها فرباه النعمان أحسن تربية وعلمه الكتاب والحكمة والرمي والفروسية وكل ما يلزم للملوك وبنى له قصراً فخماً وبقي عنده حتى مات أبوه.

وفي عهده أضطهد الفرس النصارى إلا ان أبنه بهرام الخامس أو بهرام جور سنة ٤٢٠م، وهو الذي رباه النعمان ملك الحيرة وساعده على لبس التاج لأن الفرس اختلفوا فيمن يملكون عليهم من أولاد يزدجرد الأول الذين ثارت بينهم الفتن عند موت أبيهم فاستنجد بهرام بالنعمان فجهز لنصرته جيشاً كبيراً من العرب

وسار به الى اكسيفون وأجلس بهرام على كرسي المملكة وعلى هذا رفع منزلة ملك الحيرة على سائر رجال دولته فأعتلى شأن العرب في عهده وتولى بعده يزدجرد الثاني سنة ٤٣٨م، ثم هرمز الثالث سنة ٤٥٧م، فنازعه أخوه الأكبر فيروز على (الملك) واستنصر بالهياطلة[1]. فأمده ملكها بثلاثين ألف مقاتل فحارب أخاه حتى استولى على العرش بعد ان قتل أخاه سنة ٤٦٠م، فلما قاتل الروم سنة ٤٨٤م، قتل هذا الملك أثناء المعارك فخلفه (بلاش) باني مدينة (ساباط) بالقرب من *اكتسيفون فنازعه أخوه فصفى الجو لقباذ وجلس على العرش سنة ٤٨٨م، وفي* أيامه ظهر (مزدك) الذي يحمل أفكار سياسية غريبة في ذلك العصر فيما يشبه الأفكار الشيوعية كما يذكر ذلك الأستاذ علي ضريف الاعظمي في كتاب تاريخ الدول اليونانية والفارسية في العراق وحاول مزدك نشر هذه الأفكار في بلاد فارس وتبعه الملك قباذ وساعده عند نشر مذهبه في المملكة الفارسية حتى كادت ان تسري هذه الأفكار الى العراق وأمر الملك قباذ جميع الولاة والحكام والموظفين باتباع هذا المذهب فأتبعه فريق منهم طوعاً وآخرون كرهاً وأبى بعض اتباعه منهم المنذر الثالث ملك الحيرة فعزله قباذ وولي على الحيرة كنده الحارث بن عمرو عدو المنذر فلما زاد تعصب قباذ للمذهب ما يسمى (الشيوعي) أتفق عظماء الفرس على خلعه فخلعوه وحبسوه سنة ٤٩٦م، وأجلسوا مكانه أخاه (زماسب) (جامسب) وبعد قليل فر قباذ من الحبس بمساعدة أخوته وسار فألتجأ بالهياطلة او البرابرة وهناك استنجد بملكهم فجهز له جيشاً كبيراً وأنظم اليه أتباع مزدك فزحف قباذ على أخيه وبعد حروب قهره وعاد الى العرش ثانية سنة ٤٩٨م، ولما عاد الملك قباذ ورأى الفرس قد غضبوا عليه بسبب أتباعه لمذهب مزدك الفوضوي تركه وتظاهر بالمجوسية وهو الذي جعل الخراج بالمساحة في العراق بعد ان كان

---

[1] الهياطلة: بلاد خلف النهر الاعظم مما يلي ارض بلخ.

الخراج بالمقاسمة فبلغت جباية العراق في أيامه (١٥٠) مليون درهم في السنة حيث كانت بلاد العراق زاهية بالبساتين والحدائق والمزارع العظيمة والاثمار خصوصاً وان الملك كان قد نشط في التجارة والزراعة وحفر أنهار عديدة في العراق. وتولى بعد قباذ أبنه كسرى انوشروان العادل سنة ٥٣١م فأصلح أمور الدولة ونظم جيوشها وعدل الشرائع التي وضعها أردشير الأول[١]، فزهت في أيامه المملكة الفارسية وتقدم العراق نحو المدنية والعمران حتى أصبح حافلاً بالعلماء من أهل البلاد الاصليين الفرس وغير الفرس من النصارى في الطب والفلسفة وأزدادت ثروة أبناء الرافدين وسعدوا برقي بلادهم فزادت جباية العراق في عهده بمقدار ٢٨٧ مليون درهم ورغب الناس في العلم فأنتشرت في أيامه الفلسفة اليونانية والعلوم المختلفة وهو الذي حفر نهر القاطول فوق سامراء المعروف بالقاطول الكسروي الذي يأخذ مائة من دجلة ويصبه في النهروان وبنى عدة مدن وشق عدة أنهر وأعاد المنذر الثالث ملك الحيرة وقتل مزدك وكثيراً من أتباعه وأجتهد في محو الشيوعية حتى أزالها من مملكته وعاد قانون الجزية بعد تعديله ترفيهاً لرعاياه وأستثنى أهل البادية وهم عرب العراق وجلس على سرير المملكة بعده هرمزد الرابع سنة ٥٧٩م، ثم خلع على أثر فتنة قامت بينه وبين القائد العام بهرام الذي انحازت اليه الجيوش كلها فأجلس الفرس على العرش أبنه ابرويز سنة ٥٩٠م، (كسرى برويز أو كسرى الثاني حسماً للنزاع وتسكيناً للفتنة والاضطرابات فأزداد القائد عتواً وطمع في العرش فدارت رحى الحرب بينه وبين الملك برويز وبعد عدة وقائع جرت بالنهروان في العراق أنتصر بهرام واستولى على اكتسيفون وأغتصب العرش وأعلن نفسه ملكاً أما ابرويز فإنه فر بعد انكساره إلى القسطنطينية مستنجداً بالامبراطور (موريس) (موريقي) فأكرم وفادته وزوجه

---

[١] ويسمى كسرى الاول ومعنى كسرى: واسع الملك ومعنى انوشروان: ذي النفس الكريمة.

بأبنته ثم جهز له جيشاً وأمده بالأموال فسار ابرويز بالجيش حتى أقترب من العراق فلاقاه بهرام وبعد معارك هائلة دامت مدة أنتصر ابرويز انتصاراً باهراً وفرق جيش بهرام وظل يطارده إلى أذربيجان وأنتصر عليه ثانية أنتصاراً نهائياً ففر بهرام إلى بلاد الترك وعاد ابرويز إلى عرش الملك ودخل اكتسيفون باحتفال عظيم بعد ان دامت الحروب بينه وبين بهرام أربع سنوات وعلى أثر الفوز تنازل ابرويز للروم عن مدينتي دارا وميا فارقين اللتين أخذهما أبوه هرمز منهم وأرسل إلى الامبراطور موريس هدايا نفيسة وأجزل العطاء والصلات إلى القواد الروم الذين نصروه وعقد ابرويز معاهدة الصلح مع الروم وأصبحت الدولتان في وفاق بعد ان أصبح ابرويز صهر موريس إلا انه بعد فترة ألغى المعاهدة وأشهر الحرب على الروم سنة ٦٠٢ م عندما خلعوا الامبراطور موريس وقتلوه وأجلسوا مكانه (فوقا) على أثر فتنة أهلية فحمل عليهم ابرويز بجيوشه سنة ٦٠٤ م آخذاً بثأر حمية موريس ودامت الحروب أعواماً وتوغل الفرس في مملكة الروم واستولوا على أكثر ممتالكاتها ومستعمراتها وكادوا يفتحون القسطنطينية ويقضون على تلك المملكة ولكن أنعكس الأمر عندما تولى (هراقليوس) عرش الروم وأخذوا يستردون من الفرس مدينة بعد آخرى وظل الفرس يتقهقرون والروم يتقدمون حتى اقترب هرقليوس بجيوشه من نينوى وهناك دارت رحى الحرب ودارت الدائرة على الفرس واستولى الروم على نينوى سنة ٦٢٧م، ثم على كركوك ثم نحو العراق وأخذ الروم يتقدمون والفرس يفرون حتى وصل هراقليوس إلى الدسكره وهي بلدة قرب شهربان ثم تقدم إلى النهروان فأختل أمر الفرس واضطربت أحوالهم فأجتمع كبار الفرس فخلعوا ابرويز وتولى مكانه أبنه شيرويه عام ٦٢٨م، ففاوض الملك الجديد الروم في الصلح فأجابوه وعقد الصلح مع هرقليوس على ما يرضى الروم فعادوا إلى بلادهم وعلى أثر ذلك قتل الملك شيرويه أباه ابرويز.

وابرويز هذا هو الذي قتل النعمان الثالث ملك الحيرة سنة ٣١٦م، وهو الذي أرسل اليه صاحب الشريعة المحمدية (صلى الله عليه وآله وسلم) كتاباً يدعوه إلى الإسلام مع عبد الله بن حذامه السهمي[١]، سنة ٦٢٨م، سلمه الكتاب وهذا نصه (بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله إلى كسرى عظيم الفرس سلام على من أتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد ان لا آله إلا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله، أدعوك بدعاية الله فإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، أسلم تسلم فإن أبيت فإنما عليك أثم المجوس فقرأه برويز فلما أنتهى منه مزقه ورماه إلى حامله وكتب إلى عامله باليمن يأمره ان يغزو المدينة ويأتيه برسول الله اسيراً وعاد عبد الله إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واخبره، بما فعل برويز فقال اللهم مزق ملكه كما مزق كتابي فلما خلع ابرويز كتب أبنه شيرويه إلى عامله باليمن ينهاه عن مقاتلة رسول الله وفي عهد ابرويز حدثت المعركة الشهيررة بواقعة (ذي قار) الناصرية، بين الفرس والعرب أنتصر فيها العرب على الفرس ولم تبقى لشيرويه غير بضعة أشهر حتى قتل وخلفه اردشير الثالث سنة ٢٢٩م، وهو طفلاً فجعلوا له نائباً ليقوم بأمره وهو رئيس أصحاب المدائن (رئيس الوزراء) المدعو (جسنس) فتسلم هذا زمام الامور ولكن الاضطرابات الداخلة كانت تزداد يوماً فيوماً في الوقت الذي حمل المسلمون فيه على العراق بقيادة خالد بن الوليد وأختلت شؤون المملكة واختلفت كلمة رجال الدولة حتى آل ذلك إلى حدوث فتنة بين رئيس القواد وبين نائب الملك كان النصر

---

[١] عبد الله بن حذامه بن قيس السهميالقرشي أبو حذامه صحابي أسلم قديماً وبعثه النبي إلى كسرى وهاجر إلى الحبشة وشهد بدراً فلما حط عبد الله أمام برويز وأسره الروم في أيام الخليفة عمر ثم أطلقوه وشهد فتح مصر وتوفي بها في أيام الخليفة عثمان سنة ٣٣هـ - ٦٥٣م، وكانت فيه دعابة وله حديث وعده الجمعي من شعراء مكة.

في آخرها لرئيس القواد فحمل بجيوشه على اكتسيفون وحاصرها ونصب عليها المجانيق ثم احتلها عنوة وقتل اردشير الملك ونائبه وجماعته من رجال الدولة وأغتصب العرش ونادى بنفسه ملكاً سنة ٦٣٠م، ولكنه لم يلبث أكثر من اربعين يوماً حتى وثبت عليه جماعة من الفرس وقتلوه وعلى أثر ذلك أتفق رجال الدولة وعبر أثر ذلك بنت كسرى ابرويز في السنة نفسها فلم تملك هذه غير ستة عشر شهراً فأحتال عليها رئيس القواد بيروز وخنقها سنة ٦٣١م، فأشتد الشقاق والخلاف بين رجال الحكومة وعظمت وكبرت الاضطرابات في الدولة الفارسية وأدى ذلك إلى انقسام الفرس إلى ثلاثة أقسام فبايع أهل اكتسيفون (آزرميد وخت)بنت كسرى ابرويز وبايع أهل خراسان صبياً من أولاد الملوك اسمه (ميهرخوسرو) وبايع أهل اصطخر[1]. يزدجرد بن شهريار ثم قتلت (أزرميد) قتلها رستم حاكم خراسان بعد ان حمل عليها بجيشه ودخل اكتسيفون حرباً عقب عدة معارك ثم قتل (ميهرصوسرو) أيضاً فسادت الفوضى في البلاد واختل النظام والذي زاد الدولة اضطراباً وزعزع اركانها توغل العرب المسلمين في العراق الذين جاءوا لفتح منذ أيام اردشير الثالث سنة ٦٢٩م، بقيادة خالد بن الوليد في عهد الخليفة الأول ابي بكر ثم أتفق أهل اكتسيفون على تمليك شخص (حشتشده) ابن عم ابرويز سنة ٦٣٢م، فقتل هذا بعد شهر من تمليكه وولوا مكانه (فيروز بن مهران) من نسل أبو نوشروان فقتل بعد بضعة أيام وملك بدله سابور بن شهريزان وكان طفلاً بأمره أحد كبار رجال الدولة اسمه (فرخ) زاد خسرو بن البنذوان ولم يمض ثلاثة أشهر حتى قتل الملك ونائبه وزاد أمر الدولة مشاكل عديدة بسبب الفتن المستمرة وطمع

---

[1] اصطخر مدينة قديمة في فارس واقعة في الشرق الشمالي من شيراز وكانت سابقاً عاصمة الدولة الفارسية ويسميها اليونان (برسيولس) أي مدينة فارس وكانت فخمة وعظيمة فتحها المسلمون ١٨هـ.

بها اعدائها فلما أدرك الفرس خطورة موقفهم أجمعوا على تمليك يرجرد الثالث بن شهريار الذي أجلسه على العرش أهل اصطخر فاستقدموه منها إلى اكتسيفون وأجمعوا كلمتهم عليه فحضر اكتسيفون سنة ٦٣٢م، فدانت له فارس وجلس يزدجرد الثالث على عرش المملكة الفارسية في الوقت الذي كانت فيه الدولة قد ضعفت من كثرة الفتن الداخلية وزادها ضعفاً توغل العرب المسلمين في العراق وحروبهم الشديدة مع الفرس منذ أيم اردشير الثالث وايام الخليفة الاول ابي بكر فكان هذا الملك يبذل جهده في اخماد الثورات الداخلية القائمة بين قومه من جهة وبصدد هجمات العرب الذين جاءوا للفتح من جهة اخرى حتى أرتبك عليه الأمر ولكنه كان مع ذلك جلداً لايظهر الضعف ولا يتظاهر بالعجز أمام العرب وظل يجهز الجيوش لقتالهم فأنتصروا عليه في أكثر الوقائع وفي الاخير أشتد عليه الحرب في وقعة القادسية الشهيرة سنة ٦٣٦م، ثم أجبروه على الهزيمة من العراق إلى بلاده فارس سنة ٦٣٧م، بعد حروب عديدة في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب وقامت دولة الإسلام في العراق زانقرضت دولة الفرس التي حكمته ٤١٠ سنوات (٢٢٦-٦٣٧م)، وقد كان معظم سكان العراق في عهد الدولة الساسانية من بقايا الآرميين الاصليين وهم (الكلدان والسريان) والقبائل العربية التي منها اياد وربيعة وغيرهما وكذلك عرب المناذرة سكان الحيرة وما يتبعها جموع وشتات من الفرس والاكراد وغيرهم من أمم أخرى وحرية تامة بسبب عدم تعرض هؤلاء الملوك بشرائع أهل البلاد وآدابهم وعاداتهم وابقاء القوانين على ما كانت عليه قبلاً غير انهم بدأوا باضطهاد النصارى العراقيين منذ تنصر القياصرة ملوك الرومان بعد ان كانوا وثنيين أي منذ أيام القيصر قسطنطين الكبير بسبب ميل النصارى إلى القياصرة ابناء مذهبهم والتجسس لهم خصوصاً عندما كانت تقوم الحرب بين العرب والفرس فيتجسس النصارى لأبناء دينهم حتى ان بعض الملوك قتلوا كثيراً

من رؤساء النصارى وهدموا أكثر كنائسهم ولم يكن ذلك وحده سبباً لاضطهادهم بل ان انتشار الدين المسيحي بين عرب العراق من بدو وحضر وازدياد اتباعه عاماً فعاماً خوف الفرس من القضاء على دينهم الزردشتي الذي أتخذوه ديناً رسمياً لدولتهم خصوصاً وان الدين المسيحي كان قد صار أخيراً ديناً رسمياً لدولة الروم المجاورة للفرس وخيار الروم ينتصرون للنصارى الذين تحت حكم الفرس حتى انهم كانوا يتخذون اضطهادهم في بعض الأحيان ذريعة للحرب مع الفرس ومع ذلك فقد كان أهل العراق في عهد هذه الدولة الفارسية سعداء بالنسبة إلى الأمم الاخرى الراضخة لحكم الاجنبي في ذلك العهد أما حالة العراق من الوجهة الاقتصادية فكانت حسنة جداً لاعتناء هؤلاء الملوك بالري واهتمامهم بتوسيع نطاق الزراعة وتنشيط التجارة وبذلك كان العراق في عهدهم غنياً جداً واشتغل أهل الرافدين في أيامهم بالتجارة براً وبحراً وتبادلوا مع أهل الاقطار البعيدة كمصر وسوريا ووالهند وفارس وغيرها وكانت الزراعة في العراق أرقى زراعة في العالم بفضل ما حفروه من الترع والأنهار وأصبحت جباية العراق عظيمة في عهد اردشير الاول ودارا الاول وقباذ وانوشروان وكان الملوك يقيمون أيام الشتاء في مدينة (المدائن) سلمان باك حالياً ويقضون المواسم الثلاثة الباقية في مدينة اصطخر بفارس وقد سموا الملوك بالأكاسرة منذ أيام كسرى انوشروان بن قباذ وعاشت هذه الدولة ٤٢٥ سنة (٢٢٦-٦٥١م) وقام فيها (٢٨) ملكاً أولهم اردشير بن بابك وآخرهم يزدجرد الثالث الذي قتل سنة ٦٥١م، في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان وبقتله انقرضت هذه الدولة ومحيت من عالم الوجود على يد العرب المسلمين بعد ان كانت من أكبر دول العالم وتشتمل على بلاد ايران والديلم وجورجان وبلاد بابل (العراق) وبلاد آشور من ضمنها كردستان وبلاد الجزيرة (بين النهرين) وجزائر الخليج الفارسي من بلاد العرب منها بلاد اليمن ولم يكن

سبب انقراض هذه الدولة العظيمة المترامية الاطراف غير الانقاسامات التي حدثت فيها والثورات الأهلية المتوالية والفتن المستمرة بين الاسر الحاكمة والمالكة وبين رجال الدولة والسياسة التي كانت تقوم بينهم وبين الروم في أزمان مختلفة فـتمكن العرب المسلمون من محوها واستولوا على جميع بلادها بالتدريج وانتهت دولـتهم في العراق سنة ٦٣٧م، الموافق لسنة ١٦ هجرية وأنتقـل الحكـم إلـى الخلفـاء الراشدين ثم إلى بني أمية ثم إلى بني العباس حتى إذا ما ضـعف شـأن الخلافـة العباسية في بغداد في الوقت الذي قامت فيه دولة فارسية في بلاد فارس على يـد بني بويه طمع هؤلاء فحملوا على بغداد وأسسوا فيها دولة فارسية سنة ٣٣٤هـ - ٨٤٥م، ثم تلتها الدولة الصفوية بعد حين من الدهر ثم الدولة الزندية فـي العهـد العثماني.

الدولة البويهية

أو الدولة الفارسية الخامسة في العراق

(٣٣٤- ٤٤٧هـ) (٩٤٥- ١٠٥٥م)

أبتدأت دولة بني بويه بقيام ثلاثة أخوة أبو الحسن علي وأبو علي الحـسن وأبو الحسن احمد أولاد أبي شجاع بويه بن قناخسرو الذي يتصل نسبه علـى مـا قيل إلى ملوك الفرس القدماء وكان أبوهم أبو شجاع قد سكن بـلاد الـديلم ونـشأ أولاده فيها ثم خرجوا مع من خرج من بلاد الديلم كما هو معروف تاريخيـاً هـم جيل من الفرس ولم يكن بنو بويه من الديلم بل ان أنصارهم ورجالهم من الـديلم ومن الحيلان وراء خراسان ولهذا لقبت دولتهم بالديلمة كما لقبت بالبويهية أيـضاً وكانوا هؤلاء من أهل العصابات والثورة ومن دعـاة العلـويين ليفـسدوا علـى العباسيين الذين يعتقدون ان الدولة العباسية قامت باسم العلويين ولكن بعـد ذلـك استولوا على الحكم بالقوة والغلبة فدخل الاخوة الثلاثة في جيش ابن كالي فلما ادبر

أمره التحقوا (بمردا ويج) مؤسس الدولة الزيارية (طبرستان وجرجان والري وقزوين وهمدان واصبهان وغيرها)، فتقلد كل واحد منهم ناحية من الجبل سنة ٣٢١هـ -٩٣٣م، وكان أكبرهم أبو الحسن علي على بلاد الكرج التي كانت في العراق العجمي بين أصفهان وهمدان وكان عالي الهمة فكثر أتباعه وأتباع أخويه ثم حصلت بينه وبين فرداويج جفاء فانتفض عليه وسار إلى اصفهان وملكها ثم استولى على ارجان (جرجان) وعلى أثر ذلك كاتبه أهل شيراز يستدعونه فسار اليهم سنة ٣٢٢هـ - ٩٣٤م، فقاتله ياقوت عامل الخليفة ولكنه فشل وانهزم ودخل على شيراز فدانت له البلاد الفارسية كلها واشتهر ولما قتل مرداويج انظمت عساكره إلى علي هذا وكان الخليفة يومئذ الراضي بالله فكتب اليه علي والى وزيره علي بن مقلة يطلب تقرير البلاد عليه مبلغ مليون درهم في السنة فأجيب إلى ذلك وبعثوا اليه بالخلع واللواء ولما قوي أمر علي اقطع أخاه الحسن اصفهان وأخاه احمد كرمان واقام هو بفارس ملكاً إلى ان مات سنة ٣٣٨هـ بعد ان أسس أكبر دولة فارسية شيعية في الشرق وأول غارة شنها البويهيون على العراق كانت سنة ٣٢٦هـ الموافق سنة ٩٣٧م، وذلك ان ابا عبد الله البربري كان قد انهزم من أبي واثق وبجكم التركي بحكم المتغلبين على الخلافة ببغداد وسار إلى اصطخر مستنجداً بعلي بن بويه فأرسل أخاه احمد لأخذ العراق فسار هذا بجيشه حتى وصل ارجان فلاقا هناك بجكم والي مدينة واسط وكان قد سار لصده وبعد عدة معارك أنهزم بجكم إلى الاهواز فتقدم احمد إلى عسكر مكرم وقاتل حاميتها الذين تركهم فيها بجكم ففروا إلى تستر ثم سار احمد إلى الاهواز وملكها عنوة وفر بجكم الى واسط وعلى أثر ذلك حدث خلاف بين احمد وبين ابن البربري فهرب الثاني فعلم بأختلافهم بجكم فأرسل جيشاً واسترد الاهواز وأكثر البلاد التي استولى عليها احمد فلما فشل احمد استنجد بأخيه علي فأمده بالجيوش فعاد واستولى على الاهواز أما

بجكم فإنه سار من واسط إلى بغداد واستولى عليها وقلده الخليفة الراضـــي بـــالله إمارة الامراء خزفاً من شره وذلك سنة ٣٢٩هـــ وكان ابن البربري بعد ان فر من احمد قد اقام بالبصرة وهو يراسل بجكم ويحرضه على المسير إلى الجبل ليرجعها من الحسن بن بويه ثم سار إلى الاهواز فاستردها من احمد ابن بويه وأتفق معـــه فأمده بجكم بخمسمائة فارس وسار هو إلى حلوان في انتظاره وبقي ابن البربـــري يتربص ببجكم وينتظر ان يبعد عن بغداد فيهجم هو عليها فأدرك ذلك بجكم فرجع إلى بغداد ولما عظمت الفتن في بغداد وتوالت الاضطرابات في العـــراق وتـــولى إمارة الامراء (توزون) التركي (توزون أو طوسون) وكان احمد مقيماً بـــالاهواز يراقب كل ما يجري في بغداد من الاعمال ويأخذ الاخبار عن الحوادث التي تقـــع فيها فأغتنم فرصة نكبة الخليفة (المتقي بالله) فحمل بجيشه إلى واسط سنة ٣٣٣هـــ فلاقاه توزون والخليفة المستكفي بالله فحمل بالعساكر فرجع احمد إلـــى الاهـــواز وضل يترقب الفرص ولما أشتدت الفتن في بغداد وضاقت بهـــا الجبايـــات علـــى العمال وخلا بيت المال وأمتدت الايدي إلى أموال الناس وزاد ظلم الاتـــراك فـــي العراق وتقاعد الناس عن الأعمال فقلت الأسعار وقطعت الطرق وأصبحت الـــبلاد العراقية فوضى واضطرابات وتولى إمارة الامراء (زبرك) بن شـــيرزاد التركـــي وأخذ أهل بغداد بالجلاء عنها خصوصاً التجار خوفاً من المصادرات وضاق الأمر بالناس وسأموا تجبر الاتراك وظلم وغدرهم بالخلفاء أستغاثوا باحمد بن بويه سراً وكتب اليه أحد الاتراك المدعو ينال كوشه يطمعه بالعراق فنهض احمـــد مغتنمـــاً فرصة تلك الفتن المحزنة وسار بجيوشه الديلم من الاهواز مسرعاً فخـــرج اليـــه زبرك بمن معه من جيوش الاتراك وقبائل الاكراد الذين جمعهم فـــألتقى الفريقـــان وبعد معارك هائلة أنهزم زبرك بمن معه وسار إلى الموصل بعد ان تولى الإمارة ثلاثة أشهر واختفى الخليفة في داره ببغداد وخاف خوفاً شديداً واضطرب النـــاس

أما احمد بن بويه فإنه قدم كاتبه حسن المهلبي فلما دخل هذا بغداد ظهر الخليفة المستكفي ودعى المهلبي إلى داره وأظهر له السرور والفرح بانتصار احمد وقدومه ثم دخل احمد بغداد سنة ٣٣٤هـ باستقبال عظيم وذهب إلى دار الخليفة واجتمع به فولاه الإمارة وحلف له وخلع عليه وألبسه طوقاً من الذهب وسوره بسورين من الذهب وفوض اليه تدبير المملكة وعقد له لواء وأمر ان يخطب له على المنابر ولقبه معز الدولة ولقب أخاه علياً عماد الدولة وأخاه الحسن ركن الدولة وأمر بضرب ألقابهم عاى الدراهم والدنانير.

ولما أستتب أمر معز الدولة في العراق ورتب شؤون البلاد أقام في بغداد فاستأمن اليه أبو القاسم البربري من البصرة وكان حاكماً عليها وضمن له واسط واعمالها فعقد له عليها في السنة نفسها ٣٣٤هـ وعلى أثر ذلك حجر معتز الدولة على الخليفة وقدر له برسم النفقة كل يوم خمسة دراهم (وهو أول من فعل ذلك من البويهيون وأول من ملك بغداد منهم وبعد قليل حدثت بينه وبين الخليفة فتنة ورآه يسعى في إعادة حقوق الخلافة المغصوبة فعزم على خلعه فأجتمع به في قصر الخلافة في محفل حافل وبينما هم الجلوس دخل أثنان من كبار الديلم وتناولا يد الخليفة فظنهما يريدان تقبيلهما فمدها فجذباه عن سريره ووضعا عمامته في عنقه وأخذا يخنقانه وساقوه ماشياً إلى دار معز الدولة في أسوء حال وهناك خلعوه واعتقلوه وسلموا عينيه وظل في دار السلطنة معتقلاً حتى توفي في سنة ٣٣٨هـ.

أما معز الدولة فإنه لما ساق أصحابه الخليفة نهض من دار الخلافة وسار إلى داره فضربت البوقات والطبول ونهب الديلم ما في قصر الخلافة من الأموال الثمينة فأستاء الاهلون ونقموا على معز الدولة فأضطربت بغداد فلم يبال معز بشيء بل انه جمع رجاله وأحضر ابا القاسم الفضل بن المقتدر فبايعه بالخلافة وأخذ له البيعة العامة فلقبوه المطيع لله سنة ٣٣٤هـ ٣٦٣هـ، (٩٤٥-٩٧٣م)،

ومنذ ذلك أغتصب معز الدولة ما بقي من حقوق الخلاقة ولم يبق للخليفة غير كاتب يدير أملاكه واقطاعه التي تركها له ليسد بها حاجاته وأصبحت سلطة الخلافة مسلوبة تماماً ولم يبق للخليفة غير الاسم والتوقيع على المنلشير وصارت الوزارة من جهة البويهيين بعد ما كانت من جهة الخلفاء وظل السعد يخدم معز الدولة حتى بلغ ما لم يبلغه أحد من قبله في الإسلام إلا الخلفاء.

الدولة الصفوية الأولى

(الدولة الفارسية السادسة في العراق)

أسس الدولة الصفوية في ايران إسماعيل ابن حيدر ابن جنيد ابن الشيخ صفي الدين الاردبيلي الصوفي وسميت بهذا الاسم نسبة إلى صفي الدين المذكور وليس لهذا البيت قرابة مع إحدى العائلات المالكة في ايران ولا في غيرها ولا كانت تعرف هذه السلالة بغير رئاسة التصوف في بادئ بدء ثم قوي أمرها على عهد جنيد وكثر أتباعها وأشتهرت وظل أبناؤها يتدرجون في الزعامة على أتباعهم شيئاً فشيئاً حتى عظم شأن حيدر ابن جنيد ولما مات نهض ابنه إسماعيل وجمع الجموع وكان حازماً عالي الهمة فحمل على أذربيجان سنة ٩٠٥هـ، واستولى عليها ثم على شيروان سنة ٩٠٦هـ، ثم على ما وراء النهر فبلاد فارس فخراسان فالعراق العجمي فكردستان فديار بكر وأسس مملكة واسعة الاطراف وهو أول ملوك الدولة الصفوية وأول ملوك فارس الذين تلقبوا بالشاهات (أي السلاطين).

وعندما دخلت سنة ٩١٤هـ ، طمع الشاه إسماعيل في العراق وصاحبه يومئذ السلطان مراد بك التركماني[1] وكان إذ ذاك ملكاً على العراقيين (العراق العجمي)، والعراق العربي وبلاد فارس وكان قد أناب عنه على العراق أحد رجاله

---

[1] وكان إذ ذاك ملكاً على العراقيين (العراق العجمي والعراق العربي) وبلاد فارس.

الامير مبارك فحمل الشاه على العراق قاصداً بغداد وأرسل في مقدمته أحد قــواده المدعو لاله حسن فحاصر بغداد وعجز أميرها عن الدفاع وانتصر القائد الفارسي على حامية المدينة واحتلها عنوة في السنة نفسها وعلى أثر ذلــك توجــه الــشاه إسماعيل إلى بغداد فلما دخلها فتك بأهلها من المعاضين لحكمه ثم أستناب عنه نائباً فيها وترك قسماً من جنوده لحماية المدينة وعاد إلى مقره بعــد أن زار العتبــات المقدسة. وخضعت له أكثر المدن العراقية أما السلطان مراد فإنه فــر مــستجيراً بالملوك الأمراء فأمدوه بالجيوش والأموال فألف جيشاً كبيراً وسار بــه لإســترداد بغداد فتمكن في سنة ٩١٦هــ من طرد جيوش الشاه منها، فعادت اليه هــي ومــا يتبعها بعد أن ملكها الفرس نحواً من سنتين (أي سنة وبضعة أشهر) وكان الشاه إذ ذاك مشغولاً في حروب خراسان فلما أنتهى منها تهيأ لأخذ بغــداد ثانيــةً وحمــل عليها بجيش عرمرم وقاتل السلطان مراد حتى قهره وطرده واستولى على بغــداد عنوة سنة ٩٢٠هــ، وهي المرة الثانية، فأنقرضــت دولــة الخــروف الأبــيض التركمانية من العراق بعد أن ملكته أربعة وأربعين سنة تقريباً منها نحو الأربعــين سنة (٨٧٤هــ -٩١٤هــ) قبل إغارة الشاه الأول ونحو الأربع سنوات قبل الغارة الثانية . وأول ملوك الملك حسن بيك المعروف بحسن الطويل وأخرهم الــسلطان مراد بيك هذا وهي التي قامت في العراق على أنقاض دولة الخروف الأسود (قرة قوبونلي) التركمانية[1].

ولما دخل الشاه إسماعيل بغداد ثانية أعاد القتل وأعمل السيف بأعدائه وفتك بهم ولم يمس اليهود بسوء لأنهم تجسسوا له قبل دخوله بغداد وبعده . وغالى فــي الانتصار لمذهب الشيعة واتباعه وأعلن المذهب الشيعي رسمياً في مملكته وبــالغ

---

[1] ودولة الخروف الأسود هي التي أخذت العراق من الجلائريين الذين جاءوا بعــد الدولــة الايلخانية التي قرضت الدولة العباسية على يد زعيمها هولاكو.

في اضطهاد من خالفه في حكمه حتى انه أجبر الكثيرين منهم على التشيع. وبعد أن استتب أمر الشاه فب العراق (بغداد واتلبصرة والموصل وما يتبع ذلك) وقد ولى على العراق ببغداد أحد رجاله إبراهيم خان وعاد إلى مقره ثم أمر فأعيد بناء حرم الكاظميين والقبة التي على الضريحين سنة ٩٢٦هـ[١]. وأمر بكري النهر الذي كان قد احتفره علاء الدين عطاء الملك حاكم العراق من قبل هولاكو وسحبه من الفرات إلى مدينة النجف لأن الرمال كانت قد تراكمت فيه وسدت مجراه فسمي بالنهر الشاهي[٢].

ولما مات الشاه إسماعيل (٩٠٥هـ - ٩٣٠هـ) وجلس مكانه أبنه طهماسب الأول وطمع في العراق الأمير ذو الفقار ابن نخوذ سلطان رئيس قبيلة موصلو من عشيرة كلهور الكردية الذي كان مستولياً على أطراف لورستان[٣]. فحمل بالكلهوريين على بغداد وحاصرها أربعين يوماً فاستولى عليها في سنة ٩٣٠هـ[٤]، وأسس بها دولة كردية وأحسن السيرة والتدبير حتى ملك العراق كله تقريباً وخاف من طهماسب الأول فأحتمى بالسلطان سليمان القانوني العثماني وخطب له على المنابر وضرب بأسمه السكة وأرسل وفداً لعرض خضوعه والدخول تحت سيادته ولكنه لم يكد يستريح حتى حمل عليه الشاه طهماسب الأول سنة ٩٣٦هـ، الموافقة لسنة ١٥٣٠م فأستعد له ذو الفقار وتحصن في بغداد

---

(١) ولكنه لم يتم بناء الحرم فأتمه السلطان سليمان القانوني حينما فتح بغداد وبنى مأذنة لازالت حتى اليوم باقية وهي أول مأذنة بنيت هناك.

(٢) وهو المعروف الآن بنهر الهندية نسبة إلى آصف الدولة أحد أمراء الهند في لكهنور الذي كراه عند مجيئه إلى العراق لزيارة قبور الأئمة سنة ١٣٠٩هـ.

(٣) لورستان هو اقليم الأهواز أو عربستان ويسمى جبال البختيارية أيضاً.

(٤) وفي رواية كا استيلائه على بغداد سنة ٩٣٤هـ، فاستردها منه الشاه طهماسب سنة ٩٣٥هـ، ولكنها ضعيفة.

فحاصرها الشاه أياماً حتى عجز عن استردادها لحصانة اسوارها فاضطر لإستعمال الحيل والخدع حتى تمكن من إغراء أخوي ذو الفقار وأطمعهما بالمناصب والأموال فأغتالا أخاهما وقتلاه (وقيل مات مسموماً) وفتحا أبواب المدينة فدخلها الشاه في السنة نفسها ٩٣٦هـ وأنقرضت الدولة الكردية التي لم تدم إلا نحو ست سنوات.

ودخل الشاه طهماسب بغداد فسلمت له المدن العراقية كلها تقريباً فأعاد أعمال أبيه في دار السلام من اضطهاد السنة والفتك بهم لتعاونهم مع العثمانيين ثم ولى على بغداد بكلو محمد خان وفوض اليه شؤون البلاد العراقية وسار هو عائداً إلى مقره وظل رجاله في العراق يحكمون بما تشتهيه نفوسهم مما حمل السلطان سليمان القانوني على الانتقام من الفرس انتصاراً لمذهبه فصمم على فتح العراق وأخذه منهم.

وعندما دخلت سنة ٩٤٠هـ الموافقة لسنة ١٥٣٥م، عزم السلطان سليمان القانوني على أخذ العراق من الفرس فأرسل إبراهيم باشا الصدرر الأعظم والقائد العام بجيش كبير لقتال الشاه طهماسب الأول وسار هو في أثره بجيش أخر فدخل إبراهيم باشا تبريز أولاً بالأمان ثم سار منها قاصداً بغداد فلما اقترب منها هرب حاكمها الفارسي بكلو محمد خان بجيوشه خوفاً من الأسر فسلمت المدينة وفتحت ابوابها للقائد العثماني فدخلها باستقبال عظيم في شهر جمادي الآخرة سنة ٩٤١هـ وبعد ايام قليلة وصل السلطان إلى بغداد ودخلها بين التهليل والترحيب والتقديس على حسب عادة العراقيين مع كل فاتح. ثم فتحت الجيوش العثمانية مدينة الموصل في السنة نفسها ودانت المدن العراقية كلها للعثمانيين وزالت دولة الصفويين بعد أن حكموا العراق خمسة وعشرين سنة تقريباً منها نحو سنتين بعد الغارة الأولى التي كانت في سنة ٩١٤هـ وما بقي فهو بعد الغارة الثانية التي حدثت في سنة

٩٤٠هـ. أما البصرة فإنها كانت يوم مجيء السلطان سليمان تابعة للفرس وكان عليها حاكم فارسي اسمه راشد خان وكان قد بلغه سقوط بغداد وغيرها فخاف على نفسه ومنصبه فسار إلى بغداد للمثول بين يدي السلطان وعرض الطاعة والخضوع وفرق له السلطان فأقره على البصرة على شرط أن تكون الخطبة والنقود بأسم السلطان وأن يكون ممتثلاً لأوامر ولاة بغداد الأتراك في المسائل الهامة . فعاد راشد خان إلى منصبه ولكنه بعد قليل أستبد بالأمور وكأن لم يكن له رابطة بالعثمانيين فأضطروا إلى أرسال جيش تحت قيادة الوزير إياس باشا لطرد راشد من البصرة. فلما قرب الجيش أنهزم منها راشد ودخلها الجيش العثماني وذلك في سنة ٩٥٣هـ وظلت هذه المدينة في قبضة الأتراك إلى سنة ١٠٠٥هـ فأستقل بها أمراؤها ثم أعادها الأتراك اليهم في سنة ١٠٧٨هـ ثم تغلب عليها أمير الحويزة فرج الله خان في سنة ١١٠٩هـ فطرده الأتراك في سنة ١١١١هـ وبقيت في قبضتهم إلى أن تغلب عليها كريم خان الزندي في سنة ١١٩٠هـ ثم عادت للأتراك في سنة ١١٩٣هـ وبقيت تحت حكمهم حتى قامت الحرب العالمية الأولى فأستولى البريطانيون عليها في سنة ١٣٣٣هـ وبقي العراق في قبضة العثمانيين ٩١ سنة تقريباً (٩٤٨هـ - ١٠٣٢هـ) ثم عاد للصفويين ثم للأتراك.

الدولة الصفوية الثانية

(الدولة الفارسية السابعة في العراق)

كانت الدولة العثمانية قد وجهت إلى العراق الوزير يوسف باشا في سنة ١٠٢٥هـ، وكان هذا الوزير ضعيف الرأي فحدثت بينه وبين رئيس شرطة بغداد بكر آغا فتنة في سنة ١٠٢٨هـ، في عهد السلطان عثمان الثاني. وكان بكر آغا قد جلب الأهليين اليه وكثرت اتباعه واستولى على جميع شؤون الحكومة العراقية

من إدارية وعسكرية حتى لم يبق للوزير غير الأسم وألت تلك الفتنة إلى الحروب في نفس بغداد فقتل يوسف باشا واستولى بكر آغا على الولاية وكتب إلى السلطان يطلب تثبيته فيها فوجهت الأبلة إلى غيره فانتفض على الدولة وأعلن استقلاله في العراق فما كان من السلطان إلا أن أرسل الجيوش إلى قتاله فلما حوصرت بغداد وضاق الحال ببكر آغا استنجد بالشاه عباس الأول الذي تولى عرش ايران سنة ٩٩٥هـ، الموافقة لسنة ١٥٨٦م، ووعده بالدخول تحت سيادته على أن يكون الحكم له والخطبة والسكة بأسم الشاه فوافق على ذلك الشاه وأنجده وفي أثناء ذلك أصطلح بكر آغا مع القائد العثماني حافظ أحمد باشا ووجهت اليه الأيالة ورفع الحصار عن بغداد ورجعت عساكر السلطان غير أن الجيش الفارسي جاء لنجدة بكر آغا كان قد اقترب من بغداد بعد أن أبرم آغا معاهدة الصلح مع القائد العثماني فكتب بكر آغا إلى قوات الفرس يطلب منه الرجوع ويخبرهم بما تم من أمر الصلح فأبوا عليه ذلك وأصروا على دخول بغداد حسب أمر الشاه وبعد مخابرات حاولت الجيوش الفارسية دخول بغداد فمنعها بكر أغا فحدثت بين الطرفين عدة معارك انتصر في أخرها بكر آغا وظل يطارد الفرس حتى أخرجهم من ديار العراق. فلما علم الشاه بذلك أستشاط غضباً وزحف بنفسه على بغداد في سنة ١٠٣٢هـ، وهو يقود جيشاً كبيراً حتى اقترب منها وكتب إلى بكر آغا يطلب منه تسليم المدينة فأبى بكر آغا عملاً بمعاهدة الصلح التي من شروطها أن لا يدع الفرس يدخلون بغداد وعندما حمل الشاه على المدينة وحاصرها حصاراً شديداً وضيق عليها من كل الجهات ودام الحصار ثلاثة أشهر كان فيها بكر آغا مدافعاً دفاع الابطال حتى ضاق به الحال وخارت قوى عساكره وأشتد القحط في المدينة. أما الشاه فإنه لما عجز عن فتح بغداد حرباً عمد إلى الحيلة والخداع وراسل سراً محمد آغا ابن بكر آغا وكان محافظاً على قلعة بغداد فوعده بالمناصب والأموال

حتى خدعه ففتح له أبواب المدينة ليلاً فدخلتها جيوش الشاه على حين غفلة من بكر آغا والأهليين فأنهزم المدافعون وأختفى الناس في بيوتهم وأشتغل كل في نفسه فما أصبح الصباح إلا والشاه قد دخل بغداد بمن معه وذلك في ٩ شوال سنة ١٣٢هـ، الموافقة سنة ١٦٢٣م، وعندما دخل الشاه عباس الأول بغداد قتل أكثر رجال الحكومة التركية من عسكريين وإداريين حتى رجال الدين منهم القاضي نوري أفندي وخطيب الجامع الكبير محمد أفندي وغيرهما وفتك بالسنة فتكاً ذريعاً وصادر أموال المثرين منهم وأرتكبت جنوده أنواع المنكرات من قتل وسلب ونهب وتخريب. أما بكر آغا فإن الشاه قتله أشنع قتلة ثم قتل أخاه عمر آغا أيضاً وفعل هذا الشاه أفعالاً لا تأتلف مع ما كان عليه من الحكمة وحسن السيرة وحب التقدم والعمران. وبعد أن هدأت بغداد أرسل الشاه وزيره قاسم خان بجيش كبير لفتح الموصل فأفتتح هذا القائد في طريقه كركوك ثم توجه إلى الموصل وعليها إذ ذاك والي تركي أسمه حسين باشا فدافع عنها أياماً ثم عجز واضطر إلى تسليمها فدخل الفرس وأضطهدوا أهلها وفتكوا بهم كما فتكوا بأهل بغداد وكان الشاه يومئذ مقيماً في بغداد وقد تم أمره في العراق إلا البصرة بقيت لمدة شهرين بعد فتح بغداد ثم ذهب إلى كربلاء ثم النجف ومنها عاد إلى بغداد وجعل لحمايتها خمسة الاف جندي فارسي بقيادة صفي قلي خان وولى الحكم فيها لرجل من خاصته اسمه صاري خان وكتب إلى رؤساء القبائل العربية بلزوم السكينة والطاعة ثم عاد إلى مقره. فلما كانت سنة ١٠٣٦هـ، أمر الشاه قائده صفي قلي خان بالزحف على البصرة فحمل عليها من بغداد فحاصرها حصاراً شديداً وكانت حينذاك في قبضة أمرائها المستقلين[١]. وبينما صفي قلي خان يهاجم البصرة إذ فاجئه وفات الشاه

---

[١] استقل هؤلاء الأمراء في سنة ١٠٠٥هـ وأولهم (افراسباب) واخرهم حسين باشا ثم أرسل السلطان ثم أرسل السلطان محمد الرابع ١٠٧٨ هـ له جيشاً وطرد منه الأمراء ثم تغلب

عباس الأول الصفوي فترك الحصار وعاد إلى مقره. وبقيت المدن العراقية في قبضة الصفويين عدا (البصرة) ستة عشر سنة تقريباً (١٠٣٢هـ -١٠٤٨هـ) ثم أخرجهم منها السلطان مراد خان الرابع العثماني في سنة ١٠٤٨هـ، الموافق لسنة ١٦٣٨م، بعد حروب استمرت أعواماً خسر فيها الفريقان (الاتراك والفرس) خسائر عظيمة وعادت للعثمانيين في عهد الشاه صفي الدين خان الثاني المدعو سام ميرزا حفيد الشاه عباس الأول.

الدولة الزندية في العراق

(الدولة الفارسية الثامنة في العراق)

كانت البصرة تحت الاحتلال العثماني منذ أن أرسل السلطان محمد الرابع وزيره قره مصطفى باشا بجيش كبير سنة (١٠٧٨م) ثم تغلب عليها أمير الحويزة مفرج الله خان ابن مطلب في سنة (١١٠٩م) فطرده الأتراك في سنة (١١١١م) وظلت في قبضة العثمانيين إلى سنة (١١٩٠م) عندما كانت الدولة العثمانية قد أهملت شؤون البصرة حيث قامت بها الفتن بين ذوي المطامع في حين كان كريم خان الزندي قد تغلب على مملكة ايران فأعلن الحرب على العثمانيين سنة (١١٨٨م) فحاصر البصرة سنة (١١٨٩م) ومعه عشيرة بني كعب العربية حتى اضطرت البصرة إلى التسليم سنة (١١٩٠م) في عهد السلطان عبد الحميد الأول. وأسر الفرس والي البصرة سليمان بيك وجماعة من الاشراف والوجوه والتجار وأرسلهم صادق خان شقيق كريم خان الزندي مخفورين إلى شيراز عاصمة كريم خان ولما استتب أمر صادق خان بالبصرة اراد الاستيلاء على منطقة المنتفك (الناصرية) فأرسل أخاه محمد علي خان سنة (١١٩٢هـ) بجيش كبير لغزو

عليها أمير الحويزة فرج الله خان سنة ١١٠٩هـ فطرده العثمانيون سنة ١١١١هـ.

المنتفك فاستعد أهل الناصرية لقتالهم فألتقى الفرس قرب الفرات واشتبكوا معهم في القتال مما أدى إلى انهزام الفرس ولحقتهم فرسان العرب فغرقوا في نهر الفرات وغنم العرب أموالهم وخيولهم ولما جاءت سنة (١١٩٣هـ) جهز صادق خان مرة أخرى جيشاً فارسياً للاستيلاء على الناصرية فألتقى الجيشان العربي والفارسي في منطقة (حلانة) وعلى المنتفكيين في القتال الأمير ثامر ابن سعدون وثويني ابن عبد الله وعندما رأت العشائر العربية كثرة أعداد الفرس طلبوا الصلح إلا أن الفرس شرطوا على العرب شروطاً كبيرة مما أبتها النفوس العربية فاختاروا الموت على الحياة فحدثت الحرب الدموية ثانية فانتهت المعركة بتمزيق الجيش الفارسي وقتل قائدهم محمد علي خان وأخيه مهدي خان فأنهزموا وغنم العرب سلاحهم وخيولهم. وكان ذلك سنة (١١٩٣هـ). فدخلها المتتفكيون وبها سقط الحكم الفارسي من البصرة بعد أن دام نحو ثلاث سنوات وبقيت المدن العراقية كلها خاضعة للعثمانيين إلى أن قامت الحرب العالمية الأولى فسقطت البصرة مفتاح العراق سنة (١٣٣٣هـ) وسقطت بعدها بغداد عاصمة العراق سنة (١٣٣٥هـ -١٩١٧م) وقامت بعد الحكم العثماني حكومة الاحتلال البريطاني ثم قامت الحكومة العراقية بعد عدة أحداث ومعارك بينهم وبين الانكليز إلى أن تشكلت الحكومة العراقية بين عامي (١٩٢٠م- ١٩٢١م).

بعد نجاح ثورة العشرن شكلت الحكومة البريطانية لجنة لصياغة تشكيل الحكومة المؤقتة بعد أن وجه المندوب السامي كتاباً رسمياً إلى عبد الرحمن الكيلاني يكلفه بتشكيل الحكومة العراقية بصفته الممثل السياسي للحكومة البريطانية في العراق وبتاريخ ٢٥ تشرين الأول عام ١٩٢٠م وتشكلت الوزارة المؤقتة بموافقة المندوب السامي ومن الذوات التالية أساؤهم:

١- وزير الداخلية طالب النقيب

٢- وزير المالية	ساسون حسقيل (يهودي)
٣- وزير الدفاع	جعفر العسكري
٤- وزير العدل	مصطفى الالوسي
٥- وزير الوقف	محمد علي فاضل
٦- وزير المفاوضة	عزت الكركوكلي
٧- وزير التجارة	عبد اللطيف المنديل

أما الوزراء بلا مناصب عينهم المندوب السامي السير بيرسي كوكس وهم:

١- عبد الجبار الخياط /بغداد

٢- عبد المجيد الشاوي/ بغداد

٣- فخر الدين آل جميل / بغداد

٤- عبد الرحمن الحيدري / بغداد

٥- عبد الغني كبة / بغداد

٦- الشيخ ضاري السعدون / الناصرية

٧- محمد الصيهود / الكوت

٨- عجيل السمرمد / الصويرة

٩- احمد الصايغ / البصرة

١٠-سالم الخيون / هور الحمار

١١-داود اليوسفاني / الموصل

١٢-الحاج نجم البدراوي / العمارة

وأصدر المندوب السامي بياناً تضمن أن حكومة جلالة ملك بريطانيا أذنت بتشكيل مجلس نيابي لسن قانون أساسي وعلى الحكومة المؤقتة تقع مسؤولية إدارة

الشؤون العامة ماعدا الأمور الخارجية والحركات الحربية والأمور العسكرية العمومية وتم تعيين مندوبين مستشارين لكل وزارة ولكل دائرة أما الألوية والأقضية والنواحي يدير شؤونها حكام سياسيون من الضباط الانكليز وهكذا عم الغضب في الاوساط الشعبية لما وجدوه من حكم بريطاني مباشر في جميع شؤون البلاد أما خزائن العراق فإن حكومة الاحتلال قامت بسحب موجود الخزائن وقيدتها ايراداً لحكومة الهند كما سحبت خزائن الاوقاف.

وفي ٢٢ حزيران ١٩٢١ أعلن وزير الدفاع دعوة المواطنين للانخراط في الجيش العراقي الجديد. وبعد تأسيس الدولة العراقية الحديثة عام ١٩٢١ على أثر ثورة العشرين وتضحيات رجالها لم يتوقف رجال الدين من مؤازرة الحركات الوطنية في ظل الحكم الملكي تحت الانتداب البريطاني حيث أضطرب الوضع في العراق بعد وفاة الملك فيصل الاول عام ١٩٣٣ وحدوث تمرد لبعض العشائر مما طالب رجال الدين من الملك غازي إصلاح الوضع وتشكيل حكومة جديدة وقد استجاب الملك لطلبهم فألفت وزارة ياسين الهاشمي في ١٧ آذار ١٩٣٥ وكما يلي:

١- رئيس الوزراء	ياسين الهاشمي
٢- وزير الخارجية	نوري السعيد
٣- وزير الدفاع	جعفر العسكري
٤- وزير العدلية	محمد زكي البصري
٥- وزير الاقتصاد والمواصلات	محمد أمين زكي
٦- وزير المعارف	محمد رضا الشبيبي
٧- وزر المالية	رؤوف البحراني

وعلى أثر تشكيل الوزارة الهاشمية هذه فقد انشقت القوى الوطنية والقبلية إلى جهتين الجبهة الأولى، الجبهة المعارضة للحكومة، والجبخة الثانية المؤيدة للحكومة وبدأ الصراع الحزبي والقبلي يبث القلق والاضطراب في البلاد.

مدة حكم الفرس في العراق

مدة الحكم	اسم الدولة الفارسية في العراق
٨	الدولة العيلامية في جنوبي العراق (٢٢٩٥ ق.م – ٢٢٨٧ق.م)
٢٠٧	الدولة الكيانية في العراق (٥٣٨ ق.م –٣٣١ق.م)
٣٥٢	الدولة البرتية في العراق (٦٢٦ق.م – ٢٢٦ق.م)
٤١١	الدولة الساسانية في العراق (٢٢٦م –٦٣٧م)
١١٠	الدولة البويهية في العراق (٩٤٥م –١٠٥٥م)
٣٣	الدولة الصفوية الاولى في العراق (١٥٠٢م –١٥٣٥م)
١٧	الدولة الصفوية الثانية (١٦٢٠م–١٦٣٨م)
٣٠	الدولة الزندية في البصرة والعراق كله (١٧٦٨م –١٧٧١م)
١١٤١	المجموع الكلي لحكم العراق

مدة حكم غير الفرس في العراق وهم الذين ملكوا في العراق من غير الفرس كالمغول والاكراد واليونان والاتراك

مدة الحكم	اسم الدولة
٤٥٨٤	السومريون المغول (٧٠٠٠-٢٤١٦ق.م)
٥٦٤	الدولة الكوشية الكردية مع اهل البلاد (١٧١٤-١١٥٠ق.م)
١١٨	الاشوريون --- أو العرب (٧٢٩-٦١١ق.م)
٢٠٥	الدولة اليونانية /الاسكندر والسلوقيين (٣٣١-١٢٦ق.م)
٢٢٤	المغول التتر والتركمان (١٢٥٨-١٥٠٢ق.م)
٨٥	الدولة العثمانية الاولى (١٥٣٥م-١٦٢٠م)
٢٨٠	الدولة العثملنية الثانية (١٦٣٨-١٩١٧م)
٦٠٦٠	المجموع

مدة حكم العرب وغيرهم في العراق

مدة الحكم	اسم الدولة
٤٤٢	الدولة البابلية الاولى السامية (٢٤٦٠-٢٠١٨ق.م)
٣٦٨	اهل البلاد/ الكلدان أو البابليون (٢٠١٨-١٧١٤ق.م)
٤٢١	اهل البلاد الكلدان (١١٥٠-٧٢٩ق.م)
٧٣	الدولة البابلية الثانية عراق سامية (٦١١-٥٣٨ق.م)
١١٤	العرب المسلمون/ الخلفاء الراشدون وابن الزبير والامويون (٦٣٧م-٧٥٠)
١٩٥	الخلفاء العباسيون - الدورة الاولى (٧٥٠م-٩٤٥م)
١٠٣	الخلفاء العباسيون - الدورة الثانية (١١٥٥م-١٢٥٨م)
١٧١٦	المجموع

مدة الدول التي حكمت العراق

منذ سنة ٧٠٠٠ ق.م إلى سنة ١٩١٧/ كما يلي:

مدة الحكم	اسم الدولة
١١٤١	مجموع مدة حكم الفرس
١٧١٦	العرب قبل الإسلام وبعده
٦٠٦٠	المغول والتركمان واليونان والاترتك
٨٩١٧	المجموع

ثورة البابليين الأولى ضد الفرس

بعد ان مات كورش من أثر جراحه تولى عرش الدولة الكيانية بعد كورش ابنه الأكبر (قمبيز)[١]، (٥٢٩-٥٢١ق.م)، وكان سلوكه كسلوك أبيه مع البابليين ومن أجل ذلك أحبوه كما أحبوا أباه قبله واحترموه ولم تحدث في أيامه بالعراق ما يكدر جو السياسة او ما يخل بنظام البلاد وإدارتها. فلما مات قمبيز حين عودته من مصر قاصداً بلاد (مادي التي أجلست سريرها (برديا)[٢]، اضطربت شؤون الدولة الفارسية وطمع بها أمرائها وكثرت فيها الفتن الداخلية فأغتنم البابليون فرصة ذلك الانفلات فثاروا على الفرس الذين في بلادهم فقتلوهم وأعلنوا الاستقلال وملكوا عليهم أحد أعقاب الملك (بنوتاهيد) المدعو (ندين توبيل) وأجلسوه

---

[١] ويطلق عليه أيضاً اسم قاميز وكميز وقناسوس وكمبوزيا ويسميه اليونان كمبوس وسماه بعضهم كيكاوس.

[٢] وسماه بعضهم غوماتو وبعضهم غاماليس وآخرون سمردين ويروى انه كان كاهناً فأغتصب الملك في ميديا وقتل هو أحد الحكام الفرس .

على سرير بابل فلقب هذا الملك نفسه بنوكد نصر الثالث وأعلن الاستقلال التام واستعد للدفاع عن بلاده غير ان ذلك الاستقلال التام لم يدم غير سنتين تقريباً (٥٢١-٥١٩ق.م) لأن الفرس أجتمعت كلمتهم على دارا الأول (٤٥٩-٤٨٥ق.م) فقمع الفتن الداخلية وقضى على الأمراء الطامعين بالمُلك واستتب أمره في البلاد ثم زحف على بلاد بابل بجيوشه الفارسية وقد حمل (دارا الأول) على بابل فخرج فخر لملاقاة ملكها (ندين توبيل) بجيوشه العراقية والتقى الملكان بالقرب من دجلة في الأراضي الآشورية فأنكسر الجيش العراقي فاضطر الى الانسحاب فعبر دجلة ونزل على ساحل الفرات فلحقه دارا وهناك حدثت حرب شديدة أنخذل وتراجع البابليون وانهزموا إلى عاصمتهم (بابل) وتحصنوا فيها . أما الملك الفارسي دارا فإنه استمر بالمسير والتقدم بعد هذا النصر حتى ألقى الحصار على مدينة بابل فدافع ملكها ومن معه الدفاع المستميت أياما حتى عجزوا عن مقاومة الفرس لكثرة عددهم فسقطت عاصمتهم سنة ٥١٩ ق.م. ودخلها الفرس ظافرين منتصرين بعد ان قتل ملكها (ندين توبيل) الملقب (بنوكد الثالث) الذي لم يملك غير سنتين تقريباً قضاها في إعداد المعدات الحربية دفاعاً عن حقه وحفظاً لاستقلال بلاده وعندما سقت بابل سلمت جميع المدن العراقية لدارا وخضع لحكمه الحضر والبدو له وبعد ان نظم شؤون البلاد ولى عليها حاكماً عاماً أحد قواده المدعو (زو بيروس) (زبورا) وعاد إلى مقره ورجعت الأمور كما كانت.

وفي عهد كورش واشتغل العراقيون بالزراعة والتجارة وزادت ثروة بلادهم وعاشوا في بحبوحة الأمن والاستقرار تحت راية (دارا الأول) المشهور بالعدل وحب العمران.

ثورة البابليين الثانية على الفرس

مات دارا الأول وتولى عرش الفرس ابنه سرخس الأول (٤٨٥ق.م-٤٦٥ق.م) فخضع لسلطانه البابليون أول الأمر ثم ثاروا عليه سنة (٤٨١ق.م) وقتلوا الحاكم الفارسي (زو بيرس) الذي ولاه دارا وأعلنوا الاستقلال غير ان التاريخ لم يصلنا بسبب ثورتهم هذه ولا اسم الملك الذي أجلسوه على عرش مملكتهم أما الفرس فقاموا بإعداد جيشاً كبيراً بقيادة (مغابير) ابن زوبيروس المقتول في بابل فحمل عليهم هذا القائد وبعد عدة معارك ضارية انتصر الفرس واستولوا على عاصمتهم مدينة بابل وفتك بأهلها فتكاً ذريعاً ونهب هيكل الآلهة وأمر بهدمه وقتل رئيس كهنته وحمل خزائنه وتماثيله الى خزائن الملك سرخس وأسر عدداً كبيراً من ذوي الوجاهة والثروة والشرف وأستعمل منتهى العنف والشدة واضطهد أهل البلاد فخضعوا للقوة وضلوا خاضعين لعد تلك النكبة ولم تبدي منهم أي حركة او ثورة في عهد الملك سرخس الأول[1].وعهد خلفائه اردشد الأول[2] (٤٦٥-٤٢٤ق.م). وسرخس الثاني (٤٢٤-٤٢٣ق.م) ودارا الثاني (٤٢٣-٤٠٥ق.م) واردشير الثاني الملقب (منه مون) (٤٠٥-٣٥٨ق.م) الذي قاتله أخوه كيخسروا على الملك بمساعدة اليونان ففشلوا وعادوا إلى بلادهم وسميت رجعتهم رجعة ألاثني عشر ألف[3]. واردشير الثالث (٣٥٨-٣٣٨ق.م) ودارا الثالث (٣٣٨-٣٣١ق.م) الذي سماه بعضهم (قودومان) ولم تحركهم الاضطرابات الداخلية ولا ضعف الدولة الفارسية خصوصاً في عهد الملك الأخير دارا الثالث

---

[1] سرخس الاول يقال قتله احد قواده المدعو أدنا بانوس على أثر انكساره في حرب اليونان.

[2] اردك يسميه بعضهم (أرتجزريس) وبعضهم يسميه ارتحشتا و (ارتخشيارش) وعدوه من حكماء الفرس وعلمائهم وسماه بعضهم أزدشير وكان يلقب (دارازدست).

[3] على ان هذه الدولة الكيانية كثيراً ما كانت تعلن الحرب على اليونان طمعاً في بلادهم ولقد قامت بين الدولتين عدة حروب اشتهرت في التاريخ القديم.

الذي تبوأ عرش المملكة في وقت كانت فيه الدولة الفارسية ضعيفة جداً بسبب الاضطرابات والفتن فيها.

لم يتخلص العراقيون من الاستعمار الفارسي حتى حمل الاسكندر المقدوني على مملكة الفرس في عهد (دارا الثالث) الذي جلس على سرير الملك في الوقت الذي كانت فيه الدولة الفارسية في اضطراب مستمر فزادها هذا الملك ضعفاً واضراباً لعدم كفاءته وقلة تجاربه وانقرضت تلك الدول العظمى على يد بطل اليونان (الاسكندر) بعد ثلاث وقائع مشهورة كانت الأولى وقعة (الغرانيف) التي حدثت سنة ٣٣٤ق.م، والثانية وقعة (اسوس) التي جرت سنة ٣٣٣ق.م، والثالثة وقعة اربيلا (اربيل حالياً) التي وقعت ٣٣١ق.م، وهي التي قضت على تلك الدول وقرضتها من العراق بعد ان فتح الاسكندر جميع ما كان من البلاد والمستعمرات التي كانت تحت الحكم الفارسي عدا بلاد فارس التي استولى عليها بعد فتح العراق. ومحي الدولة الفارسية من عالم الوجود وبعد ان أنقرضت الدولة الكيانية الفارسية العظيمة المجد المترامية الأطراف على يد الاسكندر وتم الأمر في العراق لليونان بعد واقعة اربيلا ثم دانت لهم بلاد فارس بعد قتل دارا الثالث وبهذا أصبح العراق تحت حكم الاسكندر ثم انتقل إلى خلفائه السلوقيين وكانت مدة حكم اليونان في العراق (٢٠٥) سنوات سنة (٣٣١-١٢٦ق.م) وذلك منذ ان فتحه الاسكندر المقدوني إلى انقراض الدولة السلوقية اليونانية على يد البرتيين الفرس واتماماً لما سبق كانت بلاد العراق (مملكة بابل) في عهد الكيانية مربوطة بأتاوة تدفعها للدولة الفارسية كغيرها من الولايات وكان لها حاكم عام مطلق يدير دفة السياسة والإدارة والحرب معاً وكان بكل مدينة مجلس قضائي وفق شريعة البلاد لأن الفرس أبقوا قوانين البلاد كما كانت قبل الاحتلال وكان الحاكم الذي يتولى أحد الأقاليم يسمى (ساتراب) وفي رواية إنها كانت قد جعلت في كل ولاية ومدينة هيئة عدلة مؤلفة

من جماعة أكثرهم من كهنة الفرس أما الدين الرسمي للدولة الفارسية فهو دين (زردشت) او يطلق عليه (زورواستر) او زرادشت الذي ظهر في الفرس بين القرن العاشر والسابع قبل الميلاد وأدعى النبوة وانه مرسل من الله جاء من عنده بكتاب سماوي وقد جاء زرادشت بقوانين دينية ونظامات سياسية ومدنية ووضع لقومه كتاباً سمي (الزاندافستا) ضمنه جميع تعاليم وإرشاداته الدينية وعلى توالي الأعوام أصبحت شريعته رسمية في بلاد فارس وترك الفرس دياناتهم القديمة التي كانوا عليها منذ العصور الواغلة في القدم وهي عبادة القوى الطبيعية المختلفة وخاصة الشمس، كما كانت العرب تعبد الأصنام والأحجار الا ان هذا الدين لم ينتشر في العراق أيام الفرس لأنهم لم يجبروا أحد على اعتناقه ولذا لم يعتنق أهل العراق هذا الدين وظل منحصراً في الجالية الفارسية حتى مجيء الدولة اليونانية ثم الساسانية فكثر أتباع هذا الدين من الفرس لتوالي الحكم الفارسي على البلاد ولما جاء العرب المسلمون قرضتها بالتدريج كما فرضوا البقية الباقية من ديانة البابليين الوثنية التي قرضتها النصرانية قبل الفتح الإسلامي العظيم.

فيروز شابور (الانبار)

جاءت كلمة الانبار من أنبار الطعام وأحدها (نبر) مثل سدر ومعنى الانبار جميع الطعام من التمر والشعير[١]، ونبر الشيء رفعه ومنه المنبر بكسر الميم[٢]، والمنبر هو مرقاة أو مكان جلوس الخطيب وقد سمي منبراً لأرتفاعه وعلوه[٣].

---

[١] الرازي، محمد ابن ابي بكر ابن عبد القادر ، ومختار الصحاح (بيروت) ، ص٦٤٣.

[٢] الفيروز ابادي، مجد الدين محمد ابن يعقوب – القاموس المحيط، القاهرة، ج٢، ص١٣٧.

[٣] ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد ابن مكرم –لسان العرب (بيروت)، ١٩٧٥هـ، ص١٨٩.

وذكر أن موقع الانبار سمي أنباراً لأن فيه تخزن أنابير الطعام وكانت تسمى أيضاً (الأهراء)، وان كسرى ملك فارس كان يرزق قواته منها[1]. وإن الانبار سميت أنباراً لأن فيها تخزن غلال الطعام والانبار من النبر والنبر هو القراد (الجراد) وهو حشرة أصغر من القراد لسعتها مؤذية تجمع على (أنبار)[2]. والانبار إهراء الطعام وأحدها نبر ، ويجمع على أنابير وسمي الهري نبراً لأن الطعام إذا صب من موضعه أنتبر أي أرتفع، ولم يرد في القرآن الكريم ذكر كلمة نبر، أو أنبار أو منبر، وإنما وردت ألفاظ عديدة تقترب من معنى كلمة منبر مثل كلمة (العرش) في قوله تعالى {إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ}[3]. والتي تعني كرسياً عظيماً[4].

وكذلك مثل كلمة (المقام) في قوله تعالى {وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ}[5]، والتي تعني هنا المنابر على حد تفسير الطبري، كما وردت لفظة (كرسي) في قوله تعالى {اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ}[6].

---

[1] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (تاريخ الرسل والملوك)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، (مصر -١٩٦٠م)، ج١، ص٦١١.

[2] ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله، معجم البلدان، دار بيروت للطباعة والنشر.

[3] سورة النمل، الآية: ٢٣.

[4] الطبري، تفسير الطبري، (مصر -١٩٦٠م)، ص٨٤.

[5] سورة الدخان ، الآية ٢٦.

[6] سورة البقرة، الآية ٢٥٥.

ويذكر الاستاذ قيس حسين رشيد في كتابه(فيروز شابور) في صفحة ٢٥ أن هناك من يرى أن جميع هذه الألفاظ القرآنية لا تعني المنبر المعروف في العمارة الاسلامية[١]. تلك الكلمة التي حاول البعض ارجاعها إلى أصول حبشية في حين هي مشتقة من الجذر (نبر)[٢].

أما في الحديث الشريف فقد وردت كلمة النبر وهي تعني همز الحرف. قال رجل للنبي (ص) يانبي الله قال: لا تنبر باسمي " أي تهمز وفي رواية قال رسول الله (ص) إنا معاشر قريش لا ننبر" ، والنبر همز الحرف كما ورد في لسان العرب لأبن منظور وتكاد تجمع الأراء بأن الانبار قد سميت أنباراً لأنه كان يجمع بها أنابير الحنطة والشعير وأنها تعني بيت التاجر الذي يجمع فيه المتاع والغلال وأكداس البر وأحدها نبر وجمعها أنبار. ونبر الشيء نبراً : رفعه ويقال نبر في قرائته أو غناءه أي رفع صوته والنبر في النطق ابراز أحد مقاطع الكلمة وأنتبر الشيء أرتفع ويقال أنتبر الجرح أي تورم[٣]. وفي رواية مفادها ان الملوك الساسانيون[٤]، المتأخرين قد أختاروا هذه المدينة الحصينة لإقامة دور الصنعة، والانابير لأنها تتوسط أخصب أقاليم الدولة كما إنها ترتبط بعاصمتهم طيسفون[٥]،

---

[١] الف الدين، أمل متاب، المنابر العراقية حتى نهاية العصر العباسي، (بغداد –٢٠٠٨م)، ص١١.

[٢] الفيروز ابادي، القاموس المحيط، ج٢، ص١٣٧.

[٣] مصطفى إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، (اسطنبول) ، ج٢ ص٨٩٧.

[٤] ينحدر الساسانيون من مدينة اسطخر في إقليم فارس وقد عرفوا بالساسانيين نسبة إلى جدهم الاعلى (ساسان) كاهن بيت النار، في اصطخر.

[٥] طيسفون مدينة على بعد ٢٠ ميل جنوب العراق على الضفة اليسرى من نهر دجلة التي اصبحت مركزاً للحكم الساساني غزاها الرومان فأحرقوها سنة ١٦٢هـ. أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٥٥.

بواسطة قناة مائية صالحة للملاحة وإن كثرة هذه الأنابير هي التي جعلت تسميتها بهذا الاسم.

إذ أن كلمة الانبار تعني الأهراء وهي جمع نبر المشتقة كما يرى البعض من اللغة الفارسية القديمة (هم -بارة)، وهي في اللغة الفارسية الحديثة (أنبر)[١].

ونحن لا نتفق مع هذا الرأي ونرجح أصالة عربية الكلمة وقد تعددت الأراء التي تناولت تسمية موقع الانبار شأنها في ذلك شأن أغلب تسميات المدن الآخرى فقد ذكر الطبري أن نزول العرب أرض العراق وثباتهم فيها وإتخاذهم الحيرة والانبار منزلاً أنّ ختتصر (نبوخذنصر)[٢]. أمر أن يغزو العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم ولا أبواب ووطأ بلادهم فقتل رجالهم، واستباح أموالهم فخرجت طوائف منهم مسالمين فأنزلهم بختنصر أرض السواد على شاطئ الفرات فأبتنوا موضع عسكرهم فسموه (الأنبار)، كما أنه أتخذ الحيراً على النجف وحصن من كان عنده وحرسهم ثم خلا عن أهل الحيرة فأتخذوها منزلاً فلما مات بختنصر أنضموا إلى أهل الأنبار وبقي ذلك الحير خراباً[٣].

وذكر أن موقع مدينة الأنبار قد أتخذه بختنصر (نبوخذنصر) مكاناً لحبس أسرى العرب الذين حاربهم ولهذا سميت بهذا الاسم[٤]. واختلف التطيلي مع الطبري وياقوت الحموي في قومية الاسرى وأن كان قد أتفق معهم في أن موقع

---

[١] فرنسيس، بشير وعواد، كوركيس، نبذة تاريخية في أصول اسماء الامكنة العراقية . مجلد سومر (بغداد -١٩٥٢)، ج٨، ص٢٥٢.

[٢] تذكر المصادر الملك البابلي نبوخذنصر بصيغة (بختنصر) واعطيت له تفسير بأنه يعني أبن الصنم.

[٣] تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص٥٥٨.

[٤] الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٢٥٧.

مدينة الانبار كانت معسكراً للاسرى فقد أورد بأن المدين كانت معسكراً لجمع الاسرى اليهود[١].

ويورد الاستاذ جواد علي نصاً وضح فيه أن برخيا النبي لما قدم من نجران وأخبر بختنصر بما أوحى الله اليه وقص عليه ما أمر به من غزو العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم ولا أبواب وأن يطء بلادهم بالجنود فيقتل مقاتليهم ويستبيح أموالهم وأعلمه كفرهم به وأتخاذهم الهة من دون الله وتكذيبهم الرسل والانبياء، وبذلك وثب بختنصر على من كان في بلاده من تجار العرب وكان يقدمون عليه بالتجارات ويشترون من أراضيه التمروالثياب وغيرها فجمع من ظفر به منهم فبنى لهم حيراً على النجف وحصنه ثم ضمهم فيه ووكل بهم حرساً ونادى بالناس بالغزو فتأهبوا لذلك وأنتشر الخبر فيمن يليهم من العرب فخرجت اليه طوائف منهم مسالمين فأستشار بختنصر فيهم برخيا فقال:

إن خروجهم اليك من بلادهم قبل نهوضك اليهم رجوع مهم عما كانوا عليه فأقبل منهم وأحسن اليهم فأنزلهم بختنصر السواد على شاطئ الفرات فأبتنوا موضع عسكرهم به فسموه الانبار[٢]. وقيل ان بختنصر دخل على آلعرب وحارب

---

[١] كانت هناك حملتان لنبوخذ نصر على الممالك اليهودية الآولى عندما قام ملك يهوذا المدعو (يهوياقيم) بالتحالف مع مصر ضد البابليين إذ أرسل نبوخذنصر عام ٥٩٧ ق.م. قواته لمحاصرة أورشليم وقد مات يهوياقيم أثناء الحصار الذي أنتهى بأخذ ابنة يهوياقيم أسيراً إلى بابل مع النبلاء والحرفيين والقوات والحملة الثانية كانت عام ٥٨٦ق.م. عندما انضمت أورشليم إلى القوات المصرية ذد البابليين مرة اخرى وبعد انسحاب المصريين من فلسطين تحت ضربات الجيش البابلي حوصرت أورشليم واستسلمت من المجاعة وفقئت عينا (صدقيا) أخر ملوك يهوذا وأخذ أسيراً إلى بابل مع قسم كبير من السكان. (ساكز وهاري، عظمة بابل، ترجمة عامر سليمان، الموصل ١٩٧٩، ص١٧١.

[٢] المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج٣، ص١٦٠.

عدنان فأجتمع أكثر العرب ضده فقتل فيهم وأثخن ثم رجع إلى بابل[١]. بما جمع من سباياهم فألقاهم بالانبار فقيل أنبار العرب وبذلك سميت الانبار وخالطهم بعد ذلك النبط[٢]. ولم نجد ما يؤيد ذلك في النصوص السماوية التي ذكرت أعمال الملك نبوخذنصر (٦٠٥ – ٥٦٢ق.م)، وأورد ياقوت الحموي رواية مفادها ان الانبار هي حد بابل ويقال لها (الأهراء)، فلما دخل العرب إلى المدينة عربوا المفردة فقالوا لها الانبار.

ويعتقد الاستاذان طه باقر وفؤاد صفر أن المكان سمي بالانبار في القرن السادس الميلادي لأن قلعته أصبحت مخزناً كبيراً للساسانيين وان كلمة الانبار تعني ما تعنيه المفردة العامية (عنبار) ومعناها المخزن أو مكان خزن الحبوب. وعلى الأرجح أ، العرب هم من أطلق كلمة الانبار على المكان الذي كان يعرف من قبل الساسانيين (فيروز شابور) وأصبح هو الاسم الرسمي له ومنذ ذلك الحين (القرن السادس الميلادي) بدأت تختفي كل التسميات القديمة للمدينة واصبحت تعرف بأسمها الجديد (الانبار)[٣].

بينما ذكر المؤلف صاحب هذا الكتاب **(قاموس المصطلحات العشائرية والنسبية للقبائل العربية) (فيروز شاه)** أو الانبار بنص كتابه المذكور ، الانبار مدينة عراقية قديمة تقع *أطلالها* اليوم على ضفة نهر *الفرات اليسرى* وعلى بعد حوالي ٦ كم إلى الجنوب من صدر جدول الصقلاوية الحالي حوالي (٨كم) إلى

---

[١] تقع أطلال مدينة بابل على نحو ٩٠كم جنوب بغداد على ضفاف نهر الفرات الذي يشطرها إلى نصفين وقد سماها البابليون القدماء (باب-ايلي) أي باب الإله وكتبوا اسمها على هذا بالعلامات.

[٢] العزاوي، عباس، عشائر العراق، بيروت ، ج١، ص٣٧.

[٣] هناك مدينة ثانية تعرف بالانبار تقع قرب بلخ وتعد قصبة جورجان أرضها جبلية يكثر فيها الماء وبساتين الكروم ومبانيها من الطين (البغدادي) مراصد الاطلاع، ج١، ص١٢٠.

الشمال من مدينة الفلوجة، بناها سابور الثاني الساساني (٣١٠-٣٨١م) وقيل سابور الأول [١]، (٢٤١-٢٧٢م) وكانت تدعى الانبار (فيروز شاه)[٢]، وجاء في (نزهة القلوب) لحمد الله المتوفي سنة (٧٤٠هـ / ١٣٤٠م) أن مؤسس الانبار سابقاً هو الملك (مهراب قايانيان) وكانت معتقلاً لأسرى اليهود الذين سباهم بختنصر لذلك سميت الانبار ثم جدد بناءها سابور الثاني وقد أطلق عليه أسم (ميان مرقلان) اسم (بيريسايوراس)[٣]. وذلك عند وصفه حملة جوليان (٣٦٣م) كما انه وصف سورها المزدوج المنيع ، وقد كان للانبار مكانتها في زمن العرب إذ أتخذها الخليفة العباسي الأول ابو عبد الله السفاح (١٣٢هـ /٧٥٠م). عاصمة مملكته بعد القضاء التام على الدولة الاموية وهروب ملكها مروان ابن محمد حفيد مروان ابن الحكم شيخ بني أمية الملقب بـ (مروان الحمار)[٤]. بعد أن خسر المعركة في وقعة الزاب وهروبه إلى مصر ومقتله في قرية مصرية اسمها (بوصير) عام ١٣٢هـ، وبعد أن استقر السفاح في الانبار شيد لزوجته هند وهي بنت يعقوب المخزومي قصراً واشتهرت باسم أم سلمة وكانت قبل ذلك زوجة لعبد العزيز ابن الوليد ابن عبد الملك ابن مروان وبعد وفاته تزوجت بأخيه هشام بن عبد الملك وكانت جميلة وغنية جداً وتعتبر أول زوجة لخليفة عباسي وأنجبت له ولديه محمد وريطة. وقد ذكر (ياقوت)[٥]. إن ابا جعفر المنصور (١٣٦هـ/ ٧٥٤م) هو أخو السفاح سكن القصر أيضاً ردحاً من الزمن بعد وفاة السفاح ثم

---

[١] مفصل العرب واليهود في التاريخ، ص٨٤٠.

[٢] فيروز شاه: اسم فارسي قديم اطلق على الانبار قبل الإسلام.

[٣] بيريسايوراس: اسم الانبار الجديد الذي اطلقه القائد ميان مرقلان.

[٤] مروان الحمار هو لقب أخر الخلفاء الامويين مروان ابن محمد الذي قتل في مصر عام ١٣٢هـ ، وبها أنتهت بني أمية.

[٥] ياقوت الحموي، معجم البلدان، م١، ص٤٠١.

انتقل منه إلى العاصمة الجديدة بغداد (١٤٥هـ)، وقد قام اليهود المتواجدين بكثرة في مناطق الانبار بتسمية الرمادي بـ (فومبديثة) حيث كان تجمع اليهود من السبي البابلي وأسسوا فيها إحدى كبريات المدارس التلموذية (التوراة) ولفظة (فومبديثة) تعني باليهودية فهم البداة، والبداة ذكرها الياقوت في معجم البلدان ووصفها بكونها هي الجبة[١]، وطوسجان من العراق سواد الكوفة وقد ذكر (بنيامين التطيلي) الذي زار العراق في القرن الثاني عشر الميلادي أن الانبار هي فومبديثة[٢]. وإنه يقيم فيها نحو ألفي يهودي بينهم العلماء والفقهاء وبعد الفتوحات الاسلامية اصبحت الانبار مركزاً لتجمع الجيوش العربية والاسلامية لنشر مبادئ الدين الحنيف في أرجاء المعمورة بعد أن كانت تجمعاً ومسكناً وتجارة للفرس واليهود.

العصور التاريخية في العراق القديم
الواردة في الدراسة

١	العصر الحجري القديم	٢٠٠٠٠٠ق.م.
٢	العصر الحجري الوسيط	(انتهى بحدود ١٠٠٠٠٠ق.م)
٣	العصر الحجري الحديث	٨٠٠٠ق.م – ٥٠٠٠ق.م
٤	العصر الحجري المعدني	٥٠٠٠ – ٢٩٠٠ق.م
٥	عصور فجر السلالات	٢٩٠٠- ٢٣٧٠ق.م
٦	العصر الأكدي	٢٣٥٠-٢١٨٠ق.م

[١] الجبة: لا يزال هذا الاسم موجود لحد الان في الانبار.

[٢] فومبديثة: كلمة يهدوية اطلقت على الانبار كتسمية جديدة لها مدلولها الديني في التوراة.

٧	سلالة أور الثالثة	٢١١١-٢٠٠٣ق.م
٨	العصور البابلية	القديم ٢٠٠٣-١٥٩٥ق.م الوسيط١٥٩٥-١١٦٢ق.م الحديث٦٢٦-٥٣٩ق.م
٩	العصور الآشورية	القديم١٨١٣-١٣٦٥ق.م الوسيط١٣٦٥-٩١١ق.م الحديث٩١١-٦١٢ق.م
١٠	العصر الاخميني	٥٣٩-٣٣١ق.م
١١	عصر الاسكندر المقدون	٣٣١-٣٢٣ق.م
١٢	العصر السلوقي	٣١١-١٣٩ق.م
١٣	العصر الفرثي	١٣٩ق.م -٢٢٧م
١٤	العصر الساساني	٢٢٧م -٦٣٧م

ملوك العصر الساساني ٢٢٧-٦٣٧م

ت	الاسم	سنة الحكم
١	أردشير الأول (انتصر على الملك الفرثيارطبان الخامس)	٢٢٧-٢٤١م
٢	شابور الأول (سابور الجند)	٢٤١-٢٧٢م
٣	هرمز الأول	٢٧٢-٢٧٣م
٤	بهرام الأول	٢٧٣-٢٧٦م

٥	بهرام الثاني	٢٧٦-٢٩٣م
٦	بهرام الثالث	٢٩٣-٢٩٣م
٧	نرساي	٢٩٣-٣٠٢م
٨	هرمز الثاني	٣٠٢-٣١٠م
٩	ادر ترسي	٣١٠-٣١٠م
١٠	شابور الثاني (سابور ذو الاكتاف)	٣١٠-٣٧٩م
١١	اردشير الثاني	٣٧٩-٣٨٣م
١٢	شابور الثالث	٣٨٣-٣٨٨م
١٣	بهرام الرابع	٣٨٨-٣٩٩م
١٤	يزدجر الاول	٣٩٩-٤٢٠م
١٥	كسرى	٤٢٠-٤٢٠م
١٦	بهرام الخامس	٤٢٠-٤٣٨م
١٧	يزدجر الثاني	٤٣٨-٤٥٧م
١٨	هرمز الثالث	٤٥٧-٤٥٩م
١٩	فيروز الاول	٤٥٩-٤٨٤م
٢٠	بلاس	٤٨٤-٤٨٨م
٢١	قباذ الاول	٤٨٨-٤٩٦م
٢٢	جاماسب	٤٩٦-٤٩٨م
٢٣	قباذ الاول (للمرة الثانية)	٤٩٨-٥٣١م

٢٤	كسرى الاول أنو شروان	٥٣١-٥٧٩م
٢٥	هرمز الرابع	٥٧٩-٥٩٠م
٢٦	كسرى الثاني	٥٩٠-٦٢٨م
٢٧	بهرام السادس	٥٩٠-٦٢٨م
٢٨	بستام	٥٩٠-٦٢٨م
٢٩	قباذ الثاني	٥٩٠-٦٢٨م
٣٠	اردشير الثالث	٦٢٨-٦٣٠م
٣١	براز	٦٢٨-٦٣٠م
٣٢	كسرى الثالث	٦٣٠-٦٣٠م
٣٣	بوفانشير	٦٣٠-٦٣٠م
٣٤	بوران	٦٣٠-٣٦٢م
٣٥	جوشنسبند	٦٣٢-٦٣٢م
٣٦	ازارميدوخ	٦٣٢-٦٣٢م
٣٧	هرمز الخامس	٦٣٢-٦٣٢م
٣٨	كسرى الرابع	٦٣٢-٦٣٢م
٣٩	فيروز الثاني	٦٣٢-٦٣٢م
٤٠	كسرى الخامس	٦٣٢-٦٣٢م
٤١	يزدجر الثالث (في العراق) (في ايران)	٦٣٢-٦٣٧م ٦٣٢-٦٥١م

خلاصة الاستنتاجات لمدينة فيروز شابور (الانبار)

من خلال الدراسة والاطلاع على تاريخ الانبار قديماً ظهر مايلي:

١- الأنبار مأخوذة من مفردة (نبر) بسبب ما كان يجمع فيها من أنابير الطعام في مخازن لجمع الحبوب الحنطة والشعير.

٢- يذكر المؤرخون ان الملك البابلي الكلداني نبوخذنصر (٦٠٥-٥٦٢ ق.م) جعل المنطقة مكاناً لتجمع العرب لمقاتلتهم وقد انتصر عليهم وبعد ذلك أختارها لإقامة دور صناعة لانابير الطعام لقواته لمكانة المدينة الاقتصادية والعسكرية لكونها كانت أخصب الأقاليم.

٣- كانت منطقة الانبار شهدت استيطان الانسان العراقي منذ العصر الحجري القديم (٢٠٠٠٠٠ق.م) بدليل الشواهد المادية في النصوص المسمارية يعود لعصر أور الثالثة(٢١١١-٢٠٠٣ق.م) وعرفت الانبار قديماً باسم (رابيقوم) قرب الفلوجة وهي نفس اطلال مدينة الأنبار.

٤- عرف موقع مدينة الانبار في العصر البابل الحديث (٦٢٦-٥٣٩ق.م) باسم (مشيك) أو (مسكين) ثم أورد الفرثيون (١٣٩ق.م-٢٢٧م) أسماً أخر (بسيخانا) أما في العصر الساساني (٢٢٧-٦٣٧م) فقد ذاع اسم (فيروز سابور) على المدينة وهناك من يرى ان الملك الساساني سابور الأول (٢٤١-٢٧٢م) هو الذي أمر ببناء مدينة له في الانبار وسماها بالفارسية (سابور المنتصر).

٥- وقد عرفت أيضاً باسم مدينة (فوم بدثيا) أو (فومبديثه) كما سماها الدكتور أحمد سوسه في كتابه العرب واليهود في التاريخ عند اليهود إذ كان يقيم فيها اعداد كبيرة منهم وقد ساهمت في كتابة التلمود البابلي.

٦- وعرفت أيضاً باسم (برسابوراس) عند الرومان الذين هاجموا الانبار قيادة الامبراطور جوليان سنة (٣٦٣م).

٧- تقبلت الانبار الديانة المسيحية وشهدت أرضها بناء العديد من الأديرة والكنائس منذ أوائل القرن الثالث الميلادي وكونت مع مدينة الحيرة مهداً ملائماً للنشوء والانتشار بعد اعتناق ملوك المناذرة للديانة المسيحية ووردت تسميات لمدينة الانبار مثل (ابارون) و (اباريون) مع دخول القرن السادس الميلادي عرفها التاريخ باسم الانبار.

٨- كانت الانبار هي المدينة الحدودية بين بلاد بابل وبلاد آشور وكان يرد أسمها ضمن حملات ملوك الدولتين وتحملت المدينة من التخريب والتدمير من جراء الصراعات التي حدثت بعد انتهاء الحكم الوطني بسقوط بابل سنة ٥٣٩ق.م وبدأ عصور الاحتلالات الاجنية وهي الاخميني (٥٣٩ق.م-٣٣١ق.م) والسلوقي (٣١١-١٣٩ق.م) والفرثي (١٣٩ق.م-٢٢٧م) والساساني (٢٢٧-٦٣٧م).

٩- من الانبار تم فتح أول قناة ملاحية بين نهر الفرات ونهر دجلة والتي عرفت بأسم (حداقل) ثم نهر عيسى ثم الكرمة ثم الصقلاوية وكان لهذه القناة دور كبير في نقل البضائع الواردة من المدن السورية وبلاد الاناضول إلى العراق ومدن الخليج العربي والجزيرة العربية فضلاً عن وظيفتها في ري المناطق الزراعية الواقعة بين الفرات غرباً ودجلة شرقاً.

١٠- الانبار شهد اختراع الخط والحرف العربي فكان لأهلها الدور الريادي في تطوير الحرف النبطي المتطور أصلاً من الخط الأرامي.

اسماء مدينة الانبار عبر العصور التاريخية الواردة في الدراسة

ت	التسمية	الفترة التاريخية
١	ربقي	رابيقو رابيقوم العصور الآشورية (١٨١٣-٦١٢ق.م)
٢	مشيك مسكين	العصر البابلي الحديث(٦٢٦-٥٣٩ ق.م)
٣	بسيخانا	العصر الفرثي (١٣٩ق.م -٢٢٦م)
٤	برزج سابور بيروز سابور فيروز سابور فيروز شابور	العصر الساساني (٢٢٧-٦٣٧م)
٥	الانبار	عصر ما قبل الإسلام (نهاية القرن السادس الميلادي)

اسماء مدينة الانبار عند الأقوام

والدول الواردة في الدراسة

ت	التسمية	القوم أو الدولة
١	فومبديثا فوم بديثا	عند اليهود
٢	بريسا بوراس	عند الرومان
٣	ابارون اباريون	عند العرب في العصر الساساني
٤	الأنبار	عند العرب في نهاية القرن السادس الميلادي

معارك العرب المسلمين في عهد الخلفاء الراشدين

بدءاً من حروب الردة

ظهر الإسلام كرسالة سماويه حملها عرب الجزيرة العربية إلى الإنسانية جمعاء, وكان القرآن المنزل من الله سبحانه وتعالى يحوي الإيمان كله ولكنه لم يقرر شكل نظام الحكم لتكون عليه الحكومة الإسلامية ولم ينصص على كيفية تنظيم سلطاتها وإنما قرر الأسس الثابتة التي يجب إن يقوم عليها نظام الحكم تحقيقاً للعدالة والسبب في ذلك إن مصالح الناس تختلف اختلاف البيئات والأزمان والأحوال فرب قانون يحقق مصلحة في زمن ما يثير المفاسد في زمن آخر أو لأمة أخرى فلو شرع الله في القرآن احكاماً مفصلة محددة لأوقع المسلون في الحرج لاسيما أذا وجدوا إن مصلحتهم تتناقض مع تعاليمه لهذا كان من حكمة الله إن شرع في القرآن الأحكام الأساسية والمبادئ العامة التي لا تختلف باختلاف الزمان والمكان وترك الفروع والتفاصيل تتصرف فيها كل أمة وفق ما تراه بما يحقق مصلحتها على إن لا تشذ هذه الفروع عن الأحكام الأساسية التي قررها القرآن ونقلها وإيصالها بعد الإيمان المطلق بالله ورسوله إلى أبعد نقطه في الأرض عن طريقتين هما طريق الحوار والإقناع على الإيمان بالله ورسوله ونبذ عبادة الأوثان والأصنام والشمس والقمر والنار والأحجار والطريق الآخر هو السيف والحوار الممزوج بالقوة والشدة والسيف عند الضرورة بعد أن تتهيأ القوة والعقيدة الثابتة لإرهاب العدو وصدق الله في قوله تعالى {وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ }[الانفال] فعندما ظهر الدين الإسلامي الجديد في أرجاء الجزيرة العربية قام بنشر الدعوة نبينا محمد (ﷺ) ورسالة هذا الدين الحنيف الإيمان بالله ورسوله حاملاً المودة والرحمة والتسامح وكل المثل

العليا وسيلة وغاية إلى الحكمة والموعظة الحسنة إلا أن الإسلام لم يغفل قط ذلك الوجه الآخر للسلام وهو الحرب ولكنها ليست الحرب من أجل الحرب بل الحرب ضد كل معتدي أثيم وضد العدوان وأجاز القتال والحرب من أجل الدفاع عن النفس والعرض المال. ومن أجل إعلاء كلمة الله عز وجل ففي سبيل ذلك بدأت الغزوات والحروب في بدأ الدعوة وفي الفتوحات العربية الإسلامية لنشر وترسيخ الإسلام وكان للسيف دائماً مكان الشرف والعز وحروب التحرير والفتوحات وصلت إلى معاقل الفرس والرومان في الشرق والغرب.

ونال العرب والمسلمين ما يستحقونه من التقدير بفضل دينهم وإيمانهم المطلق وقدراتهم العسكرية المتميزة آنذاك وبسبب الإيمان والعقيدة التي ملئت قلوبهم منذ بداية سيرتهم وحتى نهايتها وصاحبتهم من معركة بدر في الحجاز حتى معركة القادسية الحاسمة حيث كانت الدعامة والركيزة الأساسية لتحقيق النصر على الأعداء في جميع الفتوحات الإسلامية وإتماماً للفائدة التاريخية المستنبطة من خلال المعارك علينا معرفة معارك العرب ضد الإمبراطورية الفارسية القديمة في عهد الخلفاء الراشدين ومنها معركة القادسية بدءاً من انتهاء حروب الردة الطاحنة وإخماد التمرد الذي قاده أبو مسيلمة الكذاب[١] . حيث وجه الخليفة (أبو بكر) همه الكبير لإشغال العرب المسلمين بالحروب الخارجية لتوحيد القبائل العربية بعد

[1] مسيلمة بن حبيب الملقب بالكذاب ولد في اليمامة في وسط الجزيرة العربية ونذكر بعض المصادر (تاريخ الخلفاء للسيوطي نشير إلى انه ولد قبل عام الفيل بوقت طويل وعاش في كنف الكنيسة مدة طويلة وكان يعلق صليباً من الفضة في عنقه ويردد الآية التي وردت في الإنجيل (إذا أردت أن تكون كاملاً فأذهب وبع كل أملاكك وأعطي الفقراء فيكون لك كنز في السماء) وكان مسيلمة يحسن اللغة اللاتينية لكونه سكن القدس سنين وله من الأولاد من زوجته الأولى (هاجر) التميمية ثلاثة هم: حبيب وشرحبيل وثمامة وقتل بعد الردة من قبل وحشي بن حرب في معركة اليمامة وقد تعدى من العمر مئة عام حسبما ورد في كتاب السيوطي.

تفككها أثناء حروب الردة التي راح ضحيتها آلاف المقاتلين من كلا الطرفين ونشر الدعوة الإسلامية من جهة ولأنها كانت من جهة أخرى حب العرب للغزو والقتال، حتى قرر الخليفة بعد استشارة مستشاريه من كبار الصحابة على تهيئة القبائل المنتشرة في أرجاء الجزيرة لتشكيل الجيوش الجرارة للخلاص من الاستعمار الفارسي والروماني لنشر الدين الإسلامي في كافة ربوع المناطق العربية المحتلة وكان يجاور العرب دولتان عظيمتان وكبيرتان استعمرت واحتلت الجزيرة العربية وما يجاورها لمئات السنين هما دولة الفرس المجوسية ودولة الروم المسيحية وكان لهاتين الدولتين من الملك والنفوذ والثروة مما يصعب مجابهتها قبل الإسلام لتفرق القبائل العربية وانضمام بعض العشائر العربية إلى الروم والى الفرس وبقيت بعض العشائر العربية المعروفة حتى بعد الإسلام يحاربون أبناء عمومتهم مع الأجنبي وهذا ما يقره المؤرخون العرب والأجانب. ولكن بعد الإسلام تهيأت القوة والظروف الجهادية والروح المعنوية للتخلص من الاستعمار والاضطهاد فبدأت معارك العرب ضد أعدائهم الفرس والروم في عهد الخلفاء الراشدين وخاصة معارك العرب في القادسية الحاسمة وفي معركة البويب عندما علم بلاط كسرى بوصول نجدات جديدة إلى القائد المثنى فنسي الفرس خلافاتهم، وأتفق رستم والفيروزان وتناسوا تقاسم السلطات والحكم بينهما وجهزوا جيشاً كبيراً سلموا قيادته إلى مهران الهمذاني وأمراه بأن يسرع إلى قتال العرب، ولما وصلت أخبار مهران إلى المثنى ترك مرج السباخ وتقدم إلى البويب حيث وصلها الجيش الفارسي وعسكر في الضفة الثانية من نهر الفرات وكانت النجدات تصل إلى المثنى تباعاً من المدينة المنورة وقد بعث مهران إلى المثنى يقول (أما أن تعبروا إلينا أو نعبر إليكم)، فأجابه المثنى بأن (أعبروا أنتم). عبر الفرس ونظموا صفوفهم ثم أشتبك الطرفان بقتال دامي أستمر ساعات طويلة ولما رأى

القائد الإسلامي المثنى أن النصر مشكوك فيه قرر الهجوم بنفسه على قائد الفرس وقتله لأضعاف معنويات قطعاته فدعى إليه (أنس بن هلال النمري) و (ابن مردي الفهر التغلبي) وهما من النصارى فحمل الثلاثة على مهران قائد الفرس، فلما رأى الفرس الخطر المحدق بقائدهم تجمعوا حوله لحمايته فاختلت صفوف الفرس فأستغلها العرب وشددوا الحملة عليهم ودفعوهم إلى النهر فأزداد الخرق بين صفوف الفرس فلم يستطيعوا الثبات فولوا هاربين وفرسان العرب يتعقبونهم وحينما أراد الفرس عبور النهر سبقهم المثنى الى الجسر وقطع عليهم طريق رجعتهم وحصرهم بين نارين والمقاتلين العرب يمضون بهم قتلاً حتى تمكن غلام نصراني من التغلب عليه فقتل مهران واستولى على فرسه واقتادها صائحاً (أنا الغلام التغلبي أنا قتلت المرزبان) ويقدر بعض المؤرخين ان أكثر من ثلثي الجيش الفارسي قد أيد في هذه المعركة ولم ينج منه إلا عدد قليل وقد قتل في المعركة مسعود شفيق المثنى وأنس بن هلال النمري النصراني فضمهما المثنى الى صدره وبكاهما ولم يفرق اختلاف دينهما من حبه ووجده عليهما وبدأت معركة القادسية.

بعد انتهاء معركة البويب تقدمت طلائع جيش المثنى فاحتلت ساباط وقرية بغداد وتكريت وأخذت تهدد المدائن، فأنتبه الفرس إلى هذا الخطر المحدق بهم فتشاوروا بالأمر فظهر لهم بأن لاطاقة لهم بصد جيوش المثنى ما لم تتوحد كلمتهم ويوفقوا بين قائديهم رستم والفيروزان اللذين كانا يتنازعان السلطان بعد أن خلي العرش بوفاة بوران. فنجح بعض ذوي النفوذ بالتوفيق بينهما بعد أن صور لهما الخطر العربي الذي يهدد تدمير هذا العرش الذي يتنازعان عليه. وهكذا اتحدت كلمتهم ووافقوا على تنصيب ((يزدجرد)) بن شهريار على عرش اجداده، وأخذوا يستعدون لصد الزحف العربي، فجمعوا جيشاً كبيراً أخذ يتحشد في المدائن.

فلما وصلت أنباء هذا الحشد إلى القائد العربي المثنى أدرك إنه غير قادر بقوته القليلة على صد تعرض هذا الجيش الكبير، لذلك قرر الانسحاب من المراكز التي أحتلها إلى ((ذي قار)) وكتب إلى الخليفة يطلب إليه المدد لإيقاف الزحف الفارسي المنتظر، ومن ثم مواصلة الزحف لتطهير أرض العراق من العدو.

نزل المثنى ((بذي قار)) ولم يفكر الفرس بتعقبه لأن رستم قائدهم الأعلى كان متشائماً ومعنوياته خائرة، لا يحبذ الاشتباك بقتال مع العرب بالوقت الحاضر وكان يفضل الدفاع وانتظار تقدم العراب نحو المدائن وصدهم عنها.

جيش سعد بن أبي وقاص

وصلت أنباء تحشد الفرس واتحاد كلمتهم إلى عمر بن الخطاب فدرس الموقف العام في جبهة العراق وسورية. فوجد أن قواته في العراق غير قادرة على مواصلة التقدم والدفاع في محلاتها الحالية ما لم تعزز بجيش كبير قادر على تحرير العراق. ولما كان الموقف في سورية يساعد على إرسال مثل هذا الجيش بعد أن تم تدمير الجيش الرومي في معركة اليرموك الفاصلة قرر الخليفة استنفار *القبائل العربية وارسال البعوث لحثها على الجهاد والتجمع في المدينة.*

وبعد فترة وجيزة تجمع جيش قوامه ٤ آلاف محارب انتدب لقيادته ((سعد بن أبي وقاص)) وطلب إليه اكمال تجهيز هذا الجيش وتسليحه وانجاز الاستعدادات لحركته.

والقائد المنتخب هو سعد بن مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القريشي الزهري.

نشأ في مكة وكانت صناعته بري السهام وصناعة القسي. وهو من أوائل المسلمين فقد أسلم وعمره سبعة عشر عاماً. اشترك في جميع الحروب التي دارت بين المسلمين وقريش، وكان من أمهر رماة السهام في الجيش الإسلامي،

حتى إنه كان في معركة ((أحد)) بجنب الرسول الكريم (ص) يرمي والرسول يناوله النبل ويقول له ((ارم فداك أبي وأمي)). وهو أحد العشرة المبشرة بالجنة الذين توفي الرسول وهو عنهم راض.

وكان سعد قائداً ممتازاً، ذا خبرة ومقدرة ودراية بفنون القتال، إدارياً حازماً راجح العقل، بعيد النظر، سريع القرار، قوي الإرادة، شجاعاً. ولقد وصفه عمرو ابن معدي كرب قائلاً:

((إنه متواضع في خبائه، عربي في غرته، اسد في ثاموره، يعدل في القضية، ويقسم بالسوية، ويبعد في السرية، يعطف علينا عطف الام البرة، وينقل الينا حقنا نقل الذرة)).

ولما حان وقت الحركة دعا عمر سعدا وزوده بنصائحه التالية:

((اني وليتك حرب العراق، فاحفظ وصيتي، فإنك تقدم على أمر شديد كريه، لا يخلص منه إلا الحق، فعود نفسك ومن معك الخير، واستفتح به، وأعلم ان لمل عادة عتادا، فعتاد الخير الصبر، فالصبر الصبر على ما أصابك أو نابك تجتمع لك خشية الله، وأعلم ان خشية الله تجتمع في أمرين: في طاعته واجتناب معصيته، وإنما اطاعة من اطاعه ببغض الدنيا وحب الآخرة، وعصيان من عصاه بحب الدنيا وبغض الآخرة وللقلوب حقائق ينشئها الله إنشاء، منها السر ومنها العلانية، فأما العلانية فأن تكون حامدة ذامة في الحق سواء، أما السر فيعرف بظهور الحكمة من قلبه ولسانه، وبمحبة الناس، فلا تزهد التحبب، فأن البنين قد سالوا محبتهم ، وان الله إذا أحب حببه إلى خلقه، فأعتبر منزلتك من الله بمنزلك من الناس، واعلم ان مالك عند الله مثل ما للناس عندك))[١].

---

[١] الطبري ، ج٣، ص٤٨٣.

انطلق سعد بجيشه من المدينة وكان يضم بعض ابطـال العـرب مثـل عمرو بن معدي كرب الزبيدي، وطليحة بن خويلد الاسدي، والاشعث بـن قـيس الكندي، وغيرهم من الزعماء كل على رأس قبيلته. وبعد مسيرة الجـيش أخـذت القوات تقبل تترى على المدينة تلبية لنداء عمر فيبعثها في أثر سعد لتنضم اليـه، كما انضمت اليه بعض القبائل العربية التي كان يمر بمنازلها. ولم يكد يقترب من ((زرود)) حتى بلغت قواته عشرين الف مقاتل. وقد أرسل عمر رسالة إلى أبـي عبيدة بن الجراح القائد العام في سورية يطلب فيها اليه إرسال قوة لتلتحـق بقـوة سعد في العراق.

افرز أبو عبيدة قوة مقدارها ستة الاف محارب بقيادة ((هاشم بن عتبـة بن ابي وقاص))، ابن اخي سعد وأمرها بالمسير نحو العراق.

أما قوة المثنى التي انسحبت إلى ذي قار فكانت ثلاثـة الاف محـارب انضم اليها ما يقارب الخمسة آلاف من القبائل المجاورة.

وحين بلغ سعد حدود العراق، أكتمل تحشد هذه القوات كلها عـدا القـوة المرسلة من الشام. وقبل حركة سعد من زرود أرسل قوة من ٥٠٠ فارس بقيـادة ((المغيرة ابن شعبة)) إلى جوار الابلة تلتحق هناك بالقوة التي سـبق أن افرزهـا المثنى في ((الغضى)) بقيادة جرير بن عبد الله العجلي لستر جناحه الايمن خـشية تقدم الفرس من ذلك الاتجاه.

وصول سعد إلى شراف

لبث المثنى في ذي قار ينتظر وصول سعد وقد وضع حاميات قوية فـي عدة مواضع حولها وهي ((الجل)) و ((شراف)) و ((الغضي)).

ولما وصل سعد إلى ((شراف)) توفي المثنى متأثراً من الجـرح القـديم الذي اصيب به في معركة الجسر. وقد استخلف قبل وفاته علـى قيـادة الجـيش

((بشير بن الخصاصية)). وقد كان أخوه المعني في منطقة بكر بن وائـــل يحـــثهم على الولاء للقوات العربية، فلما عاد إلى ذي قار وعلم بوفـــاة أخيـــه استـــصحب ارملته ((سلمى))، وذهب إلى شراف حيث قابل سعداً وشرح لـــه الموقـــف فـــي العراق وحدثه عن القبائل الموالية وغير الموالية. زانقسام الفرس وأنباء تحدشدهم، وبلغه بوصية المثنى التي ورد بها إلا يقاتل الفرس إذا اجتمع أمـــرهم والا يقـــتحم عليهم عقر دارهم وان يقاتلهم على حدود أرضهم. تزوج سعد ((سلمى))، زوجـــة المثنى ، وكان مثل هذا الزواج من بعض عادات العرب تكريماً لـــذكرى الـــزعيم الراحل وإكراماً لأرملته حتى تظل في مثل عزها وكرامتها اللتين كانتا تحياهما في حياة زوجها الأول.

موقـــف الطرفيـــن

موقف الجيش العربي

كان عمر على علم بحركات جيش سعد وتنقلاته بواسطة الرسائل التـــي كان يرسلها اليه سعد من حين لآخر، وعندما أخبره بوصوله إلى شراف أصـــدر اليه أمره بالتقدم إلى القادسية وقبول المعركة فيها. وجاء في هذا المر مايلي:

((إذا جاءك كتابي هذا فعشر الناس، وعرف عليهم وأمر على أجنادهم، وعبـــئهم، وأمر رؤساء المسلمين فيشهدوا، وقدرهم وهم شهود، ثم وجههم إلـــى أصـــحابهم، وواعدهم بالقادسية واضم اليك المغيرة بن شعبة في خيله، واكتب إلي بالذي يستقر عليه أمرهم))[1] .

استعدى سعد قادته وشاورهم بالأمر وقسم قطعاته إلى حضائر تتألف كل حضيرة من عشرة رجال وكانت الحضائر تعرف بذلك الوقـــت ((بالعرافـــات)).

---

[1] الطبري ، ج٣، ص٤٨٨، طبعة دار المعارف، سنة ١٩٦٢.

وجعل على كل عرافة عريفاً. ثم نظم منهم كتائب عين لكل منها قائداً ثم قسمهم إلى طليعة وميمنة وميسرة وقلب وساقة وأمر على كل منها أميراً[1]، واستعدى المغيرة وقوته من الآبلة.

وقد عين كل من: خالد بن عرفطة، نائباً للقائد العام، وزهرة بن عبد الله بن الحوية، قائداً للمقدمة، وشرحبيل بن السمط، قائداً للميسرة، وعبد الله بن المعتم، قائداً للميمنة، وعاصم بن عمر التميمي، قائداً للساقة، وسواد بن مالك التميمي، قائداً للطلائع، وسلمان بن ربيعة الباهلي، قائداً للمجردة، وحماد بن مالك الاسدي، قائداً للمشاة، وعبد الله بن ذي السهمين، قائداً للخيالة.

كما عين: زياد بن أبي سفيان، كاتباً أول للجيش، وعبد الرحمن بن ربيعة، للقضاء وتوزيع الفيء على الجند، وسلمان الفارسي، رائداً وداعية، مهمته جمع المعلومات وبث الاراجيف في صفوف الفرس ومنصبه يقابل اليوم منصب رئيس شعبة استخبارات الجيش.

وقبل حركة الجيش بعث الخليفة إلى سعد رسالة أخرى ورد فيها:

((إذا بلغت القادسية ، والقادسية باب فارس في الجاهلية، وهي أجمع تلك الأبواب لمادتهم، وهو منزل رغيب خصيب، حصين، دونه قناطر وأنهار ممتنعة، فتكون مسالحك (معسكراتك) على انقابها ويكون الناس بين المجر والمدر))[2].

تحرك سعد من شراف باتجاه العذيب وهي من مسالح الفرس الحصينة ذات بروج منيعة. وعندما وصلتها طلائعه توقفت حتى التحق بها سعد فقام باستطلاع المنطقة لوضع خطة لاحتلالها إلا انه تبين أثناء استطلاع ان الفرس قد أخلوا المدينة فتقدم العرب ودخلوها وعسكروا فيها. ومنها أخذ سعد يرسل المفارز

---

[1] الطبري ، ج٣، ص٤٨٨.

[2] الطبري ، ج٣، ص٤٩١.

والسرايا لاستطلاع أماكن الفرس وبث الرعب في نفوس أصحاب القرى المجاورة وجمع المواشي والطعام لتموين الجيش.

وفي العذيب جاءته من الخليفة وصايا حركات جديدة جاء فيها:

((أما بعد، فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله افضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة في الحروب، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم، فأن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم. وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله. ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة، لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعدتهم، فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة، والا ننصر عليهم بفضلنا إن لم نغلبهم بقوتنا، وأعلموا ان عليكم في مسيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون، فاستحبوا منهم، ولاتعملوا بمعاصي الله، وأنتم في سبيل الله، ولا تقولوا ان عدونا شر منا، فلن يسلط علينا وان أسأنا، فرب قوم قد سلط عليهم شر منهم، كما سلط على بني إسرائيل، لما عملوا بمساخط الله، كفار المجوس {فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً}. واسألوا الله العون على انفسكم، كما تسألونه النصر على عدوكم، أسأل ذلك لنا ولكم، وترفق بالمسلمين في مسيرهم، ولا تجشمهم مسيراً يتعبهم، ترفق بهم، حتى يبلغوا عدوهم والسفر للم ينقص قوتهم فإنهم سائرون إلى عدو مقيم، حامى الانفس الكراع ((الخيل))، وأقم بمن معك في كل جمعة يوماً وليلة يكون لهم راحة، يحيون فيها أنفسهم، ويرمون أسلحتهم وامتعتهم، ونح منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة فلا يدخلها من أصحابك الا من تثق بدينه، ولا يرزأ احداً من أهلها شيئاً فان لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها، كما بأتلوا بالصبر عليها، فما بروا لكم فتولوهم خيراً، ولا تنصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح، واذا وطئت أرض العدو أرض العدو فأنك العيون بينك وينهم، ولا يخف عليك أمرهم، وليكن عندك

من العرب أو من أهل الأرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه، فــان الكــذوب لا ينفعك خبره وان صدقك في بعضه، والغاش عين عليك، وليس عينا لــك، ولــيكن منك عند دنوك من أرض العدو ان تكثر الطلائع وتبث السرايا بينك وبينهم، فتقطع السرايا امدادهم ومرافقهم وتتبع الطلائع عوراتهم، وانتق للطلائــه أهــل الــرأي والبأس من أصحابك، وتخير لهم سوابق الخيل، فإن لقوا عدواً، كان أول من تلقاهم القوة من رأيك، وأجعل أمر السرايا أهل الجهاد، والصبر على الجلاد، لاتخص بها احدا بهوى، فتضيع من رأيك وأمرك اكثر مما حبيت بــه خاصــتك، ولا تبعــث طليعة ولا سرية في وجه تتخوف عليها فيه غلبة أو ضيعة ونكاية، فــاذا عانيــت العدو، فاضمم اليك أقاصيك وطلائعك، وسراياك، واجمع اليك مكيدتك وقوتك، ثــم لا تعاجلهم المنازلة، ما لم يستكرهك قتال، حتى تبصر عورة عــدوك، ومقاتلــة، وتعرف الأرض كلها كمعرفة أهلها بها، فتصنع بعدوك كــصنعه بــك، ثــم اذك احراسك على عسكرك، وتيقظ من البيات جهدك، ولا تؤت بأيسر ليس له عقــد الا ضربت عنقه، لترهب عدو الله وعدوك. والله ولي أمرك، وولي النصر لكم علــى عدوكم والله المستعان)).

تحرك الجيش العربي من العذيب بعد أن ترك فيها النساء والاطفال الذين استصحبهم المقاتلون معهم من المدينة وترك سعد فيها حامية بقيادة ((غالــب بــن عبد لله الليثي)).

وصل الجيش إلى القادسية فنزل سعد بحصن ((قديس)) ووزع قواته في اطرافه، وكانت هذه المنطقة واقعة بين نهر العتيق وخندق ((سابور)). يمتد هــذا الخندق من هيت حتى الكاظمة على الخليج، حفره سابور واقام عليــه المــسالح ليحمي ملكه من عرب البادية[1]. وبعد استطلاع المنطقة وجد قنطرة علــى نهــر

[1] "تاريخ الأمم الإسلامية" محمد الخضري، ج١، ص٢٠٦.

العتيق فأرسل قوة بقيادة ((زهرة بن الحوية)) عسكرت في منطقة القنطرة لتمنع دوريات الفرس من العبور والغارة على معسكراته في القادسية، ثم أخذ يرسل الدوريات باتجاه الحيرة وغيرها من القرى تجمع له المعلومات عن تحركات الجيش الفارسي، وبعث بالسرايا لتقوم بالغارات إلى النجف والفراض[1]، ومنازل القبائل المنتشرة في السواد يستاقون منها الدواب والماشية والغلال وألوان الطعام لجيشه.

موقف الجيش الفارسي

أما الفرس فقد أعلنوا النفير، وشرعوا بجمع قواتهم ، كماسبق ذكره. ولما علموا بتقدم سعد أخذوا يحرضون أهل المدن والقرى التي سبق ان أعلنت ولاءها للعرب في زمن خالد والمثنى علىَ الانضمام اليهم.

ولما شعر ((يزدجرد))بدنو الخطر عين ((رستم)) قائداً عاماً للجيش وأمره بالتقدم لصد زحف العرب. الا ان ((رستم)) تردد وتلكأ، وبعد ضغط شديد من قبل الملك والقواد إلى ساباط. ولما علم سعد بوصول الجيش الفارسي اليها كتب إلى عمر يخبره بذلك، وانه ينتظر عدوه في القادسية وفقاً للخطة المتفق عليها . فكتب اليه عمر يشجعه وطلب اليه ارسال وفد إلى ((يزدجرد)) يدعوه إلى الإسلام.

انتخبت سعد وفداً من أحد عشر شخصاً منهم النعمان بن مقرن وعاصم بن عمرو والمغيرة بن شعبة والمعنى بن حارثة وعمرو بن معدي كرب، وأمرهم أن يدعوا يزدجرد إلى الإسلام فان أبى فالجزية ، والا فالحرب. استقبل ((يزدجرد)) الوفد في قصره بالمدائن ووجه اليهم السؤال التالي: ((ما الذي أقدمكم هذه البلاد؟ أتراكم اجترأتم علينا لما تشاغلنا بأنفسنا)). فشرح له النعمان المهمة

---

[1] الفراض: جمع فرضة، وهي هنا ثغور الخاضة من الناحية الاخرى.

التي جاءوا من أجلها. ودعاه إلى اعتناق الإسلام، ثم قال له: ((فإن ابيتم فالجزية، فإن أبيتم فالمناجزة)). اغتاظ يزدجرد وتكلم بكلمات بذيئة بحق العر منافياً كل عرف وتقليد عسكري، فنهض المغيرة بن شعبة وتكلم بجرأة وحماسة، إلى أن قال: ((اختر: ان شئت الجزية، وان شئت السيف، أو تسلم فتنجي نفسك)).

اشتد غضب يزدجرد وفقد أعصابه واراد أن يأمر بقتل الوفد، الا أن اصحابه أشاروا عليه بأن ذلك مناف للقوانين الحربية ونتيجتها ستكون وبالاً عليهم وعلى أسراهم لدى العرب. فأمر أحد مرافقيه أن يجلب حمل من التراب وقال: احملوا على اشرف هؤلاء: ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن. ثم التفت إلى الوفد وقال: ((ارجعوا إلى صاحبكم فاعلموه اني مرسل اليه رستم حتى يدفنه ويدفنكم معه في خندق القادسية، ثم أورد بلادكم حتى اشغلكم بأنفسكم بأشد مما نالكم من سابور))[1].

قام عاصم بن عمرو فحمل التراب على كتفه وهو يقول: ((انا اشرفهم، انا سيد هؤلاء))، مع العلم انه لم يكن اشرف القوم بل اراد أن ينقذ اشراف العرب من الذل الذي أراده لهم يزدجرد. ولم يدر هذا الكسرى ما يخبئ له القدر وكيف سيزول ملكه على أيدي هؤلاء الابطال ويصبح شريداً طريداً. أصدر يزدجرد أمره إلى رستم بالحركة من ساباط إلى القادسية، فتقدم هذا بتشكيل المعركة. فكان الجالينوس في المقدمة ومعه ٤٠ الف مقاتل ورستم في القلب. والهرمزان على الميمنة. ومهران بن بهرام على الميسرقو، وذو الحاجب بهمن جاذويه يقود

---

[1] وسابور هذا أحد ملوك الفرس اغاظه اغارة عرب البحرين على إقليم فارس فسار اليهم بجيش لجب واجلاهم عنها وهاجم البحرين وفتك بأهلها ثم سار إلى هجر ففتك بعرب بكر بن وائل وتميم وعبد القيس ثم سار إلى اليمامة وقتل أهلها ومنها إلى منطقة عشائر بكر وتغلب وقتل عددا كبيراً مهم.

المجردة. وأفرز ساقه تسير خلف الجيش تعدادها ٢٠ الف مقاتل بقيادة لبيرزان وبلغ تعداد هذا الجيش ١٠٠ الف مقاتل وبعض المصادر تقول ١٢٠ الف. وقبل مغادرة رستم ساباط كتب إلى اخيه البندوان يقول: ((اما بعد فرموا حصونكم واستعدوا وأعدوا فكأنكم بالعرب قد قارعوكم عن أرضكم وبنائكم، وقد كان من رأيي مدافعتهم ومطاولتهم حتى تنقلب سعودهم نحوسا)).

وصل الجيش الفارسي إلى الحيرة وكان تقدمه بطيئاً جداً حتى انه لم يبلغ القادسية الا بعد أربعة أشهر من بدء حركته من المدائن لم تقع خلالها اية معركة كبيرة عدا ما كات تقوم به دوريات الطرفين من مناوشات طفيفة. وكان غرض رستم من هذا التأخير تعجيز العرب وتقليل رغبتهم في القتال ظناً منه ان يهنوا إذا لم يجدوا ارزاقنا تكفيهم أو أن يسأموا طول المقام فيعودوا إلى بلادهم.

ولما وصل الفرس القادسية كان يتقدمهم ثلاثة وثلاثون فيلاً بينها فيل سابور الابيض الذي كانت سائر الفيلة تألفه وتتبعه. فعسكروا أمام الجيش العربي وكان نهر العتيق يفصل بين الجيشين. بعث رستم إلى سعد يطلب اليه ارسال احد قادته للمفاوضات حول شروط الصلح والكف عن القتال. أرسل سعد المغيرة فخير هذا الفرس بين الإسلام أو الجزية أو القتال. ولما رأى رستم تعنته طلب ارسال شخص آخر، فذهب قائد ثان، فكان موقفه مشابها لموقف المغيرة ولم تفد معه وعود رستم بترغيب العرب بالمال والعدوة من حيث أتوا. ولما فشلت المفاوضات استعد الطرفان للمعركة. ان تردد القائد الفارسي وتخوفه وخور معنوياته وبطء حركته افقدته الروح التعرضية والمباداة. فسمح للعرب اكمال تحشدهم واستعداداتهم والتهيؤ لقبول المعركة في الأرض المنتخبة.

قــوات الطرفيــن

الجيش العربي

كان الجيش العربي يتألف من:

١- قوة المثنى بن الحارثة الشيباني وقد تسلم قيادتها بعد وفاتــه بــشير بــن الخصاصية وتعدادها ٨٠٠٠ مقاتل مؤلفة من ثمانية كتائب وهــي: كتيبــة المعنى وكتيبة جرير وكتيبة عصمه وكتيبة غالب وكتيبة عرفجه الاســدي وكتيبة هلال الربابي وكتيبة المثنى الجشمي وكتيبة شيت الحنظلي.

٢- الجيش الذي جاء مع سعد من المدينة وكان يتألف من سبعة فرق مجموعها عشرون الف مقاتل وهي: فرقة الاشعث بن قيس، وفرقة خميصة البارقي، وفرقة شداد الحضرمي، وفرقة عمر بن معــدي كــرب، وفرقــة يزيــد الحارث، وفرقة بشير الهلالي، وفرقة شرحبيل الكندي.

٣- القوة المرسلة من الشام بقيادة هاشم بن عتبة وتعدادها ســتة الاف رجــل وهي لاتزال في طريقها إلى القادسية وكانت طلائعها على وشك الوصول بقيادة القعقاع بن عمر التميمي وهي من الف رجل.

الجيش الفارسي

وكان يتألف من ١٠٠ الف إلى ١٢٠ الف مقاتل بقيادة رستم من ثلاثــة فيالق: فيلق الجالينوس وفيلق الهرمزان وفيلق مهران.

وصف أرض المعركة

كانت أرض القادسية يحف بها من الشرق خور من الفرات يسمى ترعة (الخضوض) أو (العتيق)، ويحيط بها من الغرب خندق سابور وهو 'ذ ذاك غــدير حفر لحماية أرض السواد من عرب البادية وقد اقيم عليه عدد من المــسالح لهــذه

الغاية. وكان يحمي ميمنة المسلمين مستنقع كبير. أمـا ظهـرهم فكانـت تحميـه الصحراء وخندق سابور. وقد وصفها سعد بأحد الكتب التي أرسلها إلى الخليفـة كما يلي: ((ان القادسية بين الخندق والعتيق، وان ما عن يـسار القادسـية بحـر اخضر في جوف لاح إلى الحيرة بين طريقين: أما أحدهما فعلى الطهـرة، وأمـا الآخر فعلى شاطئ نهر يدعى ((الخضوض)) يطلع بمن يـسلكه بـين الخورنـق والحيرة، وان ما عن يسار القادسية إلى الولجة فيض من فيوض مياههم)).

المعركة: **محرم سنة ١٤هـ، ايار، مايو، ٦٣٧م**.

قرر سعد قبول المعركة بين نهر العتيق وخندق ستبور لذلك لم يتحـرك من محله وسيطر على القنطرة المنصوبة على العتيق بواسطة مفرزة زهـرة بـن الحوية التي سبق٤ أن وضعها قربها. عندما وصل الفرس إلى العتيق بعث رسـتم إلى سعد يقول: ((أما أن تعبروا الينا وأما أن نعبر اليكم)). فأجابه سعد أن ((أعبر أنت)). فأراد العبور من القنطرة فنهاهم سعد قائلاً: ((لا ولا كرامة، هذا شيء قـد غلبناكم عليه فلن نرده اليكم)). استفاد الفرس من ظلام الليل فردموا جـزءاً مـن العتيق ووضعوا فيه القصب والرمل والبراذع ليعبروا عليه في الصباح.

وفي الصباح عبر الفرس إلى الجهة الثانية من العتيق على الردم الـذي أقاموه ليلاً ونظموا انفسهم بتشكيل المعركة: فقاد الهرمزان الميمنة. وقاد البيرزان الميسرة. وقاد الجالينوس القلب. وجلس رستم على سريره وقد نصبت لـه مظلـة كبيرة. وعبأ في القلب ثمانية عشر فيلاً عليها الرجال في صناديق خـشبية، وكـل فيل يحمل عشرين رجلاً، وقسم باقي الفيلة على المجنبتين، فوضع فـي الميمنـة ثمانية وفي الميسرة سبعة.

أما الجيش العربي فقد نظم صفوفه غربي القنطرة على الغرار نفسه، ميمنة – ميسرة – قلب. وكان كل قسم معبأ بثلاثة صفوف[1]:

في الصف الأول: الفرسان

في الصف الثاني: المشاة أصحاب الرماح والسيوف.

في الصف الثالث: الرماة حملة السهام والنبل.

وكان الفرسان يقفون في الأمام والى الجانبين لتمكين الرماة من مزاولة اعمالهم وللقيام بحماية الجانبين. وكانت هذه الصفوف تبدأ من أصل حائط قديس، وهو القصر الذي كان يشرف من فوقه سعد على الجند وعلى المعركة لانه أصيب بدمامل كانت تعوق حركته وقد استناب عنه نائبه خالد بن عرفطة. ثم دعا القادة وطلب اليهم ان يحفزوا جنودهم على القتال ويشدوا من عزائمهم. بدأت المعركة مبارزة بالسيوف جرياً على العادة التي كانت متبعة في ذلك الوقت، وكان سعد بن ابي وقاص قد اتفق مع قادة جيشه على اشارة البدء بالمعركة وهي أربع تكبيرات حيث قال: ((إذا سمعتم التكبير فشدوا شسوع نعالكم، فاذ كبرت الثانية فتهيئوا، فاذا كبرت الثالثة فشدوا النواجز على الاضراس واحملوا)). في التكبيرة الثالثة بدأت المبارزة بالسيوف كما سبق ان ذكرنا ولما كبر الرابعة وهي علامة الهجوم العام كانت الصدمة الهائلة. فتقدم الفرسان إلى الفرسان ودارت رحى الحرب تطحن الرجال واستمرت المعركة أربعة أيام سميت بيوم أرماث، وأغواث، وأعماس، والقادسية.

١-يوم أرماث.

عندما ألتقى الجيشان ابلى ابطال المسلمين بلاء فاق حدود التصور. وقد كان هؤلاء الابطال يقدرون كبر جيش فارس وعزيمته لذلك قرروا خوض

---

[1] الطبري ، ج٣، ص٥٥٩.

المعركة بعزيمة أشد وبسالة لا تعرف رحمة أو شفقة. ولما رأى الفرس شدة بأس العرب ومعنوياتهم العالية واقدامهم، قرروا تحطيم هذا الاقدام وخفض هذه الروح المعنوية، فوجهوا ثلاثة عشر فيلاً على أشد العرب حماسة للقتال وهم بني بجلة الذين كان يقودهم جرير بن عبد الله، ففرت خيلهم انفاراً وبقي الرجال والفيلة تكاد تبيدهم. ولما رأى سعد ما حل بهم طلب من بني أسد التقدم لنجدتهم فتقدموا بقيادة طليحة بن خويلد واستبسلوا بالقتال حتى تمكنوا من عزل الفيلة عن الفرس، الا ان الفيلة عادت فحملت عليهم، فأمر سعد قبيلة بني تميم بقيادة عاصم بن عمرو انقاذ الموقف. أمر عاصم جنده ((أن يذبوا ركبان الفيلة عنهم بالنبل وليستديروا الفيلة وليقطعوا وضنها)). فعملت الكتيبة ما أمرهم به، فاستدبروا الفيلة ورموها بالنبل فارتفع عواؤها والقت بركبانها فقتلوا وانقذت بجيلة واسد بعد أن فقدت اسد وحدها زهاء ٥٠٠ قتيل من خيرة رجالها. وانقضى نهار ذلك اليوم والقتال لايزال حامي الوطيس. وبعد الغروب بقليل رجع الجيشان كل إلى مواقعه يستعدان لمواصلة القتال في صباح اليوم الثاني. وقد سميت هذه الليلة بليلة (الهدأة)). ومن طريف ما يذكر ان سلمى زوجة سعد كانت واقفة بجواره تشاهد المعركة. ولما رأت الفرس يفتكون بفتيان بني أسد، جزعت وصاحت: ((وامثنياه ! ولا مثنى للخيل بعد اليوم)). ولا ننسى انها كانت زوجة المثنى قبل سعد- . وقد أثار كلامها سعد فلطمها وقال: ((أين المثنى من هذه الكتيبة التي تدور عليها الرحى)). ولم تطأطئ اللطمة رأس العربية الانوف بل قالت له: ((اغيرة وجبنا)) فخجل سعد وقال: ((والله لا يعذرني اليوم أحد ان لم تعذريني انت وترين ما بي)).

٢- يوم أغواث

في صبيحة اليوم الثاني تفقد العرب ساحة المعركة، وكذلك فعل الفرس فنقلت مفارز الطرفين الصحية القتلى والجرحى إلى الخلف. ولقد دفن العرب

قتلاهم في واد قريب من العذيب ونقلوا الجرحى لتقوم النساء بتمريضهم والعناية بهم. وبينما كانوا منهمكين في دفن الشهداء، ظهرت طلائع كتيبة الخيالة التي أرسلها ابو عبيدة من الشام، وكات هذه الكتيبة هي كتيبة القعقاع بن عمرو، وعددها ١٠٠٠ رجل كانت تسير كمقدمة لفرقة هاشم بن عتبة. وقبل وصولها ميدا المعركة قسمها القعقاع إلى عشر سرايا كل منها مؤلفة من ١٠٠ فارس وأمرها أن تتقدم سرية بعد أخرى، وان تكون المسافة بينهم مدى البصر، وذلك ليوهم الفرس بأن النجدة الآتية كثيرة العدد. وكان القعقاع أول الواصلين إلى الميدا، إذ وصله قبل استئناف القتال فسلم على القوم وبشرهم بالمدد. وقد سبق للقعقاع أن قاتل في العراق برفقة خالد بن الوليد وسار معه إلى الشام، لذلك كان خبيراً بأساليب قتال وتعبئة الفرس، وبعد استراحة قليلة تقدم القعقاع الصفوف وطلب المبارزة فتقدم اليه ذو الحاجب بهمن جاذويه ، فصاح القعقاع : يالثارات ابي عبيد وسليط واصحاب يوم الجسر، وكان هذان القائدان وصحبهما قد استشهدوا في معركة الجسر، فحمل عليه وأرداه قتيلاً. وكانت سرايا القعقاع تصل تترى تقوي معنوية العرب فزاد حماسهم وتقدموا بهجوم كاسح مزق صفوف الفرس شر ممزق. وقد ساعدهم على النجاح عدم اشتراك الفيلة بالقتال، لأن الفرس كانوا منهمكين باصلاح صناديقها التي انكسرت في معركة الأمس. ودارت المعركة طوال نهار ذلك اليوم، واستمرت في الليل حتى منتصفه، ويقال ان العرب استخدموا في هذا اليوم الابل بأن جللوها وبرقعوها ودفعوها تحمل على الفرس كأنها الفيلة فولت خيلهم نفاراً من منظرها، وكان تأثيرها عليهم كتأثير الفيلة على العرب في اليوم الأول. وفي منتصف الليل عاد الفريقان إلى مواقعهما يستعدان لمعركة اليوم الثالث. ولقد سميت هذه الليلة ((بليلة السوداء)). وفي الليل سحب القعقاع رجاله إلى منطقة قريبة من القادسية وطلب اليهم ان يتقدموا إلى ميدان المعركة في

الصباح سرية بعد أخرى على نحو ما فعلوا في الأمس،فان أدركهم هاشم بن عتبة فذاك، والا وجدواللناس رجاء المدد، فتتقوى معنوياتهم ويقدموا على القتال بحماس.

٣-يوم اعماس

في الصباح الباكر من هذا اليوم أخذ الطرفان يجمعان جرحاهما وقتلاهما، وقد خسر المسلمون في المعركة الفي قتيل والفرس عشرة الاف. وحين طلعت الشمس وقف القعقاع في المؤخرة ينتظر قدوم أصحابه. ولما وصلت السرية الأولى منهم كان على رأسها هاشم بن عتبة الذي وصل وجيشه قبيل طلوع الفجر، وقد فعل ما فعله القعقاع فقسم جنوده إلى سرايا وأمر أن تتقدم السرايا الواحدة بعد الأخرى، وبمسافات كيرة بينهما. فلما رآه الناس كبر وكبروا معه واندفع إلى القلب حتى بلغ النهر وهو يرمي العدو بالسهام، ثم عاد فكرر فعلته فلم يجرؤ أحد على مطاولته. أشرك الفرس في هذا اليوم الفيلة بعد أن تمكنوا من اصلاح صناديقها وأتخذوا حيطتهم لكل لا يصنع المسلمون بها مثلما صنعوا في اليوم الأول من المعركة فأحاطوها بفرسان يحمونها. الا أن الفيلة فقدت خواصها من جراء تعودها على خيل الفرس فلذلك لم تؤذ خيل العرب أيضاً، فدارت المعركة حول الفيلة وهي حيرى لا تدري من تضرب، وظل القتال سجالاً بين الفريقين، وفي هذه الأثناء وصلت للفرس نجدة من المدائن مؤلفة من الحرس الخاص للملك ((يزدجرد))، فاشترك في القتال الا ان ذلك لم يؤثر على معنوية العرب. ولما أشتد القتال وألفت الفيلة الموقف كان ركابها يسوقونها إلى صفوف العرب، فأخذت تفتك بهم مثلما فعلته في اليوم الأول. ولما رأى سعد سوء الموقف نتيجة حملة الفيلة سال بعض أسرى الفرس الذين دخلوا الدين الاسلامي عن نقاط الضعف فيها، فقالوا: عليك بمشافرها وعيونها.

أمر سعد القعقاع وعاصم بن عمرو بالهجوم على الفيل الابيض وحمال والربيل بالهجوم على الفيل الأجرب[1]. وكان هذان الفيلان أشد الفيلة ضراوة والفيلة كلها تتبعها. فترجل الفرسان الاربعة وتقدموا نحو الفيلين فوضعوا رماحهم في عيونهما فأصابوها اصابة بالغة فطرحوا من عليها وولوا الادبار. وكان الفيل الاجرب يركض تارة بين صفوف العرب واخرى بين صفوف الفرس وهو يصيح صياح الخنزير، ثم اندفع ووثب في النهر وتبعته باقي الفيلة بعد ان القت ركابها من فوق ظهورها وعبرت النهر هاربة لا تلوي على شيء، وعند عبورها نهر العتيق ارتفعت معنويات العرب فحملوا على الفرس، وكان القتال مريراً لأن الفرس بالرغم ن فقدانهم الفيلة كانت معنوياتهم لا تزال عالية، واستمر القتال دون توقف حتى أقبل الظلام. وخشي سعد أن يستغل الفرس ظلام الليل ويلتفوا حول جيشه من الجنوب مستخدمين مخاضة في نهر العتيق من ذلك الاتجاه، فأرسل طليحة وعمرا في سرية من الجيش لحمايتها ومنع الفرس من مباغتة الجيش العربي والاحاطة به من الخلف وأمرهم الا يغادروا مراكزهم في المخاضة الا بأمر منه. وكان القتال قد هدأ وتهيأ الطرفان للرجوع إلى معسكراتهم. ولما وصلت السرية إلى المخاضة ولم تجد الفرس قرر قائداها الالتفاف على الفرس ومباغتهم من الخلف. فانقسمت السرية إلى قسمين: قاد الأول طليحة وعبر العتيق وسار إلى الشمال حتى وصل الردم الذي أقامه الفرس على النهر، وكبر فارتاع الفرس وظنوا ان جيشاً كبيراً هاجمهم من الخلف. وتعجب العرب وظنوا ان الفرس فتكوا برجال المفرزة. أما القسم الثاني من السرية بقيادة عمر فقد أغار على جماعة من الفرس قرب المخاضة، وأدت هذه المباغتة إلى أن يجمع الفرس صفوفهم ويزحفوا لتخليص اخوانهم، ولما رأى ذلك القعقاع زاحفهم من غير اذن

---

[1] الطبري ، ج٣، ص٥٥٥.

سعد وتبعه بنو اسد والنخع وبجيلة وكندة ثم لحقهم باقي الجيش. فالتحم الجيشان بمعركة ليلية ضاربة وظلوا يتقاتلون بضراوة حتى الصباح، وقد أصاب الطرفين التعب والاجهاد نتيجة هذه المعركة التي استمرت ٢٤ ساعة. وسميت هذه الليلة (ليلة الهرير)).

٤-يوم القادسية

أخذ القعقاع يشجع الجنود ويحرضهم على مواصلة القتال قائلاً لهم: ان النصر أصبح قريباً وهو سيكون حليف الفريق الذي يصبر، وكان يصيح ((ان الدائرة بعد ساعة لمن بدأ القوم، فأصبروا ساعة واحملوا، فإن النصر مع الصبر)). فحمل العرب وأشتد القتال حتى جاء الظهر عند ذاك بدأت صفوف الفرس تضطرب خاصة بالاجنحة حيث تراجع ((البيرزان))و ((الهرمزان)) وبقي القلب صامداً وحده.

وفي هذه اللحظة هبت ريح دبور عاصف واطارات مظلة ((رستم)) عن سريره وهوت بالعتيق فزحف القعقاع بمن معه إلى السرير فهرب رستم واحتمى بظل بغل من بغال الحمل التي وصلت إلى الميدان، وقد ضرب هلال بن علقمة هذا البغل بسيفه وقطع حباله وهو لا يعلم ان رستم تحته فوقع الحمل على رستم وكسر ظهره فزحف والقى بنفسه في النهر، فرآه هلال وعرفه فأقتحم النهر وراءه وقتله ثم عاد وصعد على سريره وهو يصيح: ((قتلت رستم ورب الكعبة، الي الي))، فتجمع الجند حوله وهم يكبرون، ولما علم الفرس بمقتل قائدهم وهنت قوتهم وخارت عزيمتهم وتحطمت معنوياتهم، فتولى لجالينوس القيادة وأمر القلب بالانسحاب إلى خلف النهر معقباً الميمنة والميسرة التي سبق لها الانسحاب. ولما وصلوا محل الردم انهار بهم في النهر فتدافع التيار المحصور وجرف عدداً كبيراً

منهم، وقد استولى ضرار بن الخطاب على هلـم الفـرس الأكبـر، ((الـدرفش كابيان)).

أمر سعد القعقاع بالمطاردة، فتقدمت كتيبته تفتك بكل من تـصادفه فـي طريقها ثم تبعته كتيبة زهرة التميمي فلحق هذا بجالينوس وقتله، وبمقتله استـسلم عدد كبير من جيشه. خسر المسلمون في معركة الايام الثلاثة حوالي ٨٥٠٠ قتيل. أما قتلى الفرس فقد زادت على الاربعين ألف قتيل عدا الاسرى الذين لا يحـصى لهم عدد. واستولى العرب على أموال وذخائر كبيرة، ولما قسم سعد الفيء فـيهم بلغ ما أصاب الفارس ستة ألاف والراجل الفين. ولقد انتهت المعركة بنصر حاسم وفُتح الطريق أمام الجندي العربي إلى ايوان كسرى في عاصمة ملكه المغتـصبة، المدائن، تلك العاصمة التي أشادها في قلب العراق العربي، ومهدت هذه المعركـة السبيل لتقويض دولة الفرس والقضاء على سلطانهم، وكانت الفاتحة لتحرير عرب العراق من الاستبعاد.

الزحف نحو المدائن[1]

أقام سعد في القادسية بعد انتهاء المعركة مدة شهرين أعاد خلالها تنظيم قواته, ثم استأذن الخليفة بالتقدم نحو المدائن, فأذن له. وفي أواخر شوال سنة ١٥ ه تحرك الجيش العربي تتقدمه مقدمه بقيادة((زهرة بن الحوية)) اصطدمت بعناصـر من الفرس قرب((البرس)) وانتصرت عليهم ثم واصلت التقدم نحو بابـل فعبـروا النهر اليها على جسر نصبه حاكم البرس الفارسي الذي استسلم إلى زهرة.

[1] وهي ((طيسفون)) وتسمى اليوم ((سلمان بك)) وقد اتخذها الساسانيون عاصمة لهـم فـي القرن الثاني للميلاد.

استولى زهرة على بابل و((كوثى)) واستمر بالتقدم حتى وصل ((بهر ثير)) وهي حي من أحياء المدائن, وتقع في الضفة الغربية لنهر دجلة أمام المدائن الكائنة في ضفته الشرقية, فطوقها منتظرا وصول القسم الأكبر. ولما وصل سعد نصب حولها ٢٠ منجنيقا أخذ يقذف بواسطتها حمم الحجارة. وبعد حصار استمر تسعة أشهر هرب أهل المدينة إلى الضفة الشرقية وسلموا مدينتهم بعد أن أحرقوا الجسر الواصل بينها وبين المدائن, وجمعوا كافة ألزوارق منها وسحبوها إلى الضفة الأخرى.

معركة المدائن

كانت المدائن عاصمة الفرس تتألف من عدة مدن متجاورة تقع على ضفتي نهر دخله. إذ كان من عادة ملوك الفرس أن يبني كل منهم مدينة خاصة به. ولقد بلغ عدد هذه المدن السبع وهي:- بهرشير, اسنانير, جندي سابور, درزيجان, رومية نوينافان, كسر ذافان. لقد استولى الجيش العربي على بهرشير الواقعة على ضفة دجلة الغربية, وأقام سعد فيها يرسم الخطط لعبور دجلة والاستيلاء على المدائن الوقعة في الضفة الشرقية. فاستطلع النهر استطلاعا دقيقا حتى عثر على مكان يمكن العبور منه دون أعطاء خسائر كبيرة. وكان هذا المكان في منعطف النهر جنوب المدائن ويتميز بأنه ضيق ومياهه غير عميقة, وبعيد عن مركز تحشد القوات الفارسية المدافعة عن المدينة. وبينما كان سعد يستعد للعبور انسحب يزدجرد من المدائن حاملا أمواله وتوجه إلى حلوان, وتبعه عدد كبير من أهل المدائن الفرس الذين توطنوها أبان فترة احتلالهم للعراق, تاركا حامية قوية تؤخر العرب فيها لأطول مدة ممكنة. سمع سعد بانسحاب الفرس, فقرر العبور بسرعة مستغلا انخفاض مستوى الماء في النهر لان الموسم كان صيفا تقل فيه مياه النهر. وقد جمع قادته وقال لهم: ((أن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر فلا

تخلصون أليه وهم يخلصون أليكم متى شاءوا فينا, وشونكم في سفنهم وليس وراءكم شيء تخافون أن تؤتوا منه فقد كفاكموه أهل الأيام[1] وعطلوا ثغورهم وأفنوا ذادتهم, وقد رأيت من الرأي أن تبادروا جهاد العدو بنياتكم قبل أن تحصركم الدنيا, إلا إني قد عزمت على قطع هذا البحر اليهم)). وبعد دراسة للموقف وافق القادة كافة على العبور بسرعة.

خطة العبور

١- تعبر كتيبة عاصم بن عمرو وكانت تسمى كتيبة الأهوال وهي مؤلفة من ٦٠٠ فارس إلى الضفة الشرقية خوضا وسباحة وتؤسس رأس جسر فيها وتطرد الفرس بعيدا عنها حتى لا يؤثروا على بقية الجيش العابر.

٢- تعقبها مباشرة في الموجة الثانية كتيبة القعقاع المسماة بالخرساء.

٣- بعد تأسيس رأس الجسر وتوسيعه بالكتيبتين أعلاه والاستيلاء على زوارق الفرس في الضفة المستولى عليها.

ولقد اعتمد نجاح العبور على عنصر المباغتة حيث لم يتوقع الفرس عبور العرب بمثل هذه الطريقة.

العبور

اختار عاصم ستين فارسا من كتيبته تقدموا في الموجة الأولى وقد قسمهم إلى قسمين بالنسبة إلى نوع الخيل فجعل الاناث لوحدها والذكور لوحدها. كانت أول زمره عبرت مؤلفة من:- أصم اليتم, الكلج, أبو مفزر, شرحبيل, حجل العجلي, مالك بن كعب الهمداني, غلا من بني الحارث. ثم

---

[1] اهل الايام: هم القوات العربية التي قاتلت الفرس في العراق قبل معركة القادسية مع المثنى وخالد بن الوليد.

تبعهم باقي الستين، ثم باقي كتيبة الأهوال ثم الكتيبة الخرساء. لما وصلت الموجة الأولى قرب ضفة النهر الشرقية هجمت عليها دوريات الفرس التي كانت تراقب النهر, فدارت معركة ضارية في الماء انتصر فيها عاصم وتمكن من تأسيس رأس جسر قوي. وجمع الزوارق التي وجدها في هذه الضفة وأرسلها إلى بهرشير لنقل القسم الأكبر من الجيش. ولقد حاول قائد الفرس شهريار بن سابور القيام بهجوم مقابل لتحطيم رأس الجسر الذي اخذ عاصم يوسعه, الا أنه فشل خاصة بعد نجاح عبور الكتيبة الخرساء. وعندما تكامل عبور الجيش العربي تحطم هجوم شهريار واخذ يتراجع تحت ضغط الموجات العربية وهجماتها الشديدة. لم يصادق العرب أية مقاومة في المدائن حيث هرب الجيش واستسلمت المدينة. وقد استولى سعد على خزائن كسرى وكانت تقدر بالملايين. فوزع الفيء على الجند فأصاب الفارس ١٢ ألفا والراجل ٤ ألاف وبعث بالأخماس إلى بيت المال في المدينة.

المطاردة إلى حلوان

بعد فتح المدائن سير سعد جيشا تعداده ١٢ ألف مقاتل بقيادة هاشم بن عتبة لمطاردة الفرس وحدد لهم الوصول إلى حدود العراق العربي وعدم التوغل داخل الأراضي الفارسية. ولقد قاد القعقاع مقدمة هذه القوة. وصل هاشم إلى جلولاء فرأى الفرس قد تحصنوا فيها واستعدوا للقتال فحاصرها مدة ثمانين يوم, وكانت المعارك تدور حول الأسوار حيث كان الفرس يخرجون منها ويشنون الغارات على العرب, ولما يئسوا من فك الحصار قرروا الهجوم بمعظم قواتهم مستعذبين الموت في سبيل النصر. وكان يقودهم مهران وقد دارت معركة حامية لا تقل هولا عن معارك القادسية. استمر القتال حتى حلول

الظلام ولما خارت عزيمة الفرس أرادوا العودة إلى حصونهم فسبقهم العرب اليها ومنعوهم من عبور الخندق إلى الحصن فتفرق شملهم وفروا حلوان بعد أن خسروا عدد كبيرا من القتلى. تعقب القعقاع الفارين فلحقت طلائعه بمهران قائد الفرس في خانقين وقتله. وفر الفيروزان الذي كان ينتظر في خانقين إلى حلوان وشرح ليزدجرد فداحة المصيبة التي حلت بهم في جلولاء, فترك هذا حلوان إلى((الري)). ولما وصل القعقاع إلى حلوان خرج إليه حماتها فقاتلوه قتالاً شديداً ثم انهزموا أمامه ودخل المسلمون المدينة وضربوا الجزية على أهلها وعلى من حولها من الكور والأقاليم. وبعد هذه المعركة أستأذن سعد الخليفة بمطاردة الفرس إلى عقر دارهم بعد أن تحرر العراق العربي منهم. لكن عمر آثر الحذر فخالف بطل القادسية برأيه وكتب إليه يقول: ((وددت لو أن بين السواد والجبل سداً لا يخلصون إلينا ولا نخلص إليهم ، حسبنا من الريف السواد، إني آثرت سلامة المسلمين على الأنفال)).

تمت معارك التحرير في العراق بنصر باهر للعرب تحققت بنتيجة آمالهم القومية بتحرير هذا الجزء العربي من الاستعمار الفارسي. والدينية بنشر الإسلام في ربوعه وإبعاد الخطر الفارسي عن حدود الجزيرة العربية. لقد تجلت في معركة القادسية عظمة الروح المعنوية التي غرسها الإسلام في نفوس العرب. فكانوا يحاربون عن عقيدة وإيمان بقضية عادلة، عكس الفرس الذين لا هدف لهم أو عقيدة يحاربون من أجلها، كما تجلت فيها روعة القيادة العربية التي تمثلت بالقائد العام سعد بن أبي وقاص وقادته الآخرين من أمثال هاشم بن عتبة وزهرة بن الحوية والقعقاع وعاصم، فبرزت هذه بصورة واضحة بانتخاب سعد لأرض المعركة وإجبار رستم على قبول المعركة فيها. ولا شك أن التفوق بالقيادة والمعنويات كان ولا يزال من العوامل التي تتوقف

عليها نتيجة الحرب. وقد أثبت التاريخ العربي في صدر الإسلام إن العرب ربحوا معاركهم كافة بفضل تفوقهم بهاذين العاملين بالرغم من تفوق أعدائهم عليهم بالعدد والعدد.

لقد انتصر العرب في معركتهم هذه نتيجة لعوامل أوجزها بما يلي:

١- تفوقهم بالقيادة.

٢- تفوقهم بالمعنويات.

٣- روح التعرض التي امتازوا بها على عدوهم المتخاذل المتخوف.

٤- إجبارهم الفرس على قبول المعركة في المحل الذي اختاروه لها في أرض القادسية.

٥- تردد القائد العام الفارسي وتلكؤه في التقدم مما سمح للعرب إكمال تحشدهم واستعداداتهم.

٦- البطولة الفردية النادرة التي أمتاز بها بعض الفرسان العرب لدى مهاجمتهم فيلة الفرس والقضاء عليها مما أثر على ميزان القوى فرجحت كفة العرب.

الحياة الفكرية عند الفرس

الأمة الفارسية من المناطق التي كان لها ثقلها وأهميتها ومكانتها العلمية والأدبية وفي العلوم كافة حتى أنها كانت مركز استقطاب الكثير من العلماء الذين رحلوا إليها وقصدوها طالبين العلم ثم إن علماء فارس كانت لهم صلات ومراسلات بينهم وبين علماء بغداد وغيرها من المدن وكانت بغداد المركز الأول في المعرفة والازدهار الفكري والحضاري وهذا التواصل بين مركز الدولة وأطرافها يبين لنا وحدة الثقافة في العالم الإسلامي ومرد ذلك في معظمه إلى اللغة العربية وقدرتها على الاستيعاب لأنها لغة السياسة والثقافة والإدارة لقد كانت اللغة العربية لغة القرآن والدواوين والثقافة بالنسبة للعالم الإسلامي فاللغة اللاتينية بالنسبة للعالم الأوربي في العصور الوسطى فهي اللغة والواسطة المهمة للعلاقات بين شعوب الدولة الإسلامية الواحدة، ولكن هل كان كل الفرس ميالين إلى اللغة العربية وثقافاتها والدين الإسلامي الراجح إن واقع الحال لا يشير إلى ذلك فيما نقلت الأحداث والصور بداية ظهور وتعاظم حركات الزندقة والشعوبية الفكرية طروحاتها التي نالت الدعم والتأييد من طبقات النبلاء والدهاقين ورجال الدين والزرادشت ضد هذه النزعة[١]. ولهذا لم يكن هؤلاء من المتحمسين لانتشار اللغة العربية أو الإسلامية بين الفرس لأسباب قومية وعقائدية واستمرت هذه الطبقات تتداول أساطير الملوك والفرس القديمة في مجالسها ولم تهتم بتاريخ بلاد فارس في العصر الإسلامي ولعل ذلك من أهم الأسباب في عدم كتابة المؤرخين الفرس لكتبهم باللغة الفارسية حينها أدرك بعض المؤرخين أن من العبث كتابة تاريخ فارس الإسلامي لمجتمع لا يهمه التاريخ حتى لو كتب بالفارسية وهذا مما دفع العديد من المؤرخين ذوي الأصول الفارسية كالطبري والدينوري وأبن قتيبة

---

[١] د.علي حسن غضبان، البويهيون في فارس، ص٢٦٣، دار مكتبة عدنان، شارع المتنبي، ٢٠١٤.

وغيرهم إلى اتخاذ النموذج العربي في الكتابة التاريخية وكانت الثقافة الفارسية على مر العصور كتبت باللغات الفارسية الآتية[1]:-

١- اللغة الفارسية القديمة التي استعملت أيام الدولة الاخمينية (٥٥٠ -٣٣٠م) متمثلة بالنقوش الصخرية فيما كتب زرادشت أو أحد تلاميذه (كتابة الافستا) بلغة إلافستا وهي لغة شقيقة للفارسية القديمة واللغة السنسكريتية وكلتاهما لا يتصلان بالفارسية الحديثة.

٢-غزو الاسكندر بلاد فارس وفتحها سنة (٣٣٣م) امتازت هذه المرحلة بخلوها من الآثار الأدبية وقد استمرت خمس قرون في ظل حكم الفرثيين (دولة الطوائف).

٣-ظهرت اللغة البهلوية أيام دولة الساسانيين (٢٢٦-٦٥١م) وأصبحت اللغة الرسمية للدولة والدين الزرادشتي وهذه اللغة وليدة اللغة الفارسية القديمة وقد ولدت بدورها اللغة الفارسية الحديثة.

٤-خلال الفتح العربي الإسلامي لبلاد فارس نتج عنه انه أسلم أكثر الفرس وحلت اللغة العربية محل الفارسية وأصبحت لغة الدولة والأدب.

٥-بدأ عصر النهضة الفارسي سنة (٢٣٦هـ -٨٥٠م) ثم أخذ يتضح كلما استطاعت فارس أن تتحرر من الخضوع لخلافة العباسيين في بغداد[2].

لقد كان للعرب تأثير كبير على الفرس منذ الوهلة الأولى التي دخل فيها العرب أرض فارس وبدا هذا واضحاً بعد حروب التحرير وكان هذا التأثير واضحاً بين أهالي فارس ويقول لوبون[3]، (ان تاثير العرب في بلاد فارس كان كبيراً في أمور الدين والعلوم واللغة، ولذلك أقبل بعض أهل فارس على تعلم اللغة

---

[1] عمر فاروق، الاستشراق، ص١٠٤-١٠٥.

[2] براون، تاريخ الادب في ايران، ٢٩-١٠.

[3] غوستاف، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، دار أحياء التراث ، ط١، ١٩٧٩م، ص٢٣٠.

العربية ويقول براون[1]، بذلك (إن المسلم سواء كان فارسياً أو تركياً أو هندياً أو أفغانياً أم من أهل الملابو، عليه أن تؤدي الصلاة يومياً بالعربية وأن يتلفظ بالشهادة أو ما في حكم ذلك من الصيغ الدينية .باللغة العربية لذلك وجب عليه أن يلم إلماماً ولو يسيراً بهذه اللغة فإذا تعمق فيها فقد استحق مكانة رفيعة ومنزلة عالية ونلاحظ إن لغات الشعوب التي اعتنقت الإسلام قد غمرها منذ البداية سيل من الألفاظ العربية يتكون من العبارات الغنية المتعلقة بالدين والفقه ثم من مصطلحات العلوم الوضعية التي نشأ في ظلال الحضارة الإسلامية تعذر على الشخص الذي يكتب بالفارسية أن تخلوا كتاباته من الألفاظ العربية حتى إن (شاهنامة)[2] الفردوسي لا يستطيع أن يدعي إنها خالية من الألفاظ العربية كما يتوهم البعض وعقد المستشرق الألماني (اتولدكه) مقارنة بين أثر الحركة الهلينية في فارس والدين الإسلامي فقال (أن الحركة الهيلينية لم تمس من الحياة الفارسية إلا السطح والقشور، بينما استطاع الدين الإسلامي والحياة العربية أن ينفذ إلى حرارة الحياة الإيرانية ولبابها هذا فضلاً عن عدالة الدين الإسلامي وما يحتويه من تعليمات سمحة غير معقدة جعلت الناس تقدم اليه بلهفه أثرت تعليمات هذا الدين على الكثير من البلدان[3] و أصبحت اللغة العربية في فارس لغة أهل العلم والأدب وظل الفرس يكتبون الحروف العربية إذ صنف الاصطخري (٣٤٦ هـ– ٧٥ م) (مسالك الممالك) وألف أبو سعيد السيرافي النحوي (٣٦٨ هـ– ٩٧٩م), كتابه في

---

(١) تاريخ الادب في ايران، ص١٤.

(٢) الشاهنامة: تجمع ما وعى الفرس من أساطيرهم وتاريخهم منذ أقدم عهودهم حتى الفتح العربي الإسلامي وهي مرتبة ترتيباً تاريخياً وقد نظمها الفردوسي في خمس وثلاثين سنة وهي ستون ألف بيت من الشعر تشتمل على تاريخ الفرس وقد ذكرت فيها أحداث ٣٨٧٤سنة شملت الدولة البيشدادية والدولة الكيانية والاخمينية والهخامشية والدولة الاشكانية والدولة السامانية والشهنامة نظمها بالفارسية أبو القاسم الفردوسي ترجمها نثراً الفتح بن علي البنذاري قارنها بالأصل الفارسي وأكمل ترجمتها في مواضع وصححها وعلق عليها وقدم لها عبد الوهاب عزام، في دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٣٢م، من المدخل وما بعدها.

(٣) أرنولد، توماس، الدعوة إلى الإسلام، ص٢٣٧.

شرح كتاب سيبويه وأبو علي الفارسي (٣٧٧ هـ- ٩٨٧م) الذي صنف كتاب (الإيضاح والتكمله في النحو) وكذالك أبو حيان التوحيدي(٤٠٠ هـ- ١٠٠٩م) ألف(مثالب الوزيرين) و(الإمتاع والمؤانسة) ومن الجدير ذكره كانت هناك بعض المحاولات لاستعاده اللغة الفارسية وهذا من حقهم كشعب إيراني إلا إنهم وجدوا أنفسهم أمام لغة التشريع الإسلامي والولاة المسلمين ولغة أدباء فارس والمثقفين منهم يكتبون بخط عربي ولكن الأوضاع السياسية سرعان ما تبدلت وصارت معظم أقاليم بلاد فارس تحت سيطرة كيانات سياسية جديدة كالسامانيين(٢٦١- ٣٨٩ هـ) (٨٧٤م- ٩٩٨م) والسلاجقة (٤٢٩-٧٠٠هـ) (١٠٣٧-١٣٠٠م) والغزنويين٣٥١-٥٨٢هـ) (٩٦٣-١٤٤٨م) والخوارزميين (٤٧٠-٦٢٨هـ) (١٠٧٧- ١٢٣٠م) وكانت هذه الأقوام التركية تتبنى سياسة رعاية وتطوير اللغة الفارسية إذ غدت اللغة الثانية في العالم الإسلامي خلال تلك الحقبة التي شهدت ظهور كتب مترجمة وأخرى مؤلفة ففي العصر الساماني ترجم البلعمي تاريخ الطبري سنة (٣٥٣هـ/٩٦٤م) وترجم تفسير الطبري سنة (٣٧١هـ/٩٨١م) أما الكتب المؤلفة وكان أشهرها كتاب الشاهنامة الذي بدأه الدقيقي[١]. وأكملها الفردوسي والتي أصبحت دستور الحياة والمرشد المهم لفئات من الدهاقين والنبلاء الفرس.

فيما لم يكن الترك قانعين بكل ما كتبه الفردوسي من تمجيده للزرادشتية ولم يسمحوا بانتشار أرائه أو وجهات نظر معارضة للاسلام أو منافية له لأن فئة من هؤلاء كانوا قد دخلوا الإسلام لأسباب عقائدية ولقد مرت حقبة انتقالية شاركت فيها اللغة الفارسية بعد إحيائها اللغة العربية في الثقافة والعلوم وظهرت كتب تاريخية فارسية خالصة لا تعتمد على مراجع عربية وقد حدث ذلك أواخر القرن الخامس الهجري حينما كتب (البيهقي) تاريخه المشهور بثلاثين جزء ثم توالت المؤلفات

---

[١]الدقيقي: وهو أبو منصور محمد بن احمد من شعراء القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي نظم الشاهنامة ويقال انه نظمها امتثالا لأمر الملك نوح بن منصور الساماني ٣٦٥-٣٨٧ه/٩٧٥-٩٩٧م) وهو من أكبر الشعراء الذين ظهروا في الوجود الفردوسي.

الفارسية باعتبارها ظاهرة ثقافية في القرن السادس الهجري وبعد هذه الحقبة يأتي الحكم المغولي لفارس فيحدث تغيراً مهماً في الكتابة التاريخية كما شجعت هذه المرحلة على ظهور كبار المؤرخين الفرس مثل علاء الدين الجويني (٦٨١هـ-١٢٨٢م) صاحب كتاب (جها نكشاي) ورشيد الدين فضل الله (٧١٨هـ-١٣١٨م) مؤلف كتاب (جامع التواريخ) وكان علم التاريخ لم ينل العناية والاهتمام عند الفرس حينما سادت اللغة العربية بوصفها لغة الثقافة والعلم وهذا ما كان من تأثير اللغة العربية في أهل فارس ولكن تأثير العرب لم يقتصر على هذه الناحية فقد تعداها إلى نواحي مختلفة وكان قويا في الأمور الدينية والفقهية والنحو والبلاغة والشعر والعلوم العقلية وكل العلوم التي اشتغل بها المسلمون ويقول براون (هذه العلوم هي في الغالب نتاج لأصول مشتركة انتفع منها العرب من أمم سبقتهم في الحضارة ولاسيما في حقبة مبكرة من العصر العباسي الأول والراجح انه يقصد العلوم العقلية التي انتفع منها العرب وطورها.

حركة إحياء اللغة والآداب الفارسية

إن الثقافة العربية الإسلامية التي انتشرت تدريجياً بعد فتح العرب لفارس حينما تمكن الإسلام من التغلب على ديانة الزرادشت فيما أصبحت لغة العب هي لغة الثقافة السائدة في فارس لكن تنوع مظاهر بداية المواجهة والرفض للحكم العربي بدأت في القرن الثاني الهجري فيما عرف عن الكتاب العرب والمسلمين بحركة (الشعوبية) التي أخذت شكلاً فكرياً أو عقائدياً أو تمرداً عسكرياً أو تآمراً على الدولة العربية الإسلامية لذلك ما انفكت هذه الدول بمواجهة الشعوبيين بشتى الوسائل الفكرية تحت الحكم العربي نراها حركة ردود فعل في مواجهة الاستئثار بالسلطة والإرادة عند الحكام العرب فهم يدعون أنفسهم (أهل التسوية).

وان بداية النهضة الادبية الفارسية بعد الإسلام كانت قصيدة فارسية لشخص يسمى (العباس) أنشدها ليستقبل بها الخليفة المأمون عند قدومه إلى مرو سنة(١٩٣هـ/٨٠٨م) وقد أنقسم المستشرقون في موقفهم من هذه القصيدة وصحتها ففي الوقت

الذي يؤيدها المستشرق (آيتيه) ويراها (كازمرسكي) منتحلة ويؤيده بذلك براوان والمستشرق الايطالي (بتزي) على أن اشعاراً فارسية نسبت إلى الشاعر الفارسي حنظلة الباذعيسي فيما نقل الينا (نظامي عروضي سمرقندي) بكتابه (جهار مقالة) أو المقالات الأربع ابياتاً للشاعر الفارسي (احمد الخجستاني) باللغة الفارسية يواجه فيها الدولة الصفارية (٨٦٧-٩٠٣م) وذلك سنة ٨٧٥م لكن المتفق عليه ان في مدى ثلاث قرون ونصف بعد الفتح العربي الإسلامي ان الشاعر المعروف (رودكي) ٩٠٤م والذي يعد أكبر شعراء الفرس في الحقبة السابقة لقيام الدولة الغزنوية (١١٨٦م) التي شهدت ظهور الشاهنامة فقد برز الرودكي على من عداه في قول الشعر حتى تفرد بالجزالة والعذوبة ومن شعره المشهور ماقاله بمدح الامير نصر بن احمد الساماني الذي حكم من سنة (٩٠٧-٩١٣م) خلال حقبة الدولة السامانية ٩٩٩ ويرى بعض النقاد أن الرودكي كان خبيراً بسائر العلوم والفنون والفضائل كما كان يجيد القول في سائر ضروب الشعر ولاسيما القصائد والمثنويات (وهي عبارة عن نظم المؤلف من أزواج من الأشطر كل أثنين منها متفقان في الرؤى مستقلان عن عداهما مما جعله عظيم الشأن ومقبول القول لدى الخاص والعام وازدحم شعراء الفارسية على باب السلطان محمود الغزوي سنة ١٠٣٠م أشتهر منهم الدقيقي والفرخي علي بن جولوغ السجستاني من شعراء السلطان محمود وله ترجمان البلاغة وهو بمثابة المتنبي عند العرب.

ومن المؤلفات الفارسية في عصر النهضة الأدبية الفارسية:-

١- بعض المقطعات[١]، والرباعيات[٢] والغزليات فضلاً عن المثنويات والقصائد التي قيلت في ذلك الوقت لتبلغ ذروتها عند الفردوسي.

٢- كتاب(ترجمان ألبلاغه) من وضع الشاعر الفرخي وهو من الشعراء المعاصرين للفردوسي.

---

[١] المقطعات: من ضروب النظم الشعرية استعارها الفرس من العرب ووصفوها على نسق المعلقات الجاهلية.

[٢] الرباعيات: ابتكره الفرس ونشأت في إيران ثم ظهر الشعر الصوفي.

٣- كتاب(غاية العروضين) وكتاب(كنز القافية) وكلاهما من وضـــع بهرامـــي السرخسي وكان معاصرا الفردوسي.

٤- نظم أبو مؤيد البلخي والبختياري قصة يوسف وزليخة بالفارســية لأميــر العراق الذي لم يصرح باسمه ولعله بهاء الدين بن عضد الدولة ثم نظمهــا الفردوسي بشكل أجود وأكثر رصانة لأمير العراق.

٥- كتبت بالفارسية الحديثة شاهنامات منهـا شـاهنامة أبــي علــي البلخــي والشاهنامة التي كتبت بأمر أبي منصور بن عبد الرزاق الطوسي نحو سنة ١٠٥٤م وهي أصل شاهنامة الفردوسي فيما يظن.

٦- نظم الشاعر العنصري (١٠٣٩م) شاعر سلطان محمود الغزنوني قــصة وامق وعذراء واربع منظومات أخرى.

٧- الكرديزي (١٠٥١م) عبد الحي بن محمود عاش في غزنة وصف كتابــه (زين الأخبار) تيمناً باسم السلطان زين الملة عبد الرشيد الذي حكــم مــن سنة ١٠٤٨ -١٠٥٢م في الدولة الغزنونية .

٨- الترجمة المنظومة التي قام بها (الرودكي) لكتاب (كليلــة ودمنــة) وهــي الترجمة التي بقي منها ستة عشر بيتاً مٍن الشعر محفوظة في كتاب (لغت فارس) لاسدي وهو عبارة عن معجم فارسي أنجزه أسدي سنة (١٠٦٠م) نشره (بول هورن) في طبعة جميلة وأنيقة وكتبت في كتاب تــاريخ الأدب في إيران .

٩- ابو عبد الله الأنصاري الشاعر الصوفي المتوفي في هراة ســنة (١٠٨٨م) كتب قصة يوسف وزليخة نثراً.

١٠- أبو نصر محمد بن عبد الجبار العتبي (١٠٨٩م) الذي ألف كتاب (تــاريخ اليميني) وهو تاريخ الدولة الغزنوية ودخل في خدمة الــسلطان ســبكتكين الذي حكم بين سنتي ٩٧٦ -٩٣٦م، ثم في خدمة السلطان محمود وأرخ له كتاب (تاريخ اليميني) وأبرز الوقائع والأحداث أيامه وكان قد عمــل فــي دواوين الدولة.

١١- فخري الجرجاني شاعر السلطان طغرلنك السلجوقي نظم قصة (ويس ورامين) .

١٢- نظامي الكنجوري توفي سنة ١٢٠٣م نظم خمس قصص عرفت (خمسة نظامي) منها ليلى والمجنون.

١٣- عطا ملك جويني توفي سنة ١٢٨٢م وكتاب (جهانكشاي) ويضمن تاريخ المغول والاليخانيين حتى سنة وتاريخ الدولة الخوارزمية وقلاع الاسماعيليين والصراع بين المغول والخوارزميين وغزو المغول للعراق وفارس والشام وأصبح هذا المؤلف كاتب هولاكو بالعربية والفارسية.

أصل البرتيون في التاريخ

البرتيون وهم سكان البلاد الجبلية في شرقي بحر قزوين وجنوبه كانت بلادهم قاحلة ويعيشون عيشة بدوية متنقلين في الجبال الواقعة بين هرقانيا ومرجيانا وقد خضعوا لحكومات مختلفة للاشوريين ثم للميديين ثم للفرس ثم لحكم الاسكندر الكبير ثم للسلوقيين ثم استقلوا وصارت لهم على توالي الأعوام دولة كبيرة وقد عرفهم العرب بالفَرس (بفتح الفاء تميزاً لهم عن الفُرس بضم الفاء) الحقيقيين وقد عرفت البرتيون بهذا الاسم نسبة إلى إقليمهم الأول أو بلادهم الأصلية وهي برته وتعني (خراسان) الحالية وعرفت أيضاً بالدولة الإشكالية نسبة إلى زعيمهم ومؤسس دولتهم (أرشك) الذي أسس هذه الدولة سنة ٢٥٥ق.م واستقل ببلاد فارس في السنة نفسها وكذلك مات في السنة التي أعلن استقلاله فيها ولم يحكم غير سنة واحدة على ما رواه ثقات المؤرخين غير أن بعضهم يزعم انه حكم خمسة عشر سنة وملك اثنتين وعشرين سنة قضاها في توسيع ملكه ثم مات قتيلاً في إحدى المعارك ويقال انه من نسل دارا وانه من طبرستان وكان قائدا على (بلخ) من قبل السلوقيين فلما أراد أن يؤسس حكومة وطنية في طبرستان جمع قومه وثار على الملك السلوقي (انتيوخوس) وبعد معارك أنتصر أرشك وتمزقت الجيوش السلوقية ووقع القائد انتيوخوس قتيلاً في المعركة فلما رأى أمراء فارس

انتصار أرشك انظموا إليه جميعهم بعد أن اشترطوا عليه أن يكون لكل واحد منهم استقلالاً إدارياً في منطقة حكمه ويكون أرشك هو الرئيس العام على أثر هذا الاتفاق أتخذ أرشك مدينة (الدامغان) في طبرستان عاصمة له. ومنهم من يقول أن أرشك هجم على الوالي السلوقي (اغا نوكليس) فقتله وتولى مكانه سنة ٢٥٠ق.م. ثم حمل على (هرقانيا) واستولى عليها وحاول الملك السلوقي (انطيوخوس ناؤس) إخضاعه وإخماد ثورته ففشل وسار إليه أرشك بجيش كبير بعد أن انضم إليه أهل (تجتريانة) فانتصر على السلوقيين وطردهم من بلاد فارس ومادي وكانت الأسباب الرئيسة التي دعت إلى طرد السلوقيين كان بسبب ضعف دولتهم اليونانية التي قامت على أنقاض دولة الاسكندر الذي قضى على الدولة الكيانية فبعد ذلك أغتنم البرتيون فرصة الانهيار مما دفع زعيمهم أرشك فاجتاح بلاد البرتيين وانتصر فأصبح نظام الدولة البرتية التي شكلها زعيمهم أرشك أو (ارشاق) على شكل مقاطعات أو ممالك صغيرة مستقلة حسب الشروط التي وافق عليها أثناء انضمامهم إليه. ومن تلك الممالك الصغيرة التي كانت في العراق إمارة (ميشان) التي كانت في موقع (البصرة) وإمارة (حطارا) قرب تكريت وإمارة (حديلي) في الموصل وتمتد الى الشرقاط والى نصيبين وقاعدتها اربيل وإمارة الحيرة المشهورة التي كانت في أبي صحيز وهي حكومة عربية أسسها الملك العربي (مالك بن فهم التنوخي سنة ١٣٨م) وهو مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدنان أول ملك على العرب بأرض الحيرة وحسبما ورد في مروج الذهب ١٨٢/٣ وتاريخ اليعقوبي وجمهرة الأنساب قبل الإسلام وأصبحت هذه الإمارات تتمتع بالاستقلال السياسي والإداري وحق انتخاب القضاة والمجلس الإداري إلا إنهم جعلوا على العراق حاكماً عاماً فارسياً لإدارة الشؤون المهمة تحت إشراف الملك البرتي المقيم في اكتسيفون (طيسفون) سلمان باك أو المدائن حالياً وبذلك تمتع العراقيون بالحرية التامة وعمرت بلادهم وكثرت ثروتهم وأصبحت البلاد هادئة لم يحدث فيها حرب أو فتن دينية أو مذهبية ولم يكن عندهم فرق بين دين وآخر ولا تعصب لدين من الأديان حتى دينهم (الزردشتي) الذي كانوا عليه ولما أنقضى عهد السلوقيين

اليونانيين من سوريا سنة ٦٤ ق.م. وقام فيها الرومانيون طمعوا في العراق كما طمع البرتيون في سوريا فامتدت بينهما الحروب مابين النهرين ثم صار النصر حليف الرومانيين وحمل (طريانوس الإمبراطور الروماني سنة ١١٤م بجيش كبير على البرتيين في أيام الملك (خسرو) الذي سماه بعضهم (ارشاق) الرابع والعشرين فانتصر عليهم وتوغل الإمبراطور في بلادهم حتى استولى على سواحل دجلة من جبال أرمينيا إلى خليج فارس سنة ١١٥م. واستولى أيضاً على سواحل مدينة سلوقية واكتسيفون وغيرها من مدن العراق إلا أن الملك البرتي خسرو تمكن أخيراً من جمع جيوشه المتفرقة وحمل على الرومانيين وأخرجهم من بلاده فعادوا بالفشل ثم عادت الحرب بين الدولتين سنة ١٦٤م، فانتصر الروم وتوغلوا في العراق وحاصروا الملك في اكتسيفون سنة ١٦٥م، وتم عقد صلح يرضيهم فلما دخلت سنة ١٩٥م عادت الحرب فاندحر البرتيين وتقدم الرومانيون وتوغلوا في العراق واستولوا على العاصمة اكتسيفون فنهبوها وظل البرتيون تارة ينتصرون على الروم وأخرى يندحرون أمامهم وآونة أخرى يعقدون الصلح معهم حتى تحكم الضعف في البرتيين وأختل نظامهم بسبب الحروب المستمرة وزالت هيبة الدولة مع أعدائها وكان أخر ملوكها أردوان الرابع (٢١٦ -٢٢٦م) وجلس اردوان الرابع على العرش والفتن الداخلية التي بدأت منذ سنة ١٩٧م، تارة بين الأسرة وتارة يثيرها الشعب على ملوكه لضعف الدولة وبقيت تلك الفتن والاضطرابات حتى ثار الفرس سنة ٢٢٤م، بزعامة اردشير بن بابك من آل ساسان الذي عزم على تأسيس دولته ونهض بقومه من الهضاب في غرب إيران فأخضع جميع بلاد فارس وتبعه خلق كثير من الفرس الميديين وأصبحوا تحت سلطته وعزم على محو تلك الدولة التي حكمتهم لمدة خمسة أجيال فهم اردوان الرابع باخماد تلك الثورة فخابت مساعيه بعد عدة معارك دارت رحاها بينه وبين اردشير فاندحرت جيوشه وأعلن اردشير ملوكيته المستقلة في (باخترا) وسمى نفسه ملكاً وبعد أن فرق جيوش الدولة البرتية افتتح العراق وغيره من الأقطار التي كانت تحت حكمهم ودخل عاصمة الملك اكتسيفون سنة ٢٢٦م، واستولى على جميع ما كان

لتلك الدولة من الممتلكات والأموال وانهزم الملك البرتي اردوان إلى جبال أرمينيا وقتل هناك فانقرضت دولة البرتيين التي أسسها أرشك بعد أن دامت ٤٧٤ سنة (٢٤٨ق.م – ٢٢٦م) وضمت مدن إيران والافغان وقسماً من تركيا واسيا وأقاليم من روسيا الحالية والعراق وبلاد آشور وبلاد مادي من ضمنها كردستان وبلاد مابين النهرين (الجزيرة) وحكمت العراق نحو ٣٥٢سنة (١٢٦ ق.م –٢٢٦م) فكان عدد ملوكها الذين حكموا العراق (٢٠) ملكاً أولهم مهرداد السادس وآخرهم اردوان الرابع ويلقبون بلقب ارشاق ويقال ان أولهم ارشاق الأول وآخرهم ارشاق الواحد والثلاثون كما لقبوا ملوك الروم بالقياصرة والساسانيون يلقبون بالأكاسرة كما كانت كلمة قيصر تضاف إلى اسم ملك الروم وكلمة كسرى تضاف إلى اسم الملك الساساني.

دور الأمراء البويهيين في الحركة الفكرية الإسلامية في العراق

بني بويه لم تكن لهم دولة واحدة مركزية بل كانت دولتهم مقسمة على الأخوة الثلاثة وهم (عماد الدولة) علي بن بويه والثاني (ركن الدولة) الحسن بن بويه و(معز الدولة) احمد بن بويه ومن ثم توسعت الدولة البويهية وصار فيها أكثر من مملكة مقسمة بين الأسرة البويهية وكل أمير كان يستقطب أهل العلم والادب إلى مجلسه وينالون التكريم والتشجيع وأصبحت كل مملكة بمثابة مركز حضاري مستقل مما يساعد على التنافس المعرفي بين المراكز الفكرية في بلاد فارس وهي جميعاً تحت ظل السلطة البويهية مثل شيراز والري واصفهان وكرمان وجرجان والاحواز فضلاً عن بغداد مركز الاشعاع الفكري الاول للحضارة الإسلامية ويعود هذا التلاحم بين هذه الممالك الثلاث إلى قوة العلاقة بينهما من الطاعة والاحترام تحت قيادة أخوهم الأكبر علي بن بويه عماد الدولة ولكن جيل الابناء والاحفاد أظهر عكس ذلك علماً ان البويهيين هم من الديلم ولا صلة لهم بملوك الفرس أو العرب وبعد أن تمكنت هذه الاسرة من السيطرة على زمام الأمور في فارس

وكرمان واصفهان والري وأمتدت سيطرتها إلى بغداد وقد فكرت هذه الأسرة في إضافة نسب قوي ومشرف للأمة ليدعم مركزها فكان لها ما أرادت وأصبحوا ملوكاً باسم الملوك الفرس في تاريخ ايران. وعندما بدأت حالة التمزق والتجزئة والصراعات السياسية بين الجيل الثاني من بني بويه جعل كل أمير مستقل بمملكته وهذه التجزئة السياسية كما ذكرنا سابقاً بدأت مظهرها من مظاهر الضعف السياسي إلا إنه من جانب آخر أهتمت بالازدهار الحضاري وتعددت مجالس وبلاطات الأمراء فظهرت مجالسهم مكتضة بأهل العلم والادب والمعرفة وقد وصف الدكتور حسين أمين في كتابه الحياة الثقافية في العصر البويهي بقوله (سمت الآداب نثراً وشعراً وتطورت الدراسات اللغوية وازدهرت الحياة العقلية وتكاملت دراسات الفقه المختلفة وظهرت البحوث العلمية في التاريخ والجغرافية كما نمت الحياة الصوفية والدراسات الدينية على اختلاف مواضيعها من تفسير القرآن الكريم والحديث الشريف). ويقول الدكتور أحمد أمين في كتابه ظهور الإسلام (كان كثير من البويهيين أدباء ومثقفين ثقافة واسعة أشهرهم في ذلك (عضد الدولة) وكان يشارك في عدة فنون منها الأدب وكذلك (عز الدولة) أبو منصور بختيار و(تاج الدولة) بن (عضد الدولة) ولهم اشعار أورد بعضها الثعالبي في اليتيمة ثم نجد ظاهرة مهمة في هذه الدولة وهي أساس الاختيار للوزارة كان عماده شيئين هي القدرة الإدارية والقدرة البلاغية لذا فقد كان الوزراء فحول في الأدب وكان أشهرهم ابن العميد وابن عباد والمهلب وسابور بن اردشير وابن سعدان وكل من هؤلاء كان عماداً للأدب والادباء والعلماء وكانت لهم مجالس تموج بالعلم والادب. وكانت قصائد الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن أبي أحمد بن الحسين بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام. رائجة وكما كانت قصائد ابن الحجاج أبو عبد الله الحسين بن محمد بن جعفر الشاعر الكاتب المعروف وابن سكره الهاشمي أبو الحسن محمد بن عبد الله شاعر متسع الباع وقد جار في ميدان المجون والسخف كما أورد ذلك الثعالبي في يتيمة الدهر

وكانت مقولات الشيخ المفيد المعروف بأبن المعلم أبــو عبــد الله محمــد كثيــر الصدقات عظيم الخشوع كثير الصلاة والصوم تلقى أذاناً مــصغية كمــا كانــت مقولات الباقلاني القاضي أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب البــصري مــسموعاً وجدت عند الأمراء البويهيين الدعم والتشجيع وكان الأساس لهذه النهــضة التــي شهدها القرن الرابع الهجري لاسيما حالة التطور الفكري التي وصل اليها المجتمع العربي والاسلامي وعلى مختلف المستويات والميادين هو أجواء الانفتاح والحرية وكانت زيارة الأمراء والوزراء لأهل العلم والمعرفة دليل واضح على ما يتمتعون به من وعي وحسن ثقافي في فضلاً عن إن هؤلاء العلماء والادباء كانت تمثل لهم زيارة الأمراء والوزراء وكبار رجال الدولة الحافز الأكبر نحو تأليف المــصنفات والاسفار التي كانت بعضها يطلب من علية القوم أو يزينوها بإهداء كتــبهم إلــى هؤلاء الأمراء ووزرائهم فشاعت عادة إهداء الكتب للحكام وتأليف المصنفات بناء على طلبهم وهذا يتجلى بوضوح عندما طلب (عضد الولة) من أبو إسحاق الصابي إبراهيم بن هلال صاحب الرسائل الذي كان فاضلاً وشاعراً وعالم هندســة ولــه ديوان شعر وكتاب أخبار الديلم، تأليف كتاب في اخبار الدولــة الديلميــة وســماه التاجي وذكره أبن النديم في الفهرست ص١٩٣ وأبن تغري بردي بكتابه النجــوم الزاهرة وكذلك ألف أحمد بن فارس اللغوي النحوي القزويني كتابــه (الــصحابي) وألف أبو بكر الكرخي المهندس وعالم بالحساب الذي ذكره ابن خلكان في وفيات الأعيان وابو الحسين الرازي العالم المفكر الذي أنجز كرة كبيرة وزنها ثلاثة الاف درهم لعضد الدولة وهي أشبه بالكرة الارضية تمثل السماء بما تحتويه من الواكب والنجوم والأجرام السماوية وصنف عبد الرحمن الصوفي لعــضد الدولــة كتــاب (عالم صور الكواكب) ذكره ابن النديم فــي الفهرســت وســركيس فــي معجــم المطبوعات العربية في الجزء الثاني من كتابه وابو العلي الفارسي كتابه الايضاح العضدي وكتاب الحجة في القراءات السبع وفي كتاب الطب ألف الطبيب علي بن عباس المجوسي كتاب (الكناش) المسمى (الملكي العــضدي) وهــو مــن الكتــب المشهورة في الطب كما صنف حمزة الاصفهاني لعضد الدولــة بــشيراز كتــاب

(الخصائص والموازنة بين العربية والفارسية) ويذكر ياقوت الحموي إن أبن جني صنف كتاب (البشرى والظفر) لعضد الدولة والف أبو حيان التوحيدي (علي بن محمد بن العباس التوحيدي وهو متفنناً في جميع العلوم من النحو واللغة والشعر والادب وفيلسوف الأدباء وإمام البلغاء وكان من البديهي أن هذه المؤلفات لم تأت من فراغ بل هي كانت مواكبة للحركة العلمية والأدبية التي تبناها الأمراء البويهيين ووزرائهم لدعم هذه الجزء لأنهم كانوا عند درجة عالية من الثاقة والأدب ومن أهم المراكز العلمية في فارس:

١- دور العبادة وتعدد المساجد والجوامع والحسينيات المنتشرة شكلت مكاناً مشهوراً ورئيسياً في الحياة الاجتماعية العامة واحتفظت هذه الدور بدورها كمراكزعلمية فكان في كل مسجد أو جامع مكتبة تكون مركزاً لحلقات التدريس لأن المساجد سنة سار عليها كافة المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها منذ ظهور الإسلام حتى يومنا هذا وللمساجد أغراض نبيلة سامية منها دينية وعلمية وتعليمية واجتماعية واقتصادية وعسكرية وأهم عمل أهتم العرب بإقامته هو بناء المساجد في عمليات الفتح من أجل العبادة ونشر العلوم الدينية والأدبية.

٢- المكتبات ودور العلم: أدت معرفة الورق وانتشار مصانعه في مدن المشرق الإسلامي إلى توافره وتمكن المؤلف من التأليف وانتشرت دكاكين الوراقين في المدن وبعض الوراقين سابقاً كانوا من رجال الفكر ومنهم الشعراء والأدباء وهناك سماسرة الكتب ومن أسباب ازدهار الفكر الإسلامي الحرص على اقتناء الكتاب وتكوين المكتبات الخاصة في البيوت التي تظم مئات الكتب والمجلدات وقد ضم (عضد الدولة) بقصره في شيراز مكتبة كبيرة تنافس تلك التي كانت للسامانيين فب بخارى وتشمل هذه الدار على (٣٦٠) حجرة ودار وكان مجلسه في كل يوم بواحدة حسبما ذكره المقدسي في أحسن التقاسيم والدكتور (متز آدم) في كتابه الحضارة الإسلامية كما ان أباظ سابور بن اردشير وزير بهاء الدولة كان له درا في الكرخ سماها (دار

العلم) كانت تشمل أكثر من عشرة الالف مجلد تظم أنواع الكتب وكانت مفتوحة أمام طلبة العلم للقراءة والنسخ ولكنها احترقت ايام احتلال السلاجقة اليونان لبغداد كما ذكرها ابن الجوزي بكتابه المنتظم وكان لأبي العلاء المعري قصيدة مشهورة في بحر الطويل اشار فيها إلى دار العلم تلك:

وغنت لنا في دار سابور قينة

من الورق مطراب الاصائل مهباب

وكان حبشي بن معز الدولة بن احمد بن بويه قد جمع في مكتبته أكثر من خمسة عشر ألف مجلد. كما ان الوزير منصور بن بهرام كان قد بنى بفارس في فيروز أباد خزانة للكتب وأوقفها على طلاب العلم وكذلك أهتم ابن العميد في اقتناء الكتب وأنشأ مكتبة كبيرة بالري وكان مسكويه العالم المؤرخ المشهور قيماً ومسؤولاً عنها، وكذلك مكتبة الصاحب بن عباد تحتوي على مجموعة من الكتب والاسفار تقدر بجمل (٤٠٠ جمل) وكان صاحب خراسان الملك نوح بن منصور الساماني أرسل إلى الصاحب يستدعيه إلى حضرته ويقول (كيف يحسن لي مفارقة قوم بهم ارتفع قدري) وكان أبن البواب صاحب الحظ الجيد خازناً لمكتبة بهاء الدولة بشيراز الذين اعتادوا اقتناء الكتب والمكتبات داخل قصورهم.

٣- المجالس العلمية والأدبية: تعددت وازدهرت المجالس في عهد البويهيين فهناك مجاس خاص كان يعقدها الحكام والأمراء ووزرائهم لما كانوا يتمتعون به من ثقافة ودراية واسعة وكذلك كان مجلس ابن العميد حافلاً بالفقهاء والمتكلمين وكانت بينهم مناظرات كما ذكره الصفدي في الوافي بالوفيات وكذلك الوزير الصاحب بن عباد بالبلاغة وسحر البيان وصارت مجالسه ملتقى العلماء والادباء وكذلك كان لأبي عبد الله بن سعدان الحسن بن أحمد المعروف باسم سعدان كان رجلاً باذلاً للعطاء وكان وزير صمصام الدولة.

٤- البيمارستانات: تعد هذه البيمارستانات من مراكز الدراسات الطبية التي تطورت في العصر العباسي إذ غدت مدارس عليا للطب وكان يتلقى الطلاب فيها علومهم من اساتذتهم العرب الكبار وكان يديرها أطباء معروفون وكان بشيراز بيمارستان جزء من جامعة كانت تدرس فيها الفلسفة والتنجيم والطب والكيمياء والرياضيات وعندما زار (بنيامين الطليطلي بغداد عام ١١٦٠م وجد فيها (٦١) بيمارستاناً حسن التنظيم).

٥- مكانة فارس الفكرية: تعد فارس واحدة من الأقاليم التي توافرت لها كل مقومات النمو الفكري مثل حالة الاستقرار السياسي والنمو الاقتصادي والحرية التي سادتها فضلاً عن تولي حكمها من قبل أمراء ووزراء اهتموا بالجانب الفكري وبلغت فارس أوج عظمتها في عهد عضد الدولة وعندما أهدى أبو الفرج الاصفهاني الذي ينتهي نسبه إلى عبد الرحمن بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية. كتابه الأغاني إلى سيف الدولة الحمداني وأعطاه ألف دينار وبلغ ذلك الصاحب بن عباد فقال: (قصَّر سيف الدولة وانه يستاهل أكثر) ذكره الصفدي في الوافي بالوفيات. وتركز النشاط الثقافي في فارس في المدن الكبرى وخاصة العاصمة شيراز قصر الأمير والكتاب وسائر موظفي الدولة ومعظمهم من الفرس الذين عرفهم العرب بالموالي وقد شكلوا طاقم دواوين الدولة الإسلامية في الامصار وقد ذكر لنا الاصطخري بعض هذه العوائل التي سيطرت على أعمال الدواوين في فارس وتوارثها ومنها آل حبيب وآل المرزبان وآل ابي صفية وآل ابي مردشاد.

٦- علوم القرآن: أثرت أساليب القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في لسان العرب تاثيراً بعيداً حتى أصبح اللسان العربي هو المثل الأعلى في التفسير وتنقسم علوم القرآن الكيرم إلى صنفين هما: علم القراءات وعلم

التفسير[1]. وقد أهتم العرب المسلمون بهذه العلوم بسبب حاجتهم اليها في حياتهم العامة، وتكمن أهمية علوم القرآن بالنسبة للعلوم الدينية الاخرى بأنها الأساس. فاساس تلك العلوم هو ضبط نصوص القرآن الكريم وتفسيرها[2].

٧- علوم القراءات: وهو علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم أو صور نظم كلام الله سبحانه وتعالى من حيث وجوه الاختلاف المتواترة وصون كلام الله عز وجل من التحريف والتغيير عن الرسول الكريم (ﷺ) على طرق مختلفة في بعض ألفاظه وكيفية أداء الحروف وتم تناقل ذلك حتى استقرت منها سبع طرائق معينة توتر نقلها أيضاً بأدائها ونسبت إلى من أشتهر برواياتها فصارت هذه القراءات السبع أصولاً للقراءة وكان بفارس عدد من العلماء الذين اختصول بهذا العلم وبرعوا فيه وكانوا أهلاً له وفيما يأتي أشهر العلماء القارئين:

١-احمد بن الفرج الجوري توفي عام ١٠٠٤م.

٢-المطوعي توفي عام ١٩٨١م.

٣-أبو بكر محمد المقرئ توفي عام ١٠٠٢م.

٤-أبو يعقوب المقرئ توفي عام ١٠٦٣م.

٥-أبو الحسين الفارسي الشيرازي توفي عام ١٠٦٨م.

٨- علوم تفسير القرآن الكريم: التفسير في اللغة هو الايضاح والتبين كما بين ذلك السيوطي جلال الدين محمد المتوفي عام ١٤٥٩م. تفسير الجلالين ومنه قوله تعالى ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ الفرقان ، وهو مأخوذ من الفسر أي

---

[1] ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، المقدمة ط٤، دار العلوم ، بيروت، ١٩٨٤م، ص٥٥١.

[2] الحضارة العربية، ترجمة: إبراهيم احمد العدوي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٦م، ص٩٩.

تبيانه والفسر: البيان وكشف المغطى والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل حسبما ذكر ذلك ابن منظور في لسان العرب. وأما في الاصطلاح فيقول أبن كثير اسماعيل بن عمر بن كثير القريشي ابو الفداء المتوفي عام ١٣٧٢م. عرفه ابو حيان النحوي المتوفي النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها واحكامها الافرادية والتركيبية ومعانيها.

ومن أشهر المفسرين في بلاد فارس:

١-ابو علي الشيرازي المتوفي عام ١٠١٤م. من أهل شيراز ومن كبار الائمة ببلاد فارس وذكره ابن العماد في شذرات الذهب وقال فيه (ابو علي الشيرازي المقرئ الفقيه الشافعي كان حافظاً ناقداً وكان حافظاً للحديث جليل القدر من أهل القرآن والعلم وكان كثير الرحلة والسماع سمع ببغداد من اسماعيل الصفار وعبد الله بن درستويه وسمع مِن ابي العباس محمد بن يعقوب الأصم وابي محمد الحسن وغيرهم.

٢-ابن الحضر العمري الكازروني المتوفي عام ١٠٣٩م. وهو عالم جليل وفاضل صنف التفسير المسمى بالصراط المستقيم وهو كتفسير الجلالين وجيز اللفظ غزير المعنى وفسر أكثره بمضمون الاحاديث الشريفة.

٩- علم الحديث النبوي الشريف والعلم برواية الحديث: ويعرف علم الحديث بأنه علم يعرف به أقوال النبي (ﷺ) افعاله وأحواله وغايته الفوز بسعادة الدارين وقيل انه يشتمل على نقل نا اضيف إلى النبي (ﷺ) قولاً أو فعلاً أو تقريراً أو صفة حتى الحركات والسكنات في اليقضة والمنام ويقسم الحديث على قسمين:

أ-العلم برواية الحديث.

ب-العلم بدراية الحديث

ومن المحدثين في الدولة العربية الاسلامية في ذلك الحين هم:

١-ابو محمد بن اذران عام ٩١٦م: وهو ابو محمد عبد الله الخياط حدث بشيراز سنة ٣٠٤هـ ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق والمرعشي شهاب الدين في كتابه احقاق الحق وازهاق الباطب.

٢-الحسن بن سفيان العسوي المتوفي عام ٩٦٤م: وهو الحسن بن سفيان من أهل فسا وهي من كورة دارا بمجرد بفارس محدث وحافظ له مسند في الحديث وصنف كتاب النوادر وذكره ابن حجر في كتابه لسان الميزان وكذلك كحالة عمر رضا.

٣-بندار بن الحسين الشيرازي المتوفي ٩٦٤م: وهو بندار بن الحسين بن محمد بن المهلب كان يعلم الاصول مهذباً وفي الحقائق مقرباً وهو شيرازي المولد وسكن ارمان.

٤-ابو بكر الفارسي البيضاوي المتوفي ٩٦٧م: حدث عن محمد بن هارون بن المجدر وعبد الله بن سعد القرشي وحدث عنه عمر بن احمد البرمكي وابو سعيد النقاش والحافظ ابو نعيم.

٥-ابو سليمان النساج الجوري المتوفي ٩٧٠م: كان من المحدثين بشيراز حدث عن ابي بكر بن سعدان.

٦-ابو بكر الوراق المتوفي عام ٩٨٠م: وهو محمد بن جعفر بن الحسين بن محمد بن زكريا ابو بكر والملقب (غندرا) ذكره الخطيب البغدادي بكتابه تاريخ بغداد كان جوالاً ورحالاً سمع الكثير ببلاد فارس عن الباغندي وابن صاعد وابن دريد وغيرهم وروي عنه ابونعيم الاصفهاني.

٧-الحسن بن محمد العسوي المتوفي عام ٩٨١م.

٨-محمد بن خفيف بن اسفكشاذ المتوفي ٩٨١م.

٩-ابو احمد الجرجاني القاضي المتوفي عام ٩٨٣م.

١٠-ابن شيرويه المتوفي عام ٩٩٠م.

ابو العباس الشيرازي المتوفي عام ٩٩٢م.

١٢-ابو عبيد الله المرزباني المتوفي عام ٩٩٤م.

١٣-القاضي ابو محمد الاصطخري المتوفي عام ٩٩٤م.

١٥-ابو علي الكرماني كان حياً عام ٩٩٦م.

١٦-ابن عبدان المتوفي عام ٩٩٨م.

١٧-يحيى بن علي بن محمد المتوفي عام ٩٩٨م.

١٨- ابو العباس الكازروني المتوفي عام ١٠٠٥م.

١٩- ابن جميع المتوفي عام ١٠١١م. وهو ابو الحسين محمد الغساني الصيداوي.

٢٠-الحافظ ابو بكر الشيرازي المتوفي ١٠١٦م.

٢١-ابو بكر الثقفي المتوفي عام ١٠٢٥م.

٢٢-الرشيقي المتوفي ١٠٢٩م.

٢٣-ابو بكر الصفار المتوفي ١٠٤٨م.

٢٤-ابو عبد الله الجوري المتوفي عام ١٠٦١م.

٢٥-ابو القاسم الشيرازي المتوفي عام ١٠٥٦م.

٢٦- ابو القاسم الشيرازي الوراق المتوفي عام ١٠٨١م.

٢٧-ابم مسكويه المتوفي عام ١٠٨٩م.

٢٨-ابو زرعه الشيرازي المتوفي عام ١٠٩٢م.

علماء خراسان في بغداد وأثرهم في الحركة الفكرية

أختلف المؤرخون في أصل معنى كلمة خراسان فمنهم من اعادها إلى أحد أولاد سام بن نوح وآخرون عزو التسمية إلى خيراتها الكثيرة وذهب آخرون إلى كونها مطلع الشمس. فأبن العقبة المتوفي سنة ٩٣٢م التي تزامنت حياته وعطاؤه العلمي مع الاطار الزمني الذي يتناوله البحث فأنه يرجح أصل التسمية إلى خراسان بن عالم بن سام بن نوح ويؤكد ان خراسان وهيطل ابنا عالم بن سام ولما تبلبلت الالسن في يوم واحد فنزلوا بلادهم التي هي نسمى بهم إلى اليوم فأما هيطل فولده من وراء نهر بلخ وتسمى تلك البلاد الهياطلة ويقي خراسان من هذا الجانب. ويرى آخرون ان الكلمة تتألف من شطرين فخر معناها (كل) وأما (سان) فتعني (سهل) أو (بلا تعب) وبهذا تصبح (كل بلا تعب) الأمر الذي ينطبق على خيرات خراسان الكثيرة الا ان هناك رأي ثالث فيه كثير من الصواب ويرجح

على الكثير من المؤرخين على ان (خر) تعني (الشمس) بالفارسية وأما (اسان) فهي موضع الشيء ومكانه فيصبح المعنى (مكان الشمس) أو (مطلع الشمس).
ومثلما اختلف اللغويون في أصل تسمية خراسان اختلفوا بحدود خراسان الجغرافيون فقالوا خراسان من جهة الشرق باقليم سجستان والهند ومن غربها صحراء الغز وجرجان ومن شمالها بلاد ماوراء النهرين ومن الجنوب صحراء فارس والى نواحي جبال الديلم مع جرجان وطبرستان والري وقزوين وقسم عدد من المؤرخين المعمورة إلى اقاليم فوضعوا خراسان ضمن الاقليم الرابع الذي يمثل ربع المملكة واقليم خراسان ضم تضاريس مختلفة ففيه سهول واسعة وأنهار كثيرة ولذا فهي سهول غنية بمواردها الطبيعية وبقي التقسيم الاداري بخراسان حتى دخول العرب المسلمون على يد عبد الله بن عامر ابقاها ارباعاً نيسابور ومرو وهراة وبلخ وكانت نيسابور أكثر مدن خراسان أهمية فثراء نيسابور الاقتصادي والعلمي واعتبرها الثعالبي سرة خراسان وغرتها .
أما المؤرخ الجغرافي المقدسي فوصف عمرانها وسعة مساحتها (وهي كورة واسعة جليلة الرساتيق والضياع والغنى) ويؤكد العالم السمعاني بقوله (انها أحسن مدينة واجمعها للخيرات بخراسان) وقال عنها أحد الشعراء:

ليس في الروض مثل نيسابور

بلد طيب ورب غفور

وبعد الفتح العربي الاسلامي لخراسان استقرت العرب فيها ولا سيما نخبة كبيرة من الصحابة والعلماء المسلمين الذين أصبحوا النواة الاولى لانتشار الفكر والعلوم الاسلامية فأنعكس ذلك بشكل واضح وكبير ليس فقط في نشر الدين الاسلامي واللغة العربية ومما أدى إلى قيام حركة علمية وفكرية حتى غدت خراسان عدد كبير من مشاهير علماء المسلمين في شتى المناحي ولهذا فليس من المستغرب إذا ما أرتبط اسم خراسان بالعرب حتى غدا اللفظان وكأنهما اسماً لمعنى واحد وأصبحت خراسان رمز سياسي ومظهر حضاري عربي اسلامي وتجلى اهتمام الخلافة الراشدية بالسيطرة عليها وهجرة القبائل العربية اليها والاستقرار فيها

وبقي نأثير عرب خراسان اضحاً في تسير دفة المحافظة على الكيان العربي في خراسان وهكذا عد البعض اهل خراسان بأنهم أهل دعوة وأنصار دولة ومن المؤسسات العلمية في خراسان :

أولاً: المساجد

ثانياً: المدارس

ثالثاً: دور السنّة لدراسة الحديث النبوي وعلومه.

رابعاً: مجالس بيوتات الامراء.

خامساً: دور العلماء في منازلهم الخاصة.

سادساً: مجالس المناظرات والاملاء.

سابعاً: دور الصوفية والخانقاهات.

وكانت دوافع رحلة علماء خراسان إلى بغداد من أجل طلب العلم من أهم مزايا الحياة العامة في اقليم خراسان بل في كافة انحاء العالم الاسلامي فهي تعد مطلب رئيساً من أجل استكمال المعرفة في العديد من المعرف والعلوم والقافات الذي أصبحت لها دور مهم في تقوية الصلات الفكرية والثقافية بين أرجاء العالم الاسلامي من مشرقه إلى مغربه وعملت على ابراز وحدة أقاليم الدولة الاسلامية ولقد كان لإنعدام الحواجز والعوائق بين البلدين آنذاك أثر كير في تسهيل رحلة العلماء بين أرجاء العالم الاسلامي فقد كانوا العلماء الاعلام في تلك الازمان تعتبر الرحلة كوسيلة لاستتمام العلم واكمال المعرفة بقوله (من خرج في طلب العلم كان في سبيل الله حتى يرجع).

البويهيون يستولون على بغداد (٣٣٤هـ/٩٤٥م)

بعد ان استولى معز الدولة على الاحواز سنة ٣٢٦هـ أصبح الطريق سالكاً نحو بغداد فيما كانت بغداد التي وصلت فيها الخلافة العباسية في آخر عهد نفوذ الاتراك إلى حالة شديدة من الضعف والاضطراب وصار الخليفة العباسي لاحول له ولا قوة ووصلت هذه الحال ذروتها في عهد الخليفتين الراضي (٩٤٠م)

والمتقي (٩٤٤م) وعلى الرغم من استحداث منصب (أمير الأمراء) لانقاذ الوضع المتردي لكن دون جدوى ويقول ابن طباطبا الفخري (في الاداب السلطانية) واستولى الاعاجم والأمراء وارباب السيوف على الدولة وجبو الاموال وكفو يد الخليفة وقرروا له شيئاً يسيراً وضعف أمر الخليفة واضطرت الخلافة العباسية وخرجت الأمور منها سنة ٣٢٢م منذ تولي الخليفة الراضي بالله وفي سنة ٣٣٤ دخل ينال كوشه وهو من قواد معز الدولة إلى الموصل وكذلك إلى بغداد في طاعة الأمير أبي الحسين احمد بن بويه فأضطرب الاتراك والديلم وأختفى ابن شيرزا وابو جعفر كاتب توزون الذي ولاه الخليفة المستكفي وكذلك أختفى الخليفة خوفاً شديداً سنة ٩٤٥م بعد أن ساءت الأحو ال فدخلها البويهيين من دون مقاومة فقام الخليفة المستكفي بالترحيب بالامير ابي الحسين احمد بويه ووصل الامير احمد بن بويه إلى حضرة الخليفة المستكفي بالله فرد اليه (إمارة الأمراء) واعطاه الهدايا الكثيرة والة السلطنة وعقد له لواء وهو أول ملوك بني بويه ولقبه الخليفة بـ (معز الدولة) ولقب أخاه الحسن بـ (ركن الدولة) والاخ الأكبر وهو علي بن بويه بـ (عماد الودلة) وأمر أن تضرب القابهم على الدينار والدرهم. ولكن (معز الدولة) خلع المستكفي بعد أن استتب الأمر له وسيطر على أمور بغداد وأعتقل الخليفة ونهبت داره وسملت عيناه وبقي معتقلاً حتى وفاته ٣٣٨هـ واحضر معز الدولة أبا القاسم الفضل بن المقتدر بالله إلى دار الخلافة سنة ٣٣٤هـ ولقب بـ (المطيع لله) سنة ٩٤٥هـ -٩٧٣م ولم يكن له من الأمر سوى ذكر اسمه على الخطبة ونقشه على السكة، أقام البويهيون في بغداد امارة وراثية فحدثت بين الاسرة المنازعات والمعارك فكانت سبباً لانهيار الدولة البويهية وبقيت الدولة قائمة حتى دخل السلاجقة بغداد وقبض طغرلنك السلجوقي على آخر ملوك بني بويه ابي نصر خسرو فيروز (الملك الرحيم) وسجنه حتى مات في السجن وذلك سنة ٤٤٧هـ حسبما ورده المقريزي في كتابه السلوك . ومن خلفاء العصر البويهي المستكفي وقد خلع في السنة نفسها التي دخل فيها البويهيون بغداد ٩٤٤م والمطيع لله حكم (٢٩) سنة لغاية سنة ٩٧٣م. والطائع بالله حكم (١٨) سنة لغاية ٩٩١م.

والخليفة القادر بالله حكم (٤١) سنة لغاية ١٠٣٠م. والقائم بأمر الله طالـت مـدة خلافته وفي آخر خلافته زالت دولة بني بويه وظهرت دولة السلاجقة وكان حكـم القائم بالله (٤٥) سنة لغاية ١٠٧٤م. وأما حكام بني بويه فهم[1]:

١- ابو الحسين أحمد (معز الدولة) ٩٤٥م.

٢- ابو منصور بختيار (عز الدولة) ٩٦٦م.

٣- ابو شجاع (عضد الدولة) ٩٧٧م.

٤- ابو كاليجار المرزبان (صمصام الدولة) ٩٨٢م.

٥- ابو الفوارس (شرف الدولة) ٩٨٦م.

٦- ابو نصر فيروز (بهاء الدولة ٩٨٩م.

٧- ابو شجاع (سلطان الدولة) ١٠١٢م.

٨- ابو علي الحسن (مشرف الدولة) ١٠٢١م.

٩- ابو طاهر (جلال الدولة) ١٠٢٦م.

١٠- ابو كاليجار (عماد الدولة) ١٠٤٣م.

١١- ابو نصر خسرو فيروز (الرحيم) ١٠٥٥م.

قالوا في الدولة البويهية

ابتدأت هذه الدولة بقيام ثلاثة أخوة أبو الحسن الملقب معز الدولة وأبو علي الحسن الملقب ركن الدولة وانو الحسن احمد الملقب عماد الدولة أولاد أبي شجاع بويه وكانوا يسكنون بلاد الديلم ثم خرجوا مع من خرج من بلاد الديلم من دعـاة العلويين ضد العباسيين وتمكنوا من تشكيل الدولة البويهية الفارسية الخامسة فـي العراق من سنة (٩٤٥ -١٠٥٥م) وانقرضت هذه الدولة بعد أن ملكـت العـراق (١١٣) سنة من تاريخ استيلاء معز الدولة احمد على بغداد إلى أخر أيـام الملـك

---

[1] حسبما ورد في تاريخ الانساب واسرات الحاكمة لمؤلفه (زامبارو) وبول اسـتانلي لـين= =طبقات سلاطين الإسلام.

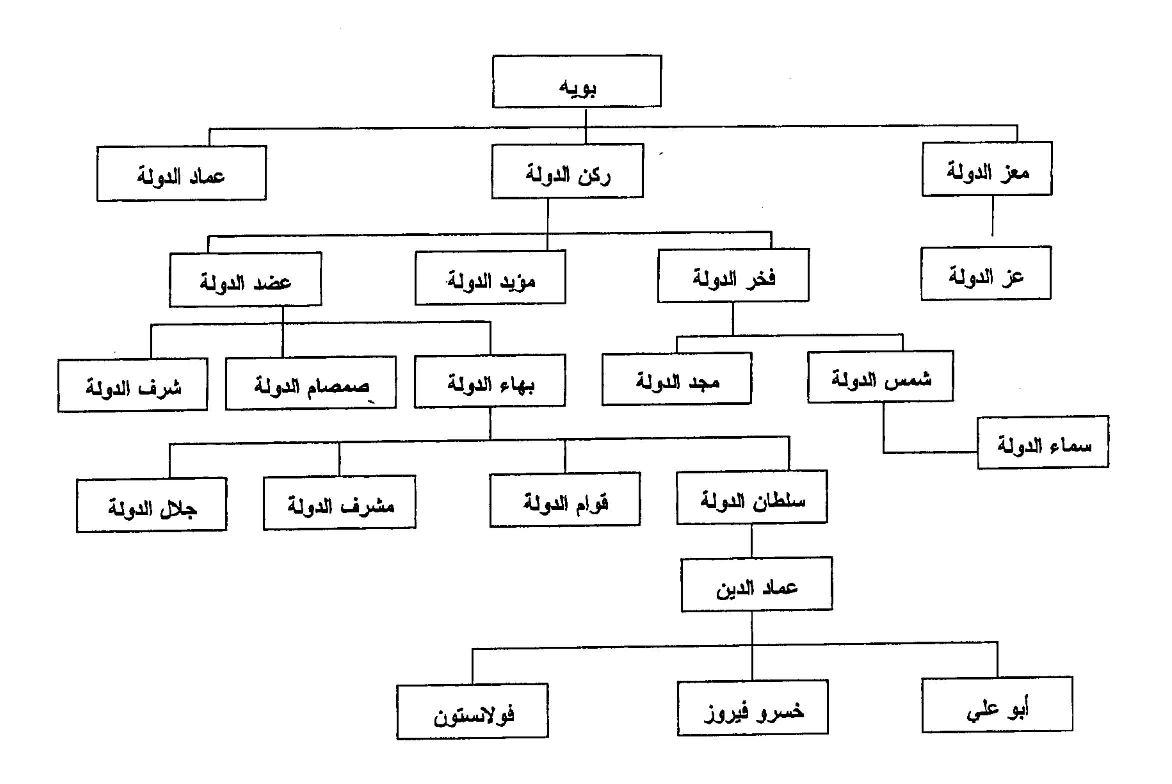
الرحيم الذي أسره القائد السلجوقي (طغرك) وعدد الملوك الذين ملكوا العراق (١١) ملكاً وأنتقل الحكم إلى السلاجقة ثم إلى الخلفاء العباسيين الذين أعاد حقهم ونفوذهم حتى حمل عليهم هولاكو بجيوشه وقضى على الخلافة العباسية وأعدم الخليفة العباسي وحاشيته فضل العراق ينتقل من دولة إلى أخرى ونـدرج أدناه جدول يمثل تسلسل أمراء بني بويه في الحكم الذي يعد العصر البويهي من العصور المهمة التي مرت بها الدولة العربية الإسلامية التي تناولها الكثير من المؤرخين بميولهم السياسية والمذهبية متأثرين باقتران اسمها بأحداث بغداد وما آلت إليه الخلافة العباسية من تدهور وضعف إدارتها إلى جانب سوء معاملة الأمراء البويهيين للخلفاء العباسيين متممين بذلك ما بدأه القادة الأتراك الذين سيطروا على الدولة العباسية.

ويقول (بوزورث) من السي آي التنظيم العسكري عن البويهيين في العراق وإيران المنشورة في مجلة المورد لعام(١٣٩٥هـ) (ارتقى البويهيين السلطة كجنود هدفهم الإثراء وكان الدور الذي لعبه قومهم الديالمة في التاريخ الإسلامي عسكرياً إلى حد ما) ومن نافلة القول أن تقدم مقاطعة فارس في العلوم الإسلامية كان ملموساً بكثرة المشتغلين بهذا العلم وثرا مصنفاتهم فيما كان إرث مقاطعة فارس الديانة الزرادشتية واللغة الفارسية أصابها الخمول والركود ونرى انتشار الدين الإسلامي واللغة العربية في بيئة فارس فتخلى معظم الناس عن دياناتهم القديمة واقبلوا على اعتناق الدين الإسلامي الجديد فكان التهافت لتعليم اللغة العربية بوصفها لغة الدين الجديد فضلاً عن خصوصيتها في المرونة والبلاغة وبذلك أندفع معظم سكان فارس إلى استيعاب الثقافة العربية الإسلامية وبرعوا في التأليف والتصنيف في العلوم الإسلامية المختلفة ولم يلتفتوا إلى معارفهم الموروثة في الديانة الزرادشتية واللغة الفارسية وخصوصية أخرى تنسب إلى أهل فارس هي طاعتهم للسلطان وأخيراً بعد ضعف الدولة البويهية في زمن الملك الرحيم اندفع القائد السلجوقي (طغرك) وهو يقود جيش كبير مختلط وأغلبهم من الأتراك مكنته من الاستيلاء على بغداد مقر الدولة البويهية ومقر الخلافة العباسية سنة

(٤٤٧هـ) وبهذا انقرضت الدولة البويهية وكان عدد الملوك البويهيين الذين حكموا العراق (١١) ملكاً كما مبين في الجدول أدناه وأنتقل الحكم في العراق بعدهم إلى السلاجقة ثم رجع إلى الخلفاء العباسيين حتى حمل عليهم هولاكو المغولي وأنهى الخلافة العباسية سنة ١٢٥٨م .

وأصبح العراق ينتقل من دولة إلى أخرى حتى حمل الشاه إسماعيل الصفوي على السلطان مراد بك يعقوب آخر ملوك دولة الخروف الأبيض التركمانية وأسست الدولة الصفوية الأولى عام ٩١٤هـ لغاية ٩٤٩هـ.

وأدناه جدول يمثل تسلسل أمراء بني بويه في الحكم:



حكم الدولة اليونانية في العراق بعد انقراض الدولة الفارسية

(٣٣١ ق.م –١٢٦ق.م)

حكمت الدولة اليونانية العراق لمدة (٢٠٥) سنة بقيادة قائدها الكبير بطـل مقدونيا الاسكندر الأكبر المعروف بذي القرنين وبذلك انقرضت الدولة الفارسـية الكبيرة بعد أن استولى الاسكندر علـى جميـع مـا كـان للفـرس مـن الـبلاد والمستعمرات عدا بلاد فارس التي استولى عليها بعد فتح العـراق ومحـي تلـك الدولة الفارسية من عالم الوجود بعد حروب شديدة ومعارك هائلة انتصر الاسكندر انتصاراً باهراً ليس له نظير في التاريخ مع إنه كان جيشه قلـيلاً جـداً بالنـسبة للجيوش الفارسية وذلك سنة ٣٣١ق.م وتعرف هذه الواقعة بواقعة (أربيلا) (اربيل حالياً) ومنها سار نحو بغداد قاصداً مدينة بابل وظل يطارد الملـك الفارسـي دارا حتى وجده قتيلاً سنة ٣٣٠ ق.م بجوار بلخ وأصبح كل ما كان للدولـة الفارسـية ملكاً لليونانيين وبعد ذلك احتل قسماً من بلاد الترك ثم زحف علـى الهنـد سـنة ٣٢٧ق.م ومنها رجع إلى بابل سنة٣٢٥ ق.م.

وبينما هو يستعد لفتوحات جديدة إذ أصابتَه حمى قوية دامت أحد عشر يوماً لم تفارقه حتى قضت على حياته سنة ٣٢٣ ق.م عن عمر لم يبلغ الثالثة والثلاثين وكانت مدة حكمه اثني عشر سنة وكانت وفاته في قصر بختنصر ببابل وقيـل أن سبب وفاته إنه مات مسموماً واعترف الجيش بولاية أخيه (أريديه) تحت وصـاية (بردكاس) الذي استلم خاتم الملك الاسكندر وصياً وتمادت الفتن والحـروب (٢٢ سنة) من سنة ٣٢٣ق.م –٣٠١ ق.م) وانتهت بتمزيق تلك المملكـة وتـم انقـسام الإمبراطورية اليونانية إلى ثلاث أقسام فكان نصيب بطليموس مـصر وفلـسطين وجنوب سوريا وجزيرة قبرص ونصيب (كساندر) مقدونيـة والإغريـق وتراقيـا ونصيب سلوقس بلاد بابل وآشور وبلاد فارس وأرمينيا والأناضول وقـسماً مـن الهند وشمال سوريا واضطربت الأحوال في العراق وبين ملوك الأقـسام الثلاثـة وكان سلوقس من كبار اليونان ومن أعظم قواد الاسكندر وولاه إمارة بابل وبعـد

معارك بين شركاء الحكم تشكلت الدولة السلوقية اليونانية في العراق سنة (٣١٢ ق.م -١٣٦ ق.م) برئاسة سلوقس الأول الذي كان شجاعاً حازماً عادلاً محباً للعلوم والفنون ونشر العدل في مملكته وسار مسيرة الاسكندر في معاملة الرعية بالحسنى ولم يتعرض لديانة أهل البلاد وكان حكمه بفارس وبابل وآشور وأقام سلوقس أولاً ببابل ثم بنى مدينة سماها سلوقية بنيت على الضفة اليمنى من دجلة تبعد عن بابل ٦٣ ميلاً وكانت باتجاه مرقد سلمان الفارسي وبقي سلوقس في مدينة سلوقية (١٢) سنة من (٣١٢ -٣٠٠ق.م) ثم تركها حينما سار الى شمال سوريا بعد واقعة ابسوس ثم انتقل إلى مدينة بناها على نهر العصي وانتقل إليها سنة ٣٠٠ ق.م وانقسمت سوريا إلى قسمين الشمالي للسلوقيين والجنوبي للبطاله إلا انه أعقاب سلوقس كانوا يدعون أن سوريا كلها لهم وليس للبطالسه ولقبوا أنفسهم بملوك سوريا ثم زحف سلوقس على مقدونية سنة ٢٨١ ق.م فقتل في الحرب.

ولما قتل سلوقس الأول جلس مكانه ابنه (انتيوخس الأول) (٢٨١ -٢٦٣ ق.م) ثم تولى انتيوخس الثاني (٢٦٣ -٢٤٧ق.م) وفي عهد هذين الملكين ظهر الضعف في الدولة وانفصل عنها الكثير من البلاد كإمارة بخارى الحالية. وبلخ والصفد في شمال أفغانستان سنة ٢٥٥ ق.م وفي عهده استقل زعيم البرتين (الفرثين) أرشك بإقليم برتيه (خراسان الحالية) سنة ٢٤٨ ق.م وأسس دولة البرتيين ثم استولى على هرقانية وضمها الى ملكه وخلفه سلوقس الثاني وحكم إلى سنة ٢٢٧ ق.م وتلاه الثالث إلى سنة ٢٢٢ ق.م ثم تولى انتيخوس الثالث الملقب بالكبير إلى سنة ١٨٦ق.م وكانت الدولة في عهدهم تزداد انحطاطاً وحاول انتيخوس هذا فتح مصر وأخيراً انتهت إلى هزيمته سنة ١٩١ ق.م فطارده الروم إلى ليديا وكسروه مرة ثانية فصالحهم على نفقة الحرب وجميع بلاده التي في أسيا وفي سنة ١٩٠ ق.م انسلخت أرمينيا من هذه الدولة سنة ١٨٩ق.م وأخيراً مات هذا الملك قتيلاً سنة ١٨٦ ق.م بعد أن قضى حياته في الحروب وأعقبه ابنه سلوقس الرابع وحكم إلى سنة ١٧٤ ق.م ثم انتيخوس الرابع إلى سنة ١٦٤ ق.م وفي عهد هذا الملك استولى البرتيون الفرس على بلاد مادي (مديه) وعلى قسم

كبير من شرق إيران وزال الحكم السلوقي ولم يبق لها شيء في بلاد فارس أيام هذا الملك وخلفه انتيخوس الخامس وحكم إلى سنة ١٦١ ق.م ثم ديمتريوس الأول إلى سنة ١٥٠ ق.م ثم اسكندر بعلاس إلى سنة ١٤٥ ق.م والدولة تنحط يوماً فيوم ثم جلس ديمتريوس الثاني على سرير الملك (١٤٥ -١٢٦ق.م) بعد اسكندر بعلاس وفي سنة ١٤٣ حمل البرتيون على بابل العراق واخرجوا السلوقين منها ثم عادوا السلوقين واسترجعوا بابل سنة ١٤٠ ق.م ولكن في سنة ١٣٨ تمكن الفرس مرة ثانية من استرجاع بابل في سنة ١٢٦ ق.م قتل الفرس ملكهم وفتكوا بأهل مدينة سلوقية وظل العراق تحت سيطرة الدولة البرتية الفارسية ٣٥٢ سنة وانقرضت على يد الملك الفارسي اردشير بن بابك مؤسس الدولة الساسانية الفارسية وانقرضت الدولة السلوقية اليونانية من العراق بعد أن ملكته ١٨٦ سنة.

قائمة بأسماء العلماء في فارس

أبرز القراء	تاريخ الوفاة
احمد ابن الفراج الجوري	(ت٣٥٩هـ/٩٦٩)
المطوعي المقرئ	(ت٣٧١هـ/٩٨١م)
أبو بكر محمد المقرئ	(ت٣٩٣هـ/١٠٠٢م)
أبو يعقوب المقرئ	(ت٤٥٥هـ/١٠٦٣م)
أبو الحسين الفارسي الشيرازي	(ت٤٦١هـ/١٠٦٩م)
أبرز المفسرين	**تاريخ الوفاة**
أبو علي الكشي الشيرازي	(ت٤٠٥هـ/١٠١٤م)
ابن الخضر العمري الكازروني	(ت٤١٣هـ/١٠٣٩م)
أبرز المحدثين	**تاريخ الوفاة**
أبو محمد ابن اذران	(كان حياً سنة ٣٠٤هـ/٩١٦م)
الحسن بن سفيان الفسوي	(ت٣٥٣هـ/٩٦٤م)
بندار بن الحسن الشيرازي	(ت٣٥٣هـ/٩٦٤م)

أبو بكر الفارسي البيضاوي	(ت٣٥٧هـ/٩٦٧م)
أبو سليمان النساج الجوري	(ت٣٦٠هـ/٩٧٠م)
أبو بكر الوراق	(٣٧٠هـ/٩٨٠م)
الحسن ابن محمد الفسوي	(ت٣٧١هـ/٩٨١م)
محمد بن خفيف بن اسفكشاذ	(ت٣٧١هـ/٩٨١م)
أبو احمد الجرجاني القاضي	(ت٣٧٣هـ/٩٨٣م)
ابن شيرويه	(ت٣٨٠هـ/٩٩٠م)
أبو العباس الشيرازي الحافظ	(ت٣٨٢هـ/٩٩٢م)
أبو عبيد الله المرزباني	(ت٣٨٤هـ/٩٩٤م)
القاضي أبو محمد الاصطخري	(ت٣٨٤هـ/٩٩٤م)
أحمد بن العباس التوزي	(ت٣٨٤هـ/٩٩٤م)
أبو علي الكرماني	(كان حياً سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م)
ابن عبدان	(ت٣٨٨هـ/٩٩٨م)
يحيى بن علي بن محمد	(ت٣٨٩هـ/٩٩٨م)
أبو العباس الكازروني	(ت٣٩٦هـ/١٠٠٥م)
ابن جميع	(ت٤٠٢هـ/١٠١١م)
الحافظ أبو بكر الشيرازي	(ت٤٠٧هـ/١٠١٦م)
أبو بكر الثقفي	(ت٤١٦هـ/١٠٢٥م)
الرشيقي	(ت٤٢٠هـ/١٠٤٨م)
أبو بكر الشيرازي الصفار	(ت٤٤٠هـ/١٠٤٨م)
أبو القاسم الشيرازي	(ت٤٤٨هـ/١٠٥٦م)
أبو عبد الله الجوري	(٤٥٣هـ/١٠٦١م)
أبو عبد الله الشيرازي الوراق	(ت٤٧٤هـ/١٠٨١م)
ابن سمكويه	(ت٤٢٨هـ/١٠٨٩م)
أبو زرعة الشيرازي	(ت٤٨٥هـ/١٠٩٢م)

أبو نصر الاسد آباذي	(ت٤٩٤هـ/١١٠٠م)
ابن سعدويه الدهستاني الحافظ	(ت٥٠٣هـ/١١٠٩م)
أبو بكر السيرافي	
أبو القاسم الحافظ	
أبرز الفقهاء	**تاريخ الوفاة**
أبو عمر الكازروني	(ت٣٥٨هـ/٩٦٨م)
أبو بكر بن شاهويه	(ت٣٦١هـ/٩٧١م)
الثبيتي	(ت٣٧٢هـ/٩٨٢م)
أحمد بن سعيد الجوري	(ت٣٨٣هـ/٩٩٣م)
القاضي أبو محمد الاصطخري	(ت٣٨٤هـ/٩٩٤م)
أبو الحسن الجزري	(ت٣٩٠هـ/٩٩٩م)
القاضي أبو الحسن الجوري	(ت٣٩١هـ/١٠٠٠م)
علي بن سعيد الاصطخري	(ت٤٠٤هـ/١٠١٣م)
ابن المهدي	(ت٤١٠هـ/١٠١٩م)
أبو القاسم القاضي	(ت٤١٣هـ/١٠٢٢م)
أبو عبد الله البيضاوي	(ت٤٢٤هـ/١٠٣٢م)
أبو بكر البيضاوي	(كان حياً سنة ٤٢٤هـ/١٠٣٢م)
علي بن رمان الكازروني	(ت٤٤٦هـ/١٠٥٤م)
محمد الكازروني	(ت٤٥٥هـ/١٠٦٣م)
أبو القاسم البيضاوي	(ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م)
أبو الفتح الخرهي	(ت٤٦٩هـ/١٠٧٦م)
أبو حكيم الخبري	(ت٤٧٦هـ/١٠٨٣م)
الشيخ أبو إسحاق الشيرازي	(ت٤٧٦هـ/١٠٨٣)م
القاضي أبو محمد الفامي	(ت٥٠٠هـ/١١٠٦م)
علي بن الحسن القاضي الجوري	

القاضي ناصر الدين البيضاوي	
أبو بكر محمد بن إبراهيم دهزور	
أبرز المتصوفين	تاريخ الوفاة
بندار بن الحسين الرازي	(ت٣٥٣هـ/٩٦٤م)
أبو الحسن الفسوي الزاهد	(ت٣٦٥هـ/٩٧٥م)
محمد بن خفيف بن اسفكشاذ	(ت٣٧١هـ/٩٨١م)
غلام زحل	(ت٣٧٦هـ/٩٨٦م)
أبو العباس الشيرازي الحافظ	(ت٣٨٢هـ/٩٩٢م)
أبو بكر الكازروني الصوفي	(كان حياً سنة ٣٨٨هـ/٩٩٨م)
أبو حيان التوحيدي	(ت٤٠٠هـ/١٠٠٩م)
أبو الازهر البيضاوي الصوفي	(ت٤٠٠هـ/١٠٠٩م)
علي بن زاهر الصوفي	(ت٤١٥هـ/١٠٢٤م)
أبو زرعة الاردبيلي	(ت٤١٥هـ/١٠٢٤م)
ابن باكويه	(ت٤٢٨هـ/١٠٣٦م)
أبو عبد الله الصوفي	(ت٤٣٩هـ/١٠٤٧م)
كوهي الشاعر	(ت٤٤٢هـ/١٠٥٠م)
الحسن بن زيد الصوفي	(ت٤٥٤هـ/١٠٦٢م)
أبو الحسن الصوفي	(ت٤٥٥هـ/١٠٦٤م)
أبو بكر الفارسي الصوفي	(٤٥٥هـ/١٠٦٤م)
أبو منصور الجوري الصوفي	(ت٤٦٩هـ/١٠٧٦م)
أبرز الكتاب	تاريخ الوفاة
أبو احمد الكاتب	(ت٣٥٨هـ/٩٦٨م)
حمزة الاصفهاني	(ت٣٦٠هـ/٩٧٠م)
ابن خلاد الرامهرمزي	(ت بحدود ٣٦٠هـ/٩٧٠م)
أبو القاسم الجكار	(ت٣٨٨هـ/٩٨٨م)

أبو حيان التوحيدي	(ت٤٠٠هـ/١٠٠٩م)
أبو الفرج بن هندو	(ت٤٢٠هـ/١٠٢٩م)
الاسود الغندجاني	(كان حياً ٤٢٨هـ/١٠٣٧م)
بهرام بن مافنة	(ت٤٣٣هـ/ ١٠٤١م)
محمد بن سعيد الكراني	
أبو محمد الكراني	
أبو إسحاق الكراني	
أبرز النحويين	**تاريخ الوفاة**
أبو بكر النحوي الجوري	(ت٣٥٩هـ/٩٦٩م)
ابن درستويه	(ت٣٤٦هـ/٩٥٨م)
أبو سعيد السيرافي النحوي	(ت٣٦٨هـ/٩٧٨م)
أبو محمد السيرافي	(كان حياً سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م)
أبو علي الفارسي النحوي	(ت٣٧٧هـ/٩٨٧م)
أبو الحسن الربعي النحوي	(ت٤٢٠هـ/١٠٢٩م)
أبو الحسن الفسوي	(ت٤٢١هـ/١٠٣٠م)
أبو القاسم الفسوي النحوي	(ت٤٦٧هـ/١٠٧٤م)
أبرز الشعراء	**تاريخ الوفاة**
أبو عبد الله الكونجاني	(ت٣٦٣هـ/٩٧٣م)
ابن العلاف الشيرازي الدهكي	(ت٣٧٧هـ/٩٨٧م)
أبو بكر الخوارزمي	(ت٣٨٣هـ/٩٩٣م)
أبو علي المنطقي	(ت٣٩٠هـ/٩٩٩م)
ابن جني	(ت٣٩٢هـ/١٠٠١م)
أبو الحسن السلامي	(ت٣٩٣هـ/١٠٠٣م)
أبو حكيم الخبري	(ت٤٧٦هـ/١٠٨٣م)
أبو القاسم الشيرازي	(ت٤٨٥هـ/١٠٩٢م)

الميبذي	(ت٤٩١هـ/١٠٩٧م)
أبو طاهر الميبذي	
أبو الحسن الكارزيني	
أبرز الاطباء	تاريخ الوفاة
الطبري	(ت٣٦٠هـ/٩٧٠م)
أبو سليمان السجستاني	(ت٣٨٠هـ-٩٩٠م)
علي بن عباس المجوسي	(ت٣٨٤هـ/٩٩٤م)
أبو سعيد الارجاني	(ت٣٨٤هـ/٩٩٤م)
جبرائيل بخيشوع	(ت٣٩٦هـ/١٠٠٦م)
الحسن الفسوي	(كان حياً سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م)
أبو العلاء الطيب	(كان حياً سنة ٤١٥هـ/١٠٢٤م)
أبو سهل الارجاني	(كان حياً سنة ٤١٨هـ/١٠٢٧م)
ابن العجيم	(ت٤٣٠هـ/١٠٣٨م)
أبو الحسن بن غسان	
أبرز الرياضيين	تاريخ الوفاة
أبو بكر العياضي	(ت٣٧١هـ/٩٧١م)
الخجندي	(ت٣٩٠هـ/٩٩٩م)
أبرز الفلكيين والمنجمين	تاريخ الوفاة
أبو الفرج اللجلاج	(ت٣٦٠هـ/٩٧١م)
أبو الحسن المنجم	(ت٣٧٤هـ/٩٨٤م)
حمزة لبراهيم	(ت٤١٩هـ/١٠٢٨م)
محمد هادي الشيرازي	

الاحتلال الفارسي

وقصة الملك الفارسي آبرويز

عندما استولى الروم على نينوى سنة ٦٢٧م ثم على كركوك ثم تقدموا نحو العراق حتى وصل قائد الروم (هراقليوس) إلى (الدسكره) وهي مدينة قرب مدينة شهربان فأختل أمر الفرس فخلعوا ملكهم آبرويز وولوا مكان ابنه (شيرويه) سنة (٦٢٨م) وعلى اثر ذلك قتل الملك الجديد شيرويه أباه آبرويز.

وآبرويز هذا هو الذي قتل النعمان الثالث ملك الحيرة سنة ٦١٣م وولى بدله على الحيرة أياس بن قبيصة الطائي وهو من أشراف طي وشجعانها في الجاهلية وحدثت في ايامه معركة ذي قار التي انتصرت بها العرب على العجم وكان اياس يقاتل مع العجم، والملك آبرويز هو الذي أرسل اليه نبينا محمد(ﷺ) كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام مع عبد الله بن حذافة السهمي وهو صحابي اسلم قديماً وشهد بدراً واسره الروم أيام الخليفة عمر بن الخطاب وتوفي في أيام عثمان بن عفان ويعد من شعراء مكة. فلما حضر عبد الله أمام آبرويز سلمه الكتاب وهذا نصه (بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم الفرس سلام على من أتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله، أدعوك بدعاية الله فأني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين. أسلم تسلم فأن أبيت فإنما عليك أثم المجوس) فقرأه آبرويز فلما أنتهى منه مزقهُ واساء إلى حامله وكتب إلى عامله باليمن يأمره أن يغزو المدينة ويأتيه برسول الله أسيراً، وعاد عبد الله إلى النبي (ﷺ) واخبره بما فعل آبرويز فقال: اللهم مزق ملكه كما مزقَ كتابي، فلما خلع آبرويز وقتل كتب أبنه شيرويه إلى عامله باليمن ينهاه عن مقاتلة رسول الله وفي عهد آبرويز حدثت المعركة الشهيره بوقعة ذي قار بين الفرس والعرب التي انتصر فيها العرب. ولم يملك شيرويه غير بضعة لأشهر فقط وخلفه اردشير الثالث سنة ٦٢٩م وهو طفل فجعلوا له نائباً ليقوم بأمره وهو رئيس أصحاب

المدائن المدعو (جسنس) في الوقت الذي حمل المسلمون فيه إلى العراق بقيادة خالد بن الوليد وعلى أثر ذلك أتفق رجال الدولة الفارسية على تمليك (بوران) بنت كسرى آبرويز فقتلت من قبل رئيس القادة خنقاً سنة ٦٣١م ثم أجتمعوا على الملك يزدجرد الثالث بن شهريار فدانت له الفرس وفي سنة ٦٣٦ أجبره العرب على الهزيمة من العراق إلى بلادهم الأصلية ايران وقامت دولة الإسلام في العراق وانقرضت دولة الفرس التي حكمت (٤١٠ سنوات) (٢٢٦-٦٣٧م).

ولقد كان معظم سكان العراق في عهد الدولة الساسانية من بقايا الاراميين الأصليين وهم الكلدان والسريان والقبائل العربية منها اياد وربيعة وعرب المناذرة سكان الحيرة وجموع من شتات الفرس والاكراد وغيرهم من أمم أخرى. بعد أن كانت الامبراطورية الفارسية من أكبر دول العالم وتشتمل على بلاد ايران والديلم وجورجان وبلاد بابل (العراق) وبلاد آشور التي من ضمنها كردستان وبلاد الجزيرة (بين النهرين) وجزائر خليج فارس وقسم من بلاد العرب منها بلاد اليمن ولم تقم بعدها دولة للفرس في العراق أعواماً طوالاً في عهد الخلفاء الراشدين ثم إلى بني أمية ثم إلى بني العباس حتى إذا ضعف شأن الخلافة العباسية في بغداد قامت فيه دولة فارسية على يد بني بويه فحملوا على بغداد وأسسوا فيها دولة فارسية سنة ٣٣٤هـ -الموافقة لسنة ٨٤٥م ثم تلتها الدولة الصفوية بعد حين من الدهر ثم الدولة الزندانية في العهد العثماني وبقيت المدن العراقية خاضعة للعثمانيين إلى ان قامت الحرب العالمية الاولى وسقوط البصرة مفتاح العراق عام ١٩١٤م. وسقوط بغداد عام ١٩١٧م، وقامت بعد الحكم العثماني حكومة الاحتلال البريطاني ثم تشكلت الحكومة العراقية بعد حوادث ومعارك يطول ذكرها.

إسلام الديلم على يد العلويين الزيديين

تقع بلاد الديلم في الجنوب الغربي لبحر الخزر وتعرف ببلاد جيلان ، وجيلان أسم لبلاد كثيرة فيما وراء النهر صعبة المسالك لكثرة ما بها من جبال، ويصف الاطخري في (مسالك الممالك) بلاد الديلم ويقول (أما الديلم فإنها سهل وجبل وأما السهل فهو الجبل وهم مفترشون على شط البحر تحت جبال الديلم وأما الجبل فللديلم جبال منيعة والمكان الذي يقيم به الملك يسمى روذبار ورياسة الديلم فيهم وفي بلاد الديلم ثلاثة جبال منيعة يتحصن أهلها بها وهي الرويج وباذوسبان وقارن ولكل جبل منها رئيس والغالب عليها الاشجار العالية والمياه وهي خصبة جداً، ويضيف الصابي أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الكاتب في (أخبار الدولة الديلمية عن فضيلة الديلم ويقول (ما قهرهم عبد ولا غلبتهم الأمم ، والاحاديث عنهم في شدة البأس وبذل الزاد وصون العرض اعتادوا الضيافة وإكرام الدخيل ما أعتاده كرم العرب ربما انفراد لسانهم وعاداتهم العربية تشير إلى أصولهم العربية يرحمون الضعيف كبراء في الفقه، رجال في القتال، ويضيف المقدسي بأنه اشتهروا بالجمال وحسان اللحى والوجوه ويضيف الاصطخري في (مسالك الممالك) ان الديلم طائفة من بني (ضبّه) وهم بطن من العدنانيين ينتسبون إلى ضبّه ابن أد بن ألياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وهم من جمرات العرب الثلاث وكانت منازلهم في جوار بني تميم من نجد ثم انتقلوا في الإسلام بجهة النعمانية حسبما ورد في تاريخ المدينة المنورة. تحقيق: فهيم محمد شلتوت، ولم يكن اسلام الديلم للوهلة الاولى بل كانت هناك مراحل حتى تقبلوا بها الدين الإسلامي واستمر الديلم قديماً خاضعين للحكم الإسلامي مع بقائهم على وثنيتهم وكانت مجاورتهم بلاد طبرستان التي دانت بالإسلام وكانت بين الديالمة والطبريين علاقة سلم وموادعة وكان اسلام الديلم على يد العلويين الذين أعتنقوا المذهب الزيدي وهم ثلاث فرق : الجارودية أصحاب الجارود. زياد بن ابي زياد، والسليمانية أصحاب سليمان ابن جرير. والصالحية البترية أصحاب الحسن بن صالح والبترية أصحاب كثير النوي الابتر. وهم متفقون في المذهب وتجمعهم

إمامة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب (عليهم السلام). وكان ذلك في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك حسبما ورد في البغدادي . (الفَرق بين الفِرَق) والشهرستاني في (المِلل والنحل) وأول من صار من العلويين إلى بلاد الديلم هو يحيى بن عبد الله أبو الحسين يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام).

وكان أخوه أدريس الذي فر إلى المغرب وأقام دولة الادارسة سنة ٧٢هـ، حسبما ورد في الاصفهاني أبو فرج في (مقاتل الطالبين) وفي سنة ٢٥٢هـ وفي عهد الخليفة العباسي المستعين بالله وهو أحمد بن محمد بن المعتصم أخو المتوكل ظهر الحسن بن زيد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن علي بن أبي طالب في بلاد الديلم ولقب بالداعي وهو غير الإمام عند الزيدية بل ينتسبون إلى الإمام الرضى ويحافظون على الدعوة الزيدية ونشرها، وأسلمت على يديه أطراف الديلم وخرج إلى طبرستان وملكها. ونتيجة لتلك الظروف كما يقول ابن الاثير صارت كلمة الديلم وأهل كلار وشالوس والروبان على بيعته ونقصد هنا الحسن بن زيد الذي ترأس الثورة في عهد الخليفة العباسي المستعين بالله وأسس الدولة العلوية بطبرستان وتوفي سنة ٨٤٨م، وتلاه من بعده أخوه محمد بن زيد الذي ملك طبرستان والري وجرجان وبعد معركة جرجان أصيب محمد بن زيد في المعركة ومات بعدها. وأُسر أبنه زيد وحُمل إلى الأمير إسماعيل الساماني فأكرمه وأنزله في بخاري وجعلت السلطة والخطبة بأسم الخليفة العباسي. وظهر بعد ذلك الحسن بن علي المعروف بالأطروش والملقب بالناصر سنة ٣٠١هـ، وكان الأطروش مصاحباً لمحمد بن زيد ومعاوناً له فأنتهز الحسن بن علي الملقب بالأطروش وهيج الديلم وسيطر على طبرستان بعد أن أنتزعها من نفوذ السامانيين، وخرج مع الأطروش العديد من القادة منهم أبو الحسن علي بن بويه (عماد الدولة) وليلي بن النعمان الديلمي وكان صاحب جيش الأطروش هو الحسن بن القاسم وهو أبو محمد الحسن بن علي بن عبد الرحمن بن القاسم ين الحسن بن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) ولُقب بالداعي الصغير.

كما ورد في عمدة الطالب في أنساب أبي طالب . ولاه الحسن الأطـروش قيـادة جيشه وزوجه أبنته ولما قتل الأطروش سنة ٩١٦م، قام الداعي من بعده واستولى على الري وقزوين وزنجان وأبهر وقم وتـوفي سـنة ٩٢٨م. حـسبما ورد فـي البخاري (سر السلسلة العلوية) ، واخيراً انتهت الدولة العلوية في طبرسـتان وآل الأمر إلى الزياريين ، والزياريين نسبة إلى مؤسس الإمارة الزيارية ملـك الـديلم مرداويج بن زيار الذي أعلن استقلاله فـي طبرسـتان وجرجـان سـنة ٩٢٨م، واستمرت إلى سنة ١٠٧٧م، ثم اضمحلت دولتهم وتلاشى نفوذهم كمـا ورد فـي الكافي والكليمي والغفاري. وبعد أن انشقت الدولة الزيارية عن الزيدية وكونوا لهم إمارة أنشقت ثانيةً من الإمارة الزيدية الدولة البويهية التي اسـتطاعت أن تبـسط نفوذها وتمتد إلى حاضرة الخلافة العربية الإسلامية ببغداد سنة ٩٤٥م. واسـتمر نفوذ البويهيين لأكثر من قرن (٩٤٥ – ١٠٥٥م).

جغرافية بلاد الفرس

اختلف المؤرخون والباحثون في أصل تسمية فارس فـأبن الفقيـه[1] ، يقـول ان التسمية تعود إلى فارس بن طهومرث[2] ، وهو الذي تنسب الفرس اليه لأنه مـن ولده اماياقوت[3] ، فينقل عن ابي علي في القصريات ان فارس اسم بلد وليس باسم رجل وليس أصله عربي بل هو فارسي معرب أصله بارس فعرب فقيـل فـارس

[1] أبو عبد الله احمد بن محمد بن إسحاق الهمذاني صاحب كتاب البلـدات تحقيـق: يوسـف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦، ص٤٠٦.

[2] طهومرث: كان ملكاً عادلاً وكان له عشرة بنين منهم جم وشيراز واصطخر وفسا وجنابـا وكسكر وكلواذي وقرقيسيا وعقرقوف ودارا بجرد فأقتطع كل واحد منهم البلد الذي سمي بـه ونسب اليه، ابن الفقيه، البلدان، ص٤٠٦.

[3] الياقوت: شهاب الدين عبد الله الحكوي أبو عبد الله المتوفي ١٢٢٨م، معجم البلـدان، دار أحياء التراث ، بيروت، ١٩٨٤.

وينقل ياقوت عن بطليموس[١] ، وفي كتاب الملحمة على ان التسمية تعود إلى فارس بن ماسور بن سام بن نوح ، ويقول الحميري[٢] ، أن أصل التسمية بالفارسية هي بارس، ويذكر لسترنج[٣] .

ان إقليم فارس عرفه اليونان باسم (برسس) وشاع استعمال هذا الاسم وارادوا به المملكة كلها، فالاسم برسيا (بلاد فارس) هو مشتق من برسيس اليونانية وقد صار اسماً يطلق على دولة الشاه بأسرها في حين ان الفرس أنفسهم يسمون بلادهم (مملكة ايران) وما فارس القديمة إلا إقليم واحد من أقاليمها الجنوبية.

أما الموقع والحدود للدولة الفارسية:

فقد قسمت المعمورة من الأرض على ضروب من الأقسام المسماة الأقاليم وهي كلمة معربة من اليونانية استخرجها الجغرافيون العرب للدلالة على الأقسام الرئيسية على أساس توزيع خطوط العرض على الكرة الأرضية، فجعلوها سبعة أقاليم وبدأو بقسمتها من خط الاستواء ، فأما فارس فأنها تقع ضمن الأقليم الثالث، كما ذكره المقدسي مطهر بن طاهر المتوفي ٩٦٥م، في كتاب (البدء والتاريخ) بينما يذكر ياقوت في (معجم البلدان) إنها تقع ضمن الأقليم الرابع إذ يتوسط فارس وأقليم كرمان بين فارس وسجستان والاحواز بلاد مابين البصرة وفارس واصفهان وهي من اشهر مدن الجبال فتحت سنة (٢١هـ) والمفارزه وهي البرية التي لا

---

[1] بطليموس: قائد يوناني استلم الحكم بعد انقسام الامبراطولاية اليونانية وكان رئيساً على مصر وفلسطين وجنوب سوريا وقبرص.

[2] محمد بن عبد المنعم المتوفي ١٣١٠م، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق احسان عباس، بيروت، ١٩٨٤م، ص٢٣٣.

[3] لسترنج: بلدان الخلافة الشقية، نقله إلى العربية بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرباط، بغداد، ١٩٥٤، ص٢٨٣.

ماء فيها وسميت الصحراء حسبما ورد في (تاج العروس من جواهر القاموس) للزبيدي محمد مرتضى المتوفي ١٧٩٠م.

أما حدود فارس فقد اختلف الجغرافيون في تحديدها إذ يتفق الاصطخري في (مسالك الذهب) وابن حوقل أبو قاسم بن حوقل النصيبي المتوفي ٩٧٧ م والقزويني في (آثار البلاد واخبار العباد) ، على ان حدود فارس هي من الشرق لكرمان ومن الغرب للاحواز ومما يلي الشمال المفازه التي بين فارس وخراسان وبعض حدود أصفهان ومن الجنوب بحر فارس. أما الادريسي في (نزهة المشتاق) فيذكر ان حدود فارس جهة الشرق المفازه الكبرى المتصلة بأرض السند التي هي بين الهند وكرمان وسجستان وقيل ان السند والهند اخوين من يقطن بن حام بن نوح عليه السلام كما أورد ذلك القزويني في آثار البلاد وأخبار العباد وتتصل بالري وهي مدينة مشهورة كما أوردها ياقوت في (معجم البلدان) ومن أسفلها بحر فارس ومن الجنوب أرض مكران وهي مدينة معروفة شمال خراسان ومن الشمال الاحواز، بينما يذكر ياقوت أن أول حدود فارس من جهة العراق ارجان وهي حد فارس والاحواز ومن جهة كرمان السيرجان وهي قصبة بلاد كرمان ومن ساحل بحر الهند (سيراف)، وهي أكبر مدينة بعد شيراز وتقع على البر ومن جهة السند مكران. أما أو الفداء عماد الدين إسماعيل المتوفي ١٣٣١م، في كتاب (تقويم البلدان) فيذكر ان حدود فارس من جهة الغرب الاحواز ومن الشمال الري.

وأما صفة الإقليم الفارسي فيعد من الأقاليم المهمة في الشرق ويصفه المقدسي (إقليم فارس إقليم جليل طيب كثير الخيرات واشبه بالاقاليم في الشام لانها تجمع أضداد الثمار وجبال مثمرة وعسل وزيتون لم ارها بعد الشام إلا بفارس)، ويقول اردشير بن بابك بن ساسان أحد ملوك الطوائف ومن أولاد الملوك المتقدمين (الأرض أربعة أجزاء منها أرض الترك وجزء منها أرض المغرب وجزء منها أرض السواد والجزء الرابع فارس وهو صفوة الأرض) كما أوردها

ابن الفقيه في (البلدان) وطول فارس ٤٥٠ ميلاً في ٤٠٠ ميل ومساحتها مربعة الشكل واقليم فارس واسع طوله ٦٣ درجة وعرضه ٣٤ درجة وفارس من أمهات المدن المشهورة وليس بفارس بلد إلا وبه جبل ويذكر لسترنج في لدان الخلافة الشرقية، ان البلدانيين قسموا إقليم فارس على قسمين وهما: الجروم وهي الأرض الشديدة الحرارة والصرود الأراضي المرتفعة الباردة ويفصل بينهما خط يمتد شرقاً وغرباً. وقد روي في فارس فضائل كثيرة منها ماروي عن النبي (ﷺ) إذ قال (لو كان الدين عند الثريا لذهب رجل من فارس أو ابناء فارس حتى يتناوله) كما أورده الإمام احمد بن حنبل المتوفي ٨٢٩م، في مسند الإمام احمد والنيسابوري في (صحيح مسلم).

ويقول ابن الفقيه في (البلدان) عن ابن لهيعة: (فارس والروم قريش العجم) ويصنف لنا المسعودي في (مروج الذهب) فارس بقوله (فارس خصب الفضاء رقيق الهواء متراكم الماء معتم بالاشجار كثير الثمار وفي أهله شح ولهم خب (يعني خداع ومراوغه) وغرائزهم سيئة وهممهم دنيئة وفيهم مكر وخداع). ويذكر الادريسي في (نزهة المشتاق) (هذا الإقليم ترابه معادن وجباله مشاجر).

وأما التقسيمات الإدارية لاقليم فارس:

اختلف الجغرافيون في تحديد التقسيمات الإدارية لأقليم فارس، إذ يتفق ابن رسته أبو علي احمد بن عمر المتوفي سنة ٩٠٢م، في الاعلاق النفيسة والبكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز محمد المتوفي ١٠٩٤م، في (المسالك والممالك) تحقيق: جمال طلبه (ان لاقليم فارس سبع كور والكورة تشتمل على عدة قرى كما هو معروف عند الفرس وهذه الكور (سابور)، و(اصطخر) و(اردشيرخره) و(دارا) و(بجرد) و(افسام) و(ارجان) و(شيراز) بينما يتفق الجغرافيون على تقسيم إقليم فارس على خمس كور ويقسم المقدسي في كتاب (أحسن التقاسيم) الإقليم الفارسي على ستة كور وقد ورث العرب عن المملكة الساسانية تقسيم فارس على خمسة كور وهذه الكور غير مستقرة بسبب الصراعات السياسية

كالطاهريين والصفاريين والسامانيين والغزنويين وغيرهم فضلاً عن الفتوحات العربية الإسلامية التي غيرت خارطة المشرق بضمها أغلب مدن المشرق تحت إدارة قوية موحدة ثم انه صاحب هذه الفتوحات ظهور حركات انفصالية وتكوين دويلات المشرق الإسلامي وفارس من الاقاليم المهمة في المشرق قبل الإسلام وبعده إذ كان مركزاً لحكم ملوك الفرس . وكان للفرس أربعة زموم وبعظهم يقول خمسة زموم وتعنى هذه الكلمة (زموم) محل مناطق الاكراد وهي مدن أو قرى مجتمعة ولكل واحدة منها رئيس من الاكراد لحماية القوافل وحفظ الطراق وأصبحت هذه الزموم كالمماليك ومنها: زم الحسين بن جيلويه ويسمى بزم الرميجان وزم احمد بن الليث ويسمى باللولجان. وزم الحسين بن صالح ويسمى بالديوان. وزم شهريار ويسمى بزم البازنجان. وزم احمد بن الحسن ويسمى بالكاريان.

وأما احياء الاكراد:

تنتشر احياء الاكراد بجميع أنحاء فارس يشتغلون في المراعي في الصيف والشتاء على مذاهب العرب ولا يدخلون أرض غيرَهم.

وأما الحصون والقلاع:

تكثر في كل نواحي فارس حصون وقلاع بعضها أمنع من بعض واكثرها بناحية سيف بني الصفار وفيها حصون منيعة في جبال شاهقة تستعصي على الغزاة وأكثر مدن فارس محصنة بأسوار وثيقة وعالية ومنها حصون داخل المدن وقهندزات وهو اسم القلعة بلغة خراسان وما وراء النهر يقول ياقوت في (معجم البلدان) ومن هذه الحصون البارزة في فارس (حصن دزك نشناك) وحصن (الروذان) وغيرها وهناك قلاع تزيد على خمسة الاف قلعة منفردة وكان لحصانة القلا وأهميتها وما توفره من أمان أتخذها الولاة والحكام مقراً لحكمهم ومن القلاع كانت مأوى للخارجين على السلطة وأهم القلاع في كورة اصطخر هي:

قلعة سي كنبذان وسعيد آباد وقلعة أبرج والقلعة البيضاء وقلعة أقليد وقلعة خوار وهناك عدة قلاع في كورة اردشيرخره وفي كورة دارا بجرد وفي كورة سابور .

ومن الانهار والبحيرات في فارس:

نهر مسن أو (مسين)، ونهر شيرين ونهر الشاذ كان. ونهر درخيذ ونهر الخوبذان ونهر رس ونهر أخشين ونهر سكان ونهر جرسيبق ونهر الكر ونهر فرواب ونهر برزه ونهر طاب.

وأما البحيرات في فارس:

بحرة البختان، وبحيرة دشت ارزن وبحيرة توز وبحيرة الجنكان وبحيرة الباسفريه وبحر فارس.

وأما الجزر في بحر فارس فهي:

جزيرة خارك وجزرة قيس وجزيرة جاسك وجزيرة كاوان ويقال لها جزيرة بني كاوان وتسمى جزيرة لافت وهي من بحر فارس بين عمان والبحرين افتتحها عثمان بن ابي العاص الثقفي نزيل البصرة في أيام الخليفة عمر بن الخطاب عام ٦٣٤م، لما أراد فتح ايران وهذه الجزيرة آهلة بالسكان وبها مدينة وجامع.

معركة نهاوند

التمهيد لفتح فارس

تعتبر معركة نهاوند من المعارك الفاصلة في التاريخ العربي ,ففيها انتصر العرب على الفرس في عقر دارهم وتحطمت بقايا الإمبراطورية الفارسية التي انهارت بعد أن استولى على عاصمتها المدائن , سعد بن أبي وقاص , وأخذت تحاول الدفاع عن فارس بما تبقى من جيشها الخائر المنهزم ,ألا أن الخليفة عمر بن الخطاب لم يمهلها لتجمع شتاتها وتنهض من كبوتها ,إذ ما كاد يسمع بتحركات((يزد جرد)) في إيران ومحاولته إعادة تنظيم جيوشه لاستعادة العراق حتى غير فكره وتخطيطه فقرر اقتحام إيران فسير إليها الجيوش من الجنوب و الشمال فانتصرت في كل مكان . وكان أروعها انتصار نهاوند .وسأوجز في بداية هذا المبحث الأحداث التي أعقبت مطاردة الفرس إلى حلوان ,والتي مهدت ((لنهاوند)) ليكون تسلسل الحوادث متكاملاً, والبحث متواصلاً.

الأحداث التي سبقت المعركة

فتح الأهواز

بعد انتهاء معركة القادسية هرب ((الهرمزان)) إلى الأهواز,كما انسحب ((يزدجرد))إلى حلوان ومنها إلى ((الري)) . وأخذا يعدان العدة لاسترجاع أرض العراق .أما العرب فكانت سياسة الخليفة عمر أن يقف الفتح عند حدود الشام والعراق ولا يتعداها الى بلاد الفرس والروم ,لأنه كان يفكر في جمع العرب تحت علم واحد وضمن دولة قوية تضم العراق وسورية ومصر والجزيرة العربية .وتنفيذاً لهذه السياسة سير عمرو بن العاص لفتح مصر وأقام بعض المراكز العسكرية في العراق والشام ووضع فيها حاميات دائمية لصد أي غزو يقوم به

الفرس أو الروم لاسترداد ما كانوا يحكمونه من أرض العـرب. فأنـشأ الكوفـة والبصرة في العراق وأمر سعد بن أبي وقاص الانتقال من المدائن إلـى الكوفـة وولاه عليها، كما ولى ((عتبة بن غزوان)) على البـصرة التـي بنيـت بجـوار ((الابلة)). وقد تمكن عتبة من إخضاع الأهواز إلى سلطان العرب بعد قتال عنيف مع الجند الذين تمكن الهرمزان من جمعهم هناك. ولما تكاثر الإمداد إلى الهرمزان خشي عتبة عاقبة توغله الزائد في الأهواز، لذلك وافق على الصلح الـذي طلبـه الهرمزان فترك له الأهواز كلها عدا ((نهر تيري)) و ((منادر)) وما استولى عليه من ((سوق الأهواز)) والمسالح الكائنة على نهر تيري ومنادر.

لقد نقض الهرمزان الاتفاق ونشب القتال مجدداً أنهزم بنتيجته الفرس الـى ((رام هرمز)) واستولى القائد العربي ((حرقوص بن زهير السعدي)) على سـوق الأهواز وأقام فيها. وعندما مات عتبة وتولى المغيرة بن شـعبة ولايـة البـصرة فانتهز عجم الأهواز الفرصة وأعلنوا الثورة فخرج إليهم المغيرة وتغلب عليهم إلا انه لم يستمر بالتقدم تنفيذاً لأمر الخليفة الذي لا يرغب فـي التوغـل فـي أرض فارس. عزل المغيرة من ولاية البصرة وتولاها أبو موسى الأشعري فعـاد أهـل الأهواز ونقضوا عهدهم وامتنعوا عن دفع الجزية، لذلك جمع أبو موسـى قواتـه ودفعها إلى الأهواز لفتحها.

جمع ((يزدجرد)) جيشاً كبيراً من المدن والأقاليم التابعة لـه وطلـب إلـى الهرمزان مشاغلة العرب لحين إكمال استعداد هذا الجيش ثم يتفقا سـوية لطـرد العرب واسترداد ما فقدوه من أرض العراق والأهواز ولما وصلت هذه الأنباء إلى الخليفة عمر قدر خطورة الجيش الذي يحشده يزدجرد على مصير الدولـة التـي شادها لذلك قرر أن يغزو فارس قبل أن يلتقي جيشا يزدجرد والهرمزان فيـصبح أمر القضاء عليهما وهما مجتمعان صعبا لذلك كتب إلى سعد أن يجهز جيشاً يسلم

قيادته إلى ((النعمان بن مقرن)) ويرسله الى الاهواز لتدمير جيش الهرمزان، كما طلب الى عامله على البصرة ((ابو موسى)) تجهيز جيش اخر بقيادة ((سهيل بـــن عدي)) ليتحرك بعد النعمان لمعاونته على أن يتولى قيادة الجيشين عند اجتماعهما ((ابو سبرة بن ابي رهم)).

معركة تستر[1]

سار النعمان مجتازاً أرض الأهواز باتجاه ((رام هرمز)) مقـــر الهرمـــزان وحال وصول أخبار اجتيازه أرض الأهواز إلى الهرمزان خـــرج بجيـــشه إلـــى ((اربك)) ينتظر النعمانِ فيها. وبعد قتال عنيف في ((اربك)) انسحب الفرس إلـــى رام هرمز ثم تركوها إلى ((تستر)) عاصمة الأهواز في ذلك الوقت وهي تقع على نهر الكارون شمالي مدينة الأهواز. تقدم النعمان واستولى على رام هرمز واستمر بتقدمه نحو تستر وتقدم سهيل بن عدي بعد النعمان ولما وصل سوق الأهواز علـــم باستيلاء النعمان على رام هرمز، لذلك غير اتجاه تقدمه وتوجه نحو تستر مباشرة والتحق فيها بجيش النعمان ودخلا تحت قيادة القائد العام ((أبو سبرة)).

كانت تستر منيعة بحصونها وبروجها وقد جمع فيها الهرمزان قوة كبيـــرة أخذت تنمو وتتزايد على مر الأيام بفضل النجدات التي كانت تصل إليها من المدن الأخرى. حمل أبو سبرة على أسوار المدينة أملاً في تخطيها فصمد لـــه الفـــرس فأعاد الكرة مرات عديدة والمدينة صامدة فرأى انه لا يستطيع فتحها ما لم تـــصله نجدات جديدة فكتب إلى الخليفة يشرح له الحال فأمر عمر أبا موســـى أن يـــسير بجيش كبير إلى تستر على أن يدخل حال وصوله تحت قيادة أبي سبرة. وصل أبو موسى فاشتد القتال وكان الفرس يخرجون من أسوار المدينة ويغيرون على العرب

---

[1] تستر او شمنتر: مدينة في عربستان، غزاها البراء بن مالك في خلافة عمر بن الخطاب

فتحتدم المعركة بين الطرفين ثم يعودون إلى حصونهم. ولما طال الأمر أمر الخليفة عمار بن ياسر الذي تولى ولاية الكوفة نيابة عن سعد أن يسير بجيش من الكوفة مدداً لأبي سبرة على أن يترك عبد الله بن مسعود على إمارة الكوفة. وصل جيش عمار والمدينة لاتزال صامدة تقاوم بشدة وإصرار. ولما طالت الحرب ضعفت معنويات بعض أهاليها ، فخرج أحدهم وأتصل بالعرب سراً وأخبرهم بوجود منفذ يمكن أن ينفذوا منه إلى داخل المدينة. وكان هذا المنفذ هو مدخل الماء إلى المدينة. وجه العرب أحد قادتهم ((اشرس بن عوف الشيباني)) بصحبة الدليل الفارسي ليستطلع المنفذ ويتأكد من صدق روايته. تبع اشرس الفارسي فخاض الرجل به النهر ودخل معه المدينة من نفق بجانب مدخل الماء، وسار متنكراً بطرقاتها واراه نقاط الضعف فيها، وأبوابها ولما عاد وأخبر القادة بما رأى قر رأيهم على مهاجمة المدينة من هذا المنفذ مستغلين ظلام الليل . انتدب القائد العربي أربعين رجلاً مع ((اشرس)) يتبعهم ٢٠٠ جندي فدخلوا المدينة وقتلوا الحرس وفتحوا الأبواب فدخل الجيش منها.لجأ الهرمزان إلى قصره واستسلم جيشه بعد قتال مرير، ولما تقدم المسلمون إلى قصره اضطر إلى الاستسلام مشترطاً أخذه إلى الخليفة في المدينة، فأجيب إلى طلبه وسير به إلى عمر حيث أعلن إسلامه هناك ولبث فيها حتى قتله عبيد الله بن عمر[1] لاعتقاده بأن له يداً في تحريض أبي لؤلؤة على قتل والده. بعد احتلال تستر توجه العرب فاحتلوا ((سوس)) بعد حصار استمر حتى نفذ ما فيها من ماء وطعام، ثم تقدموا إلى

[1] خرج عبيد الله بن عمر طالباً مبارزة الامام علي بن ابي طالب (ع) في معركة صفين حينما كان يقاتل بجانب جيش معاوية فضربه الامام على راسه فمات. شاكر الشطري، احداث في لسان التاريخ، ص٤.

((جندي سابور)) واستولوا عليها. وهكذا دانت لهم الأهواز بأجمعها ولـــم يـــستطع ((يزدجرد)) نجدتها.

معركة نهاوند

بعد ان تم للعرب النصر في الاهواز استاء أمراء فارس فاجتمع عدد كبير مـــنهم وقرروا أن يلتفوا حول عرش يزدجرد ويدفعوه لقيادتهم حتى النصر، أخذ يزدجرد يرسل الرسائل الى جميع مدن ايران واقاليمها يشجع أهلها على القتال والتطوع في الجيش الذي أخذ يتحشد في نهاوند حتى بلـــغ عـــدده ١٥٠ ألـــف مقاتـــل بقيـــادة ((الفيروزان)) فجمع هذا أمراء الجند وقال لهم(١)، ((ان محمداً الذي جاء للعـــرب بهذا الدين لم يتعرض لبلادنا وقام أبو بكر من بعده فلم يتعرض لنا في دار ملكنـــا ولم يثر بنا الا فيما يلي بلاد العرب من السواد، وهذا عمر بن الخطاب لما طـــال ملكه أنتهك حرمتنا وأخذ بلادنا، ولم يكفه ذلك حتى غزانا في عقر دارنا فأخذ بيت المملكة وانتقصكم السواد والأهواز وهو آتيكم ان لم تأتوه، ولـــيس بمنتـــه حتـــى تخرجوا من في بلادكم من جنده وتقلعوا هذين المصرين، البـــصرة والكوفـــة ثـــم تشغلوه في بلاده وقراره)).

نبه الاحنف بن قيس عمر بن الخطاب الى خطر تحشد الجيوش الفارسية وعزمها على استعادة الاهواز وإعادة احتلال العراق وذلك عند وصوله الى المدينـــة فـــي صحبة الهرمزان، إذ قال له عندما كان عمر يحاسب الهرمزان عن سبب غـــدره للعهود وانتقاضه على العرب من حين لآخر:_

---

(1) الطبري، ج٤، ص١٢٢. هو محمد بن جرير المتوفي ٣١٠هـ، فارسي الأصل من طبرستان له من الكتب (تاريخ الطبري) و(جامع البيان في تفسير القرآن) و(تاريخ الرسل والملوك).

((يا أمير المؤمنين أخبرك انك نهيتنا عن الانسياح في البلاد وأمرتنا الاقتصار على ما في أيدينا ان ملك فارس حي بين ظهير وانهم لا يزالون يساجلوننا مادام ملكهم فيهم فلم يجتمع ملكان فاتفقا حتى يخرج أحدهما صاحبه وقد رأيت أنا لم نأخذ شيئاً بعد شيء الا بانبعاثهم وغدرهم وملكهم هو الذي يحرضهم ويبعثهم، ولم يزل دأبهم حتى تأذن لنا بالانسياح فنسيح في بلادهم ونزيل ملكهم ونخرجه من مملكته وعزامته هناك ينقطع رجاء أهل فارس ويسكن أشهم)). قرر عمر القضاء على دولة الفرس قضاء مبرم لذلك جمع كبار الصحابة والقادة وشاورهم بالامر فاتفق الجميع على ضرورة اقتحام فارس حتى تدين بأجمعها للعرب. فقال لهم عمر ((اشيروا علي برجل اوله أمر هذه الحرب وليكن عراقياً)).

فقالوا له انك أفضل رأياً وابصر بجندك فقال ((اما والله لاولين أمرهم رجلاً يكون اول الاسنة اذا لقيها غدا النعمان بن مقرن)) فأقره المجتمعون على حسن اختياره.

كان النعمان من القادة الأفذاذ فقد انتدبه أبو بكر لقتال من امتنعوا عن الزكاة فهزمهم بذي القصة وكان أحد قواد خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة أيام الفتح الأولى في العراق، ثم كان من أبطال القادسية الكبار وقد ترأس الوفد العربي لمفاوضة يزدجرد وشارك في فتح الأهواز وهو يمتاز بالرجولة والشجاعة والكفاءة والإقدام، وقد اكتسب خبرة وتجربة نتيجة مشاركته في الحروب السابقة التي خاضها وتولى فيها قيادة الكتائب والفرق والجيوش. وبعد هذا القرار أرسل عمر إلى النعمان أمر التعيين التالي:

((بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى النعمان ابن مقرن سلام عليك: فاني احمد الله الذي لا اله إلا هو. أما بعد فانه قد بلغني أن جموعا من الأعاجم كثيرة قد تجمعوا لكم بمدينة نهاوند فإذا أتاك كتابي هذا فسر باسم الله وبعونه ونصر الله بمن معك من المسلمين ولا توطئهم وعرا فتؤذيهم ولا تمنعهم

حقهم فتكفرهم ولا تدخلهم غيضة فان رجلا من المسلمين أحب إلي من مئة ألف دينار. فسر في وجهك هذا حتى تأتي ((ماه))[1]. فاني قد كتبت إلى أهل الكوفة أن يوافوك بها. فإذا اجتمع لك جندك فسر إلى الفيروزان ومن جمع معه من الأعاجم من أهل فارس وغيرهم والسلام عليك)) [2]. ثم كتب إلى عبد الله بن عتبان الذي تعين والياً على الكوفة يطلب إليه تجهيز جيش يلحقه بالنعمان في ((ماه)) وأمره أن يقود هذا الجيش ((حذيفة بن اليمان)) على أن يكون بأمره النعمان حال وصوله ((ماه)) كما كتب إلى النعمان أيضاً بأنه إذا تعرض لحادث فإن حذيفة سيكون قائداً بعده. وان تعرض حذيفة لحادث يتولى القيادة بعده ((نعيم بن مقرن)). ثم كتب إلى أبي موسى الأشعري والي البصرة أن يسير بجيش قوي إلى ((ماه)) ويصبح هناك بإمرة النعمان أيضاً. وطلب إلى قادته في الأهواز ((سلمى بن القين)) و((حرملة بن رابعة)) والباقين أن يشاغلوا الفرس هناك ويمنعوهم من إرسال النجدات الى نهاوند من إقليم فارس المجاور الأهواز. ترك النعمان الأهواز وحث السير معقبا وادي دجلة ثم وادي ديالى حتى وصل ((ماه)) فوجد الجيوش قد سبقته إليها وكان فيها من أبطال القادسية القعقاع بن عمرو وعمر بن معدي وكرب وطليحة بن خويلد وغيرهم كثيرون. وبلغ عدد قواته التي تم تحشدها ٣٠ ألف جندي.

التقدم إلى نهاوند

تحرك الجيش إلى حلوان وفيها انتخب النعمان طريق حلوان -كرند- كنكلوار - نهاوند. وقد سبقته مفرزة للتعسس واستطلاع الطريق وجمع المعلومات عن العدو والتأكد من خلو الطريق من الكمائن. كانت المفرزة مؤلفة من طليحة الاسدي

---

[1] قرية على طريق حلوان وقربها.

[2] الطبري، ج٤، ١٤٤.

وعمر بن معدي كرب وعمر بن أبي سلمى. بعد مسيرة يوم واحد رجع عمر بن أبي سلمى وأخبره بخلو الطريق من الأعداء. وفي اليوم الثاني رجع عمر بن معدي كر مؤكداً خلو الطريق أيضاً واستمر طليحة حتى وصل نهاوند واستطلعها وتجسس أخبارها وعاد مخبرا النعمان بالمعلومات التي معها. قرر النعمان التقدم ففتح قواته بتشكيل المعركة كما يلي:

المقدمة بقيادة نعيم بن مقرن. المجنبتين بقيادة حذيفة بن اليمان وسويد بن مقرن. المجردة بقيادة القعقاع بن عمرو. الساقة بقيادة مجاشع.

موقف الفرس

اجتمعت في نهاوند القوات التالية:

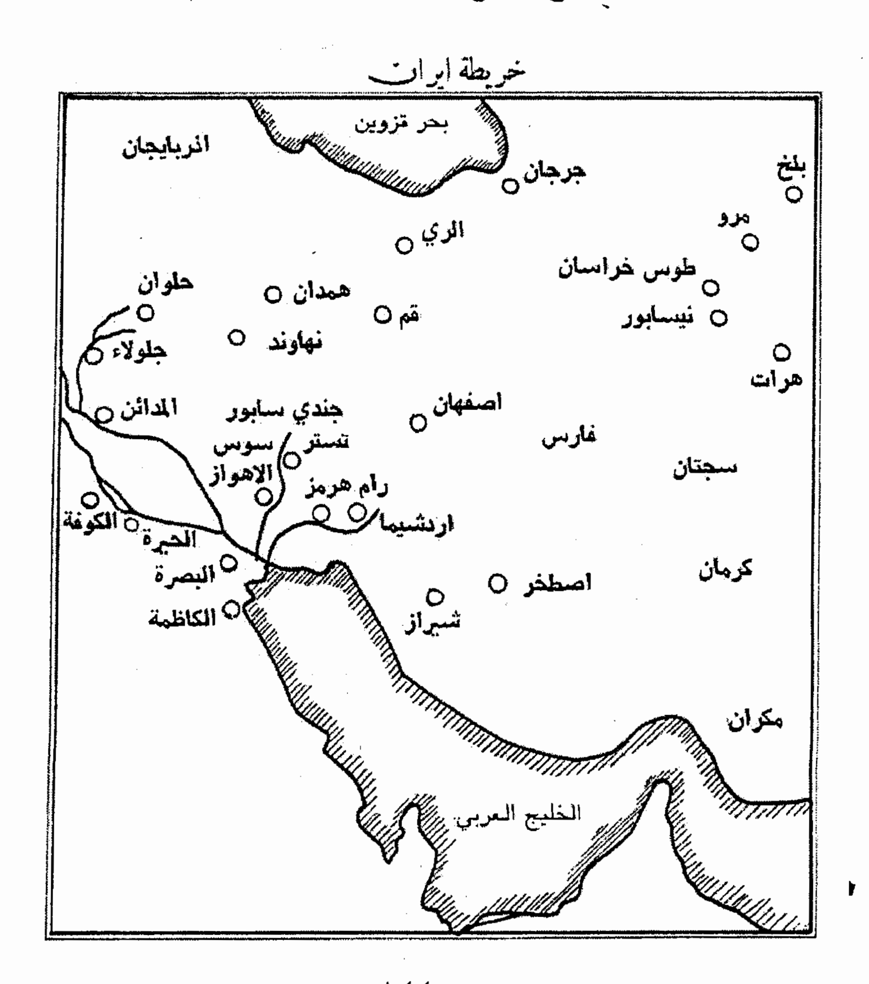
من الفرس والفهلوج, ٣٠ الف مقاتل. ومن خراسان, ٦٠ الف مقاتل. ومن سجستان, ٦٠ الف مقاتل. عرف الفيروزان انباء تقدم العرب منذ غادروا حلوان بواسطة جواسيسة وقرر قبول المعركة في ارض نهاوند منتظرا وصولهم إليها, مستفيدا من حصونها وبرجها وكانت غايته جذب العرب إلى المنطقة الجبلية الوعرة التي لم يألفوا القتال فيها فيتكبدوا مشاق السير على طول الطريق الوعر فيصلوا واهني القوة خائري المعنويات بعيدين عن قواعدهم ومراكز إمدادهم وتموينيهم ولربما كانت هذه الخطة حسنة لو لم يقبع الجيش الفارسي وراء أسوار المدينة مفضلا موقف الدفاع وكان الموقف يقضي على القائد الفارسي ان يعد عددا كبيرا من الكمائن في طريق تقدم العرب ليزيد مصاعبهم ويؤخر تقدمهم ويكبدهم بعض الخسائر كما كان يقضي ان يخرج من حصونه حال وصولهم ويباغتهم بهجوم عام قبل ان يستقروا ويستريحوا . وصل الجيش العربي قرب نهاوند وعسكر فيها فطلب الفيروزان أليهم ان يرسلوا احد قادتهم للمفاوضة أرسل النعمان إليه((المغيرة بن شعبة)) فهدده الفيروزان وانذره بالرجوع من حيث أتوا وإلا

سيكون مصيرهم الدمار . فكان جواب المغيرة : ((والله مازلنا منذ جاءنا رسول الله نتعرف من ربنا الفتح والنصر حتى أتيناكم وإنا والله لا نرجع إلى ذلك الشقاء أبدا حتى نغلبكم على ما بأيديكم او نقتل بأرضكم)).

عاد المغيرة فأخبر النعمان بما جرى بينه وبين الفيروزان فقرر محاصرة المدينة

وصف أرض نهاوند

تقع نهاوند في منطقة تكثر فيها المراعي والبساتين والجداول يحيطها سور منيع وفي وسطها حصن متين البنيان قوي الجدران يحمي أسوارها ولقد حفر الفرس حولها خندقاً عريضاً ولغموا الارض التي امام الخندق بحسك الحديد وهي قضبان حديدية تتالف من اربعة اذرع توضع على الارض لتعرقل تقدم الفرسان والمشاة.



ضرب النعمان الحصار على المدينة وكان الفرس خلال ذلك لا يخرجون من حصونهم إلا نادراً وبجماعات صغيرة غرضها الإغارة السريعة وجمع المعلومات وكانت خيل العرب كلما اقتربت من الحصون اصطدمت بحسك الحديد حيث لا تقوى على اجتيازها. وكان الفرس يرمونهم بالنبل من فوق أسوارهم. ولما رأى النعمان ذلك خشي أن يطول الحصار دون نتيجة فجمع اولى الرأي وكبار قادته في مؤتمر لمناقشة الموضوع، فاشار عليه عمرو بن معدي كرب بمواصلة الغارة على حصون المدينة ومقاتلة كل من يخرج منها فلم يعجب هذا الرأي الحاضرين حيث قالوا انهم سيلزمون حصونهم التي ستكون عوناً لهم علينا، وبعد نقاش طويل اقترح طليحة بن خويلد الاسدي الخطة التالية[1]:

تجهز كتيبة من الفرسان بكامل سلاحها وترسل لمهاجمة الحصون وعليها استخدام النشاب وتتظاهر بأنها عازمة على اقتحام الأسواء ليغضبوا الفرس ويستفزوهم للخروج من الحصن للمناجزة بالسيوف فاذ ما خرجوا على الكتيبة ان تتظاهر بالهزيمة وتتراجع متقهقرة إلى الخلف حتى تبعدهم عن الحصن وتشجع الآخرين على الخروج أيضاً. وإذا ما ابتعدوا عن الحصن كثيراً تتوقف الكتيبة عن تقهقرها وتثبت امامهم وعند ذلك يلتحم بهم الجيش بكامله وتكون المعركة الفاصلة.

وافق الجميع على هذه الخطة فأمر النعمان المجردة التي كان يقودها القعقاع ابن عمرو بمهاجمة الحصن في صباح اليوم التالي وتنفيذ الخطة المتفق عليها بحذافيرها ثم هيأ القسم الاكبر من جيشه للقضاء على القوة التي سيستدرجها القعقاع.

المعركة

---

(1) الطبري، ج٤، ص١٣٠ حيث جاء فيها: ((قال طليحة نبعث خيلاً مؤدية فيحدقوا بهم ثم يزموا لينشبوا القتال ويحشوهم فاذا استحمشوا واختلطوا بهم وأرادوا الخروج ارزوا الينا استطرادا فانا لم نستطرد لهم في طول ما قاتلناهم وانا إذا فعلنا ذلك ورأوا ذلك منا طمعوا في هزيمتنا ولم يشكوا فيها فخرجوا فجادونا وجادناهم حتى يقضي الله فيهم وفينا ما احب)).

تقدم ((القعقاع)) ورمى المدينة بالنبل وأظهر العزم على اقتحام الأسوار، وأبدى من ضروب البأس مما جعل الفرس يخرجون اليه بحذر لصد هجومه وقد قتل المسلمون كل من خرج اليهم فأثار ذلك غضب الفرس فأرسلوا فرقة إلى خارج الأسوار واجبها القضاء على الكتيبة العربية القليلة العدد التي تريد اقتحام الأسوار، اجتازت الفرقة الأسوار وحسك الحديد لمقاتلة العرب فثبت لهم القعقاع بادئ الأمر حتى لا تنكشف الخدعة، ثم أمر جنوده بالتقهقر فلما رأى الفرس فراره تعقبوه.

وكانت الخطة تقضي بالتقهقر إلى ماوراء مرمى النبل من حصون المدينة. وقد تراجعت كتيبة القعقاع حتى وصلت إلى مقربة من القسم الأكبر والفرس يتبعونهم ملتزمين في بداية الأمر الحذر حيث كانت مؤخرتهم تتقدم وهي تدفع أمامها حسك الحديد تحتمي به إذا رجع العرب اليهم. ولما رأى الفرس امعان العرب بالفرار تأكد لديهم بأن الجيش العربي امام شدة ضرباتهم وانتهى أمره ولا بد من مطاردته والقضاء عليه ولا موجب بعد ذلك للحذر فتخطوا حسك الحديد وخلفوها وراءهم واسرعوا بالمطاردة. ثم اندفع الجيش كله من نهاوند بقيادة الفيروزان حتى خلت المدينة منهم للقضاء على الجيش العربي برمته ولما بعد عن المدينة واقترب من موقع القسم الاكبر العربي انتابتهم الدهشة لما رأوا صفوف العرب تنتظرهم وقد استعدوا للمعركة وكان يوم جمعة وقد وصل الفرس قبيل الزوال.

أصدر النعمان اوامره بالصبر حتى ترتفع الشمس إلى كبد السماء ويحل الزوال فيبدأ الهجوم بعد سماع تكبيرته.ولما أصبح الفرس على بعد مرمى السهام أخذ رماتهم يصوبونها إلى الجيش العربي فأصيب بعض الجند فطلب بعض القادة وعلى رأسهم المغيرة بن النعمان ان يصدر أمره بالهجوم إلا انه أصر على التريث حتى الزوال. وأخذ يطوف على كتائبه يشجعهم ويحثهم على الاستبسال وأصدر اليهم توجيهاته الاخيرة ثم رجع إلى مركز قيادته فكبر ثلاث تكبيرات ثم أندفع على رأس جيشه إلى صفوف الفرس فالتحم الجيشان وقد استمات العرب

لانهم يعرفون بأن هزيمتهم في هذا اليوم معناه ضياع الفرصة نهائياً في اخـضاع فارس.

وتحدرت الشمس إلى المغيب والقتال على أشده وكان النعمان يجول بين الصفوف واللواء الخفاق بيده. وبينما كان يشق طريقه في قلب العدو زلق حصانه وسقط منه فعالجه أحد علوج الفرس بسهم في خاصرته فاستشهد. فلما رآه شقيقه نعـيم تقـدم مسرعاً اليه وتناول العلم قبل سقوطه وغطى جسم اخيه بثوبه وكتم أمر استـشهاده عن الجيش خوفا من ان تضعف معنوياتهم. وهم في أوج حماستهم للمعركة. ومع ذلك تقدم إلى حذيفة وقدم له اللواء واخبره بمقتل النعمان. إلا ان حذيفة طلب اليـه ان يستمر بحمل اللواء ويتولى القيادة محل أخيه وان يستمر على كتمان استشهاده حتى انتهاء المعركة. سار نعيم حتى وصل جثة النعمان. فأقـام اللـواء قربهـا واستمر على القتال أقبل الليل وحمي وطيس المعركة والعـرب يـدفعون العـدو أمامهم وأنتشر الظلام فأصاب الفرس الفزع فقرروا العودة إلى حصونهم. إلا انهم اصطدموا بحسك الحديد التي تركوه خلفهم وكان العرب لا يمهلونهم لرفـع هـذا الحسك وأرادوا الانحراف إلى الجانب فتلقفهم خندق عميق اعماهم ظلام الليل من رؤيته فهووا فيه بخيولهم فقتل عدد كبير منهم. ولما رأى الفيروزان ما حل بجيشه أندفع وحيداً نحو طريق همدان يريد النجاة بنفسه، إلا ان ((نعيمـا)) رآه وأمـر القعقاع بمطاردته فأدركه في ثنية الجبل حيث سدت عليه الطريق قافلة من الحمير والبغال تحمل العسل فقتله واستمر مع كتيبته يطارد فلول الفرس المنهزمين حتـى بلغ همدان فحاصرها إلا ان أميرها لما سمع بأخبار اندحار الجـيش الكبيـر فـي نهاوند أنهارت معنوياته واستسلم وعقد اتفاقاً مع العرب فرض فيه القعقاع الجزية على أهل المدينة على أن يضمن له الحاكم ولاء همدان و ((دسبتي)). ولما عـاد القعقاع إلى نهاوند وجد الجيش العربي قد دخلها وان حذيفة قد تسلم القيادة العامـة ويقول الطبري ان عدد قتلى الفرس في نهاوند بلغ ١٠٠ الف قتيل.

بعد نهاوند

بعد انتهاء المعركة أخذ قسم من الجيش العربي يعود إلى بلاده وكان جيش البصرة اول العائدين وفي طريقه حاصر أبو موسى الاشعري ((الدينور)) واحتلها وفرض على أهلها الجزية ثم توجه إلى السيروان وعمل فيها ما عمله في ((الدينور)) ثـم قفل راجعاً إلى البصرة. أخذ حذيفة الذي استقر في ((نهاوند)) يرسل المفارز إلـى المدن المجاور لها ويفرض على أهلها الجزية. ولما وصلت انباء النصر إلى عمر في المدينة استبشر بها وقرر اتمام فتح ايران بأجمعها لذلك اصدر اوامره التالية:

أمر الاحنف بن قيس بالحركة لفتح خراسان وأمر مجاشع بـن مـسعود الـسلمي بالحركة إلى اردشير وسابور وأمر عثمان بن العاص الثقفي بالحركة إلى اصطخر وأمر سارية بن زنيم الكناني بالحركة إلى ((درابجرد)) وأمر سـهيل بـن عـدي بالحركة إلى كرمان وأمر عاصم بن عمرو بالحركة إلى سجستان وأمر الحكم بن عمرو التغلبي بالحركة إلى مكران.

موقف الفرس

حاول يزدجرد ان يعيد تنظيم جيشه بعد انتهاء المعركة لينقذ ما تبقى مـن بـلاده ويصون عرشه من الانهيار فاستنجد بأمراء الاقـاليم فوصـلته الامـدادات مـن اذربيجان وخراسان وفارس ومكران. وكان ينتظرها في الـري ثـم انتقـل إلـى اصفهان ولما بلغ عمر ذلك أمر عبد الله بن عتبان حـاكم الكوفـة بالتقـدم لفـتح اصفهان على ان يستصحب معه قسماً من الجيش المرابط فـي نهاونـد. كانـت اصفهان من مدن الفرس الكبيرة تتألف من مدينتين متجاورتين همـا ((جـي)) و ((اليهودية)) وهذه الاخيرة كانت مستعمرة يهودية أنشأها يزدجرد الاول اسـتجابة لرغبة زوجته اليهودية ((شوشن رخت)) أما ((جي)) فهي القصبة. وتقع أصـفهان في نهاية المنطقة الجبلية من جهة الجنوب وهي مركز مواصلات هـام إذ تـصل

اليها الطرق من مختلف مقاطعات الامبراطورية الفارسية. كما كانت مركزاً تجارياً وزراعياً هاماً.

وصل عبد الله بن عتبان مع جيشه إلى مشارف المدينة فوجد بانتظاره جيشاً فارسياً كبيرا وفيه أكبر مبارزيهم واعظمهم ((شهريار بن جاذويه)) ولما حمى وطيس المعركة وتجندل عدد كبير من الفرس طلب هذا أن يبارزه أحد فرسان العرب فتقدم اليه ((عبد الله بن ورقاء الرياحي)) فصالوه وقتله فاختلت صفوف الفرس وانهارت معنوياتهم وانسحبوا إلى ((جي)) يحتمون باسوارها بينما شرع العرب يعدون الخطة لمهاجمة المدينة. ولما علم يزدجرد باندحار جيشه ترك اصفهان هارباً إلى كرمان أما الجيش فخرج يقاتل المهاجمين بقيادة أمر المدينة ((الفاذوستان)) الذي طلب مبارزة عبد الله ابن عتبان فان قتله استسلمت المدينة وان قتل القائد العربي رجع الجيش عنها. ولما طالت المبارزة دون ان ينتصر احدهما اقترح الفاذوستان ان يسير مع عبد الله إلى معسكر العرب ويصالحه هناك ويسلم المدينة له على ان يسمح لكل راغب بالسفر منها ومن يبقى يدفع الجزية. وهكذا تم استسلام اصفهان. وفي هذا الوقت كان ((اسفنديار الرازي)) شقيق رستم يعد العدة في منطقة بحر قزوين لرد العرب عن منطقة الري، ولما علمت همدان بذلك نقضت عهدها وانضمت اليه فزحف اليها نعيم بن مقرن من نهاوند وأخضعها وبينما كان نعيم ومعه ١٢ الف مقاتل في همدان بلغه زحف الاسفنديار اليه من عدة جهات. فتقدمت عليه ثلاثة جيوش : جيش من الديلم بقيادة ((موتا)) وجيش من الري بقيادة ((الزينبي)) وجيش من أذربيجان بقيادة الاسفنديار نفسه.وقد تحشدت هذه الجيوش في ((واج روذ)) وكانت أخبارها تصل إلى نعيم بواسطة العيون والجواسيس ولم تكد تصل طلائعهم إلى ((واج روذ)) حتى تحرك اليها ليقضي على كل جيش على انفراد. إلا انه وصل بعد ان تجمعت الجيوش الثلاثة فيها، فاشتبك معهم بقتال عنيف انتصر به عليهم. وبعد هذا النصر تقدم نعيم إلى الري بعد ان استخلف يزيد بن قيس على همدان. وكان نصر العرب في الري حاسماً لذلك أسرعت المدن والاقاليم القريبة تطلب الصلح وتؤدي الجزية فخضعت

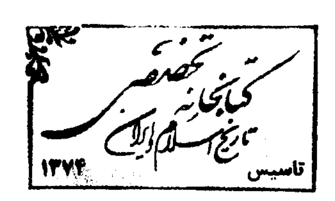
للعرب كل من جرجان وطبرستان وأذربيجان فأصبح العرب يسيطرون سيطرة تامة على إقليم الاهواز في الجنوب وعلى معظم اقاليم الشمال ولم يبق إلا إقليم فارس وخراسان وكرمان ومكران وسجستان. وفي هذه الأثناء بدأت الجيوش التي أمرها عمر بالتقدم لفتح هذه الاقاليم بالحركة بعد ان اكملت استعداداتها وتحشدها. فأندفع جيش عثمان بن أبي العاص من البحرين وكان هدفه النهائي ((اصطخر)) عاصمة إقليم فارس فتمكن من فتحها. واندفع جيش مجاشع بن مسعود من البصرة واستولى على سابور واردشير واندفع جيش سهيل بن عدي واستولى على ((كرمان)) كما استولى جيش عمر التغلبي على ((كرمان)).

وكان يزدجرد يتنقل من إقليم إلى اخر ولما فتح العرب مكران هرب إلى خراسان وهي كائنة جنوب شرقي بحر قزوين. ثم تحرك جيش عاصم بن عمرو واستولى على سجستان. وبعد السيطرة على جميع هذه الاقاليم تحرك جيش الاحنف بن قيس لفتح خراسان وكان إقليم خراسان واسعا. أهم مدنه نيسابور ومرو وهرات وبلخ. وقد تمكن الاحنف من فتح جميع هذه المدن ودخل ((مرو)) عاصمة الإقليم واستقر بها فهرب يزدجرد إلى خارج الحدود الايرانية لاجئاً إلى سمرقند مستجيراً بخاقان الترك . تساقطت اقاليم ايران ومدنها نتيجة الانتصار الحاسم الذي حققه العرب في معركو نهاوند بتحطيم الجيش الفارسي العظيم الذي جمعه الفرس فيها من جميع هذه الاقاليم لصد هجوم العرب عن ايران وإعادة فتح العراق. فلم تستطع بعدها قوى الفرس المبعثرة حماية الاقاليم والمدن الاخرى. لذلك كانت تسمية المؤرخين لمعركة نهاوند بـ (فتح الفتوح) أمراً واقعياً وصحيحاً. خشي خاقان الترك من دخول العرب إلى بلاده فسار مع يزدجرد على رأس جيش إلى الحدود لحمايتها. أما عمر فقد أمر قادته بعدم التوغل والاكتفاء بفتح إقليم ايران. ولما رأى الخاقان توقف العرب تشجع بتحريض يزدجرد على التقدم إلى خراسان فاحتل بعض مدنها ثم غادرها إلى سمرقند تاركا يزدجرد في ((بلخ)) ينظم امر الدفاع عنها.الا ان ثورة داخلية قامت ضده اضطر على أثرها الفرار إلى ((فرغانة) عاصمة الترك ولبث فيها سنين طويلة يراسل أعوانه داخل ايران ويحثهم على الثورة حتى قتل

في زمن الخليفة عثمان بن عفان. وهكذا تم تدمير الامبراطورية الفارسية ودانـت ايران جميعها للعرب.

ان أهم ما يسترعي النظر في معارك فارس هو نجاح العرب في القتـال بـأرض جبلية لم يألفوها سابقاً ولم يشاهدوا نظيرها في بلادهم ولم يتعودوا على مـشاقها، وهذا دليل جديد على ان الجيش الذي يقاتل في سبيل عقيدة ومثل سامية لابـد ان ينال النصر مهما كانت الصعاب التي تعترض طريقه. لان العقيدة ترفع المعنويات وتقوي العزائم فتدفع الجندي إلى التضحية بحياته عن طيب خاطر لتحقيق النصر. ومما يلاحظ ان تفوق الفرس الساحق لم يفدهم في أخذ المبادأة من العـرب ولـم يضعوا خطة هجومية لتدمير الجيش العربي قبل وصوله إلى نهاوند أو في الساحة التي اختاروها للمعركة. بل قرروا الدفاع وراء اسوار المدينة ولا أدري كيف كان بامكانهم تدمير جيش العرب من وراء هذه الاسوار ويظهر أنهم كانوا يعتقدون بأن العرب سيطول بهم الحصار ويعودون من حيث أتوا.

تجلت براعة القيادة العربية التي كان هدفها تدمير الجيش المعادي برمته بالخطـة المثلى التي وضعتها باستدراج الجيش الفارسي من وراء حصونه وأنزال الضربة القاضية به في ألارض المنتخبة وكم كان غباء القيادة الفارسية التي انطلت عليهـا الحيلة فتعقبت كتيبة القعقاع المتقهقرة دون خطة مرسومة أو حـذر فوقعـت فـي الشرك وكانت مباغتتها بالقسم الاكبر الثابت في محله عاملاً حاسماً في النـصر. والمعركة ببطولاتها الفذة وتضحياتها الكبيرة وقياداتها المؤمنة المدركـة لجـديرة بالدراسة في عصرنا هذا من قبل شبابنا المتوثب إلى المجد حتى يستمد من ماضيه قوة لبناء مستقبله وقد صح من قال ((من لا ماضي عنده لا حاضـر أو مـستقبل له)).



أحداث في التاريخ الفارسي

في لسان العرب

الفرس أقدم من خالط العرب من الأمم وأقدم من ساد على وادي الرافدين وكـانوا يستخدمون بعض القبائل العربية لنصرتهم في الحروب واستخدامهم فـي دواويـن الكتابة والترجمة وكان أكثر ملوك الفرس يتقنون اللغة العربية وبعض الملوك من قرب أمراء وشيوخ القبائل العربية كملوك وأمراء مثل ملوك الحيـرة وغيـرهم. ومنهم النعمان الثالث بن المنذر الرابع المكنى بابي قابوس صاحب النابغة الذبياني الذي تولى حكم مملكة الحيرة ٣١٦م. والذي بلغت مملكة الحيرة في أيـام حكمـه غاية الرخاء والرقي والثروة وقد كون هذا الملك خمس كتائـب هـي: الرهـائن والصنائع والاشاهب والدوسر والوضائع وقد توسعت المملكة على عهـده حتـى بلغت نهر دجلة وشيد مدينة النعمانية التي اتخذها مصيفاً وكانت تباهي في جمالها وروعتها (المدائن) عاصمة الفرس (سلمان باك حالياً) والملك النعمان بن المنـذر هو الذي غضب عليه امبراطور الفرس (آبرويز) بسبب وشايه فسجنه حتى مـات في السجن وولى بدله على الحيرة اياس بن قبيصة الطائي من إشراف طيء ومن شجعانها في الجاهلية وبرويز هذا هو الذي أرسل اليه نبينا محمد (ﷺ) كتاباً يدعوه إلى الإسلام فلما قرأه آبرويز مزق الكتاب وأساء إلى حامله فقال رسول الله (اللهم مزق ملكه كما مزق كتابي). وفي عهده حدثت معركة ذي قار بين الفرس والعرب التي انتصر فيها العرب المسلمون ومزقت مملكته وكان في ذلك الزمن البعيد مـن أولاد ملوك اليمن القحطانيين من يتطلع إلى نيل الملك فلما أشتد البلاء على أهـل اليمن خرج سيف بن ذي يزن حتى قدم على ملك الروم تاركاً ملك الفرس كسرى لابطائه عن نصرة أبيه الذي سبق ان قصد كسرى انوشـروان يستنـصره علـى الحبشة فمات والده على باب كسرى ولكن سيف لما لم يجد عند ملك الروم نجـدة فعاد إلى الفرس واستنجد بكسرى إذ أعترضه يوماً وهو راكب فقال لـه: ان لـي عندك ميراثاً فدعا الملك كسرى به فقال له: من أنت وما ميراثـك عنـدي؟ قـال

سيف: أنا ابن الشيخ العربي اليماني الذي وعدته النصرة فمات ببابك فتلك العـده حق لي وميراث.فأعجب به ورق له كسرى وقال له: بعدت بلادك عنا وقل خيرها والمسلك اليها وعر ولست أغرر بجيشي، وأمر له بمال. فخرج سيف وجعل ينثر الدراهم في الأسواق فأنتهبها الناس فسمع كسرى فسأله ما حمله على ذلـك فقـال سيف: لم آتك لمال وإنما جئتك للرجال لتمنعني من الذل والهوان وأرضنا وجبالنا ذهب وفضة، فأعجب الملك كسرى بقوله وقال: يظن المسكين انه أعرف بـبلاده مني، واستشار وزراءه في توجيه الجند معه لنجدته فقال له أحدهم: أيها الملك ان لهذا الغلام حقاً ينزعه اليك وموت أبيه ببابك وما نقدم من وعدك بالنـصرة وفـي سجنوك رجال ذو نجدة وباس فلو آن الملك وجههم معه فإن أصابوا ظفـراً كـان للملك وان هلكوا فقد استراح واراح مملكته منهم. فقال كسرى: هذا الرأي: فـأمر بمن في السجون فأحضروا فكانوا ثمانمائة فوضع عليهم قائداً من اساورته يقال له (وهرز) وكان مسجونا سخط عليه كسرى فسجنه وأمر كسرى بحملهم في ثمـاني سفن فركبوا البحر فغرقت سفينتان وخرجوا بساحل حضرموت ولحـق بـابن ذي يزن بشر كثير وسار اليهم مسروق في مائة الف مـن الحبـشة وقبائـل حميـر والاعراب وجعل وهرز البحر وراء ظهره وأحرق السفن لئلا يطمع أصحابه فـي النجاة وأحرق كل ما معهم من زاد وكسوة إلا ما أكلوا وما لبسوا علـى ابـدانهم وقال لأصحابه: إنما أحرقت ذلك لئلا يأخذه الاحباش ان ظفروا بكـم. وان نحـن ظفرنا بهم فسنأخذ اضعافه فإن كنتم تقاتلون معي وتصبرون اعلمتموني ذلـك وان كنتم لا تفعلون اعتمدت على سيفي حتى يخرج من ظهري فأنظروا ما حـالكم إذا فعل رئيسكم هذا بنفسه . قالوا: بل نقاتل معك حتى نموت أو نظفر. وقال وهـرز لسيف بن ذي يزن ما عندك؟ قال: ماشئت من رجل عربي وسـيف عربـي، ثـم أجعل رجلي مع رجلك حتى نموت جميعاً أو نظفر جميعاً قال: أنصفت. فجمع اليه سيف من استطاع من قومه فكان اول من لحقه السكاسك من كنـده وسـمع بهـم مسروق بن ابرهه فجمع اليه جنده فعبأ وهرز اصحابه وأمرهم ان يوتروا أقواسهم وقال: إذا أمرتكم بالرمي فارموا رشقاً واقبل مسروق في جمع لا يرى طرفاه وهو

على فيل وعلى رأسه تاج وبين عينيه ياقوتة حمراء مثل البيضة لا يرى دون الظفر شيئاً وكان وهرز قد كلّ بصره فقال: أروني عظيمهم فقالوا: هذا صاحب الفيل ثم ركب فرساً ثم انتقل إلى بغله فقال وهرز: ذل وذل ملكه. ثم حمل نشابه في كبد قوسه وقال: اشيروا إلى مسروق فاشاروا اليه فقال لهم: سارميه فأن رايتم اصحابه وقوفا لم يتحركوا فأثبتوا حتى أؤذنكم فأني قد أخطأت الرجل وان رايتموهم وقد استداروا أو لاذوا فقد اصبته فأحملوا عليهم ثم رماه فأصاب السهم بين عينيه ورمى اصحابه فقتل مسروق وجماعة من أصحابه فاستدارت الحبشة بمسروق وقد سقط عن دابته وحملت الفرس عليهم فلم يكن دون الهزيمة شيء وغنم الفرس من عسكرهم ما لا يحد ولا يحصى وقال وهرز: كفوا عن العرب واقتلوا السودان ولا تبقوا منهم أحداً ثم سار وهرز حتى دخل صنعاء وغلب على أهل بلاد اليمن وارسل عماله في المخاليف وكان مدة حكم الحبشة لليمن (٧٢) سنة توارث ذلك منهم أربعة ملوك هم ارياط ثم ابرهة ثم ابنه يسكوم ثم مسروق بن ابرهه فلما ملك وهرز اليمن أرسل إلى كسرى يعلمه بذلك وبعث اليه بأموال وكتب إلى كسرى يامره ان يملك سيف بن ذي يزن وبعظهم يقول معدي كرب بن سيف بن ذي يزن على اليمن وأرضها وفرض عليه كسرى جزية وخراجاً معلوماً في كل عام فملكه وهرز وانصرف إلى كسرى واقام سيف على اليمن ملكاً يقتل أهل الحبشة الذين فيها ويبقر بطونهم الحبالى ولم يترك منهم إلا القليل جعلهم خولاً. واتخذ منهم جمازين يسعون بين يديه بالحراب . وترك وهرز جنداً من الفرس كانوا يسمون فيما بعد بالابناء . وقد وفدت الوفود على ابن ذي يزن يهنئونه بعودة الملك وممن وفد عليه عبد المطلب بن هاشم شيخ مكة وكبيرها وجد النبي محمد (ﷺ) ولكن هؤلاء الجمازين من الحبشة استطاعوا ان يغتالوا سيف بن ذي يزن وهم يسعون بين يديه فكان ملكه خمس عشرة سنة فلما بلغ ذلك كسرى بعث اليهم وهرز في أربعة الاف فارس وأمره ان لا يترك باليمن اسود ولا من ولد اسود إلا قتله صغيراً أو كبيراً ففعل بما أمره كسرى وكتب اليه يخبره بما فعل فأقره على ملك اليمن فكانت يجبيها كسرى حتى هلك وما زالت الولاة من الفرس

تتعاقب على اليمن حتى كان آخرهم باذان وممن اشتهر من ملوك اليمن قديماً ذو نواس يوسف بن شرحبيل وكان يدين باليهودية فرأى ان بعض رعيته بنجران يدينون بالدين المسيحي اتباعاً لدعاة ارسلهم الامبراطور الروماني. فلم يكن من ذي نواس إلا ان سار اليهم بجنوده فجمعهم ثم دعاهم إلى اليهودية وخيرهم بينها وبين القتل فأختاروا القتل فعمل لهم الاخدود ومثل بهم حرقاً بالنار وقتلاً بالسيف حتى قتل تقريباً عشرين الفاً وقد ورد ذلك في القرآن الكريم { قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ } فقتل ذي نواس وأصبح ارياط ملكاً على اليمن ثم نازعه ابرهة وقتله واستولى ابرهه على الجند والبلاد ولما استقر حكمه أراد ابرهه صرف الحجاج العرب عن الكعبة وتهديم البيت الحرام فأرسل الله عليهم طيراً ابابيل لا تصيب أحداً من جيشه إلا هلك وخرج من سلم مع ابرهه هارباً وأصيب ابرهه في جسده فسقطت اعضائه حتى مات ابرهه وملك بعده ابنه يكسوم ولما مات يكسوم ملك بعده اخوه مسروق.

فجاء الإسلام وصنعاء اقليماً فارسياً يحكمها كسرى بواسطة أحد عماله الذين يؤدي له الخراج وكانت هناك قبائل عربية يحكمون في مناطقهم القبلية وكتب اليهم النبي (ﷺ) كتباً مستقلة بصفتهم أقيالاً كما كتب إلى النعمان وهمدان والى الحارث بن عبد كلال وأخيه وكان لكنده بحضر موت رؤوساء مستقلون يشبهون الامراء والملوك . ولما استقر المسلمون في المدينة المنورة وتمت المؤاخاة بين المهاجرين والانصار وفرضت الفرائض وأقيمت الحدود وتركزت دعائم الإسلام بدأت حروب التوعية والدفاع وغزوات الرسول كانت لتوعية العرب بدينهم وبدأت بغزوة بدر الكبرى وغزوة أحد وغزوة بني النضير والخندق وغزوة بني قريضة وغزوة خيبر وغزوة مؤتة وفتح مكة وغزوة حنين وحصار الطائف وغزوة تبوك ثم بدأت حروب التحرير في زمن الخلفاء الراشدين وفي عهد الدولة الاموية وفي عهد الدولة العباسية وامتدت وأتسعت حدود الدولة الإسلامية. من السند والصفد وبلاد الترك والعجم وأذربيجان وارمينية وبلاد الروم وافريقيا واسبانيا وقبرص.

الحروب المغولية وسقوط بغداد

ذكرنا في الجدول المرفق في هذا الكتاب في الصفحة الثالثة والأربعين عن مدة حكم غير الفرس في العراق (المغول) وهم قبائل كبيرة رُحل تقطن البلاد المسماة (منغوليا) وهي الجزء الشرقي من أواسط آسيا . كانت لهم صلة وثيقة بأقوام أخرى مترحلة تقطن إلى الغرب منهم تدعى (التتر) حتى أصبح من المتعذر الفرق بين هذين الأسمين (التتر والمغول) وكانت هذه القبائل تتقاتل فيما بينها كما كانت تتقاتل مع جوارها وكانت بلاد أواسط آسيا وشرقها وهي موطن هذه الأقوام بهضابها المترامية وصحاريها الشاسعة وسكانها الأشداء مصدراً لموجات بشرية كثيرة منذ أزمان قديمة تندفع بين حين وأخر إلى الشرق والجنوب والغرب فتغمر المناطق المحيطة بها وتشيع فيها الخراب والدمار حتى لاقت منهم شعوب بلاد الصين في الشرق وأوربا في الغرب الأمرين من القتل الذريع وتخريب المدن.

ومن بين قبائل المغول كانت هناك طائفة صغيرة أسمها (قيات) وتعرف بأسم (بورجقين) وهذه الطائفة هي التي نشأ فيها تيموجين الملقب (جنكيز خان) (أي امبراطور العالم)[1]. يعتبر جنكيزخان مؤسس امبراطورية المغول العظمى التي ضمت اليها أهم أجزاء العالم ومنها الأرض العربية . ولقد كانت القبائل المغولية في القرن الثاني عشر الميلادي خاضعة بالاسم لأمبراطورية الصين إلا أنها خلال النصف الثاني من ذلك القرن خرجت على تلك الأمبراطورية وأندفعت بالتوسع إلى مختلف الجهات وكان سبب ذلك ظهور زعيم كبير من بينهم هو جنكيزخان الذي أستطاع أن يوحدهم ويثير مطامعهم للاستيلاء على الأمم الضعيفة المفككة ويستغل نشاطهم العسكري وحثهم للحرب والتوسع والسيطرة، فقد قادهم في بادىء الأمر للاستيلاء على شمال الصين والجزء الشرقي من بلاد أواسط آسيا ثم بدأ تقدمه نحو العالم الإسلامي إذ اجتاح الدولة الخوارزمية الإسلامية التي كانت تحكم

[1] تيموجين: اتخذ هذا اللقب سنة ١٢٠٣م بعد الانتصار على (الكرايت) وجنكيزخان معناه في الصينية ابن السماء ومعناه أيضاً المحارب الكامل وقيل مستمدة من العقائد الدينية عند المغول.

بلاد ماوراء النهر وأكثرية بلاد ايران علاوة على بلاد الجزيرة قرب مناطق الموصل وبلاد القفقاس وروسيا ثم عاد إلى بلاده ليموت فيها بعد بضعة أعوام.

كان النجاح الذي أحرزه المغول في عهد جنكيزخان شجعهم على الاستمرار في الفتح وبعد وفاته قام أولاده وأحفاده بالفتوحات حتى اتسعت امبراطوريتهم وأصبحت تضم معظم آسيا وأوربا الشرقية وقد قتلوا الملايين من الناس وخربوا مئات المدن وغنموا أموالاً طائلة وأصبح حبهم للفتح والسيطرة والمال لا حد له. وكانت ثقتهم بالنصر راسخة لا تتزعزع وسقطت ايران برمتها ثم تلتها بلاد الاسماعيلية الواقعة شمال ايران على يد هولاكو حفيد جنكيزخان إذ خرج على رأس جيش جرار بناء على الأوامر التي تلقاها من أخيه الامبراطور (مانقوخان) لاخضاع ما بقي من آسيا الغربية خارج الامبراطورية المغولية وهي بلاد الاسماعيلية وبلاد العراق وسوريا .

هولاكو وسقوط الخلافة العباسية

بعد أن حقق هولاكو هدفه الأول وهو القضاء على الاسماعيلية سار لتحقيق هدفه الثاني وهو القضاء على الخلافة العباسية ببغداد وقبل الخوض في تفاصيل حملة هولاكو هذه يجدر بنا أن نبين الحالة التي كانت سائدة في دولة الخلافة وحالة الخليفة نفسه:

١- كانت الخلافة العباسية قبيل حملة هولاكو قد تطاول عليها الزمن وأدركتها الشيخوخة. وفي الحقيقة كانت جذور الضعف قد امتدت في جسم هذه الدولة قبل ذلك بمدة طويلة بسبب سيطرة الفرس أولاً ثم غلبة الترك ثانياً منذ أن فتح لهم الخليفة المعتصم الباب على مصراعيه فأستأثروا بالنفوذ ولاشك أن تهاون العباسيين وانصرافهم عن العرب لمن أهم العوامل التي أدت إلى سقوط هيبة الخلافة . ثم أن تفكك الإدارة وشغب الموالي وتطاولهم على الخلافة واستأثارهم بالنفوذ والسلطة كان له أعظم الأثر في

وهن السلطة المركزية. وهكذا عاشت الدولة العباسية لتشهد انسلاخ الاطراف عنها واحداً بعد الآخر حتى إذا أقتربت نهايتها لم يبق لها غير القلب الذي صار ينبض في جسد عليل لا يكاد يتجاوز إقليم العراق. وخوزستان (الأحواز).

٢- كان الخليفة المستعصم بالله أخر الخلفاء العباسيين (٦٤٠-٦٥٦هـ) كما يصفه ابن طباطبا: رجلاً متديناً لين الجانب سهل العريكة سهل الاخلاق ضعيف الوطأه، إلا أنه كان مستضعف الرأي ضعيف البطش، قليل الخبرة بأمور المملكة، مطموعاً فيه، غير مهيب في النفوس ولا مطلع على حقائق الأمرو، ورغم ذلك فإن المستعصم كان يظن في نفسه القدرة على الصمود أمام الخطر المغولي المحدق به.

٣- كانت الأخبار تصل إلى الخليفة تباعاً باقتراب جيوش المغول ومع ذلك لم يتخذ الأهبه لمواجهتهم قبل أن يستفحل أمرهم وخطرهم .

٤- لم يكن زمام الأمور في بغداد مركزياً في يد واحدة بل كانت هناك سلطات مختلفة متعارضة كل منها يجور على السلطة الأخرى ويتدخل في عملها فترتب على ذلك أن أتسعت شقة الخلاف بين هؤلاء الساسة واستحكم العداء بينهم خصوصاً بين مؤيد الدين ابن العلقمي وزير المستعصم وبين مجاهد الدين آيبك (الدولة دار الصغير) فكان كل منهما يكيد للآخر عند الخليفة فكان له أثره السيء في ضطراب الأمور وتقويض سلطة الخلافة لأن مثل هذه التصرفات كانت تصدر عن غاية وهوى لا عن خدمة حقيقية للدولة الإسلامية العربية.

٥- كان سكان بغداد من أهل السنة والشيعة والمسيحيين واليهود وكان هؤلاء جميعاً في خلاف دائم حول المسائل الدينية والمذهبية كما كانوا يختلفون في الميول السياسية ولا شك ان مثل هذه الحالة كثيراً ما كانت تثير الفتن والمنازعات بين السكان . ويذكر المؤرخون أنه في أواخر عهد المستعصم

نشب قتال بين الشيعة وأهل السنة فعهد الخليفة إلى أبنه ابي بكر لفض هذا النزاع . فأغار أبو بكر على مقرات الشيعة في الكرخ وأرتكب كثيراً من الفضائع من قتل وسبي وسفك للدماء فكان لهذا التصرف أسوأ الأثر في نفوس أبناء الشيعة فنقموا على المستعصم وعلى أبنه وقد أثار هذا الحادث كوامن الأحقاد على الدولة العباسية وتمنوا زوالها كما أن مؤيد الدين ابن العلقمي الذي كان محسوباً على الشيعة قد تألم جداً لوقوع هذا الحادث فيقال أنه كاتب المغول في ملك بغداد.

وجاء المغول عدة مرات في عهد المستعصم وحدثت مناوشات بينهم وبين جيوش الخليفة ولكنهم لم يوفقوا في الاستيلاء على بغداد حتى أوائل سنة ٦٥٦هـ، وعندما صمم هولاكو على مهاجمة الاسماعيلية أرسل إلى الخليفة يطلب اليه أن يمده بجيش ليعاونه في القضاء على تلك الطائفة . فلما شاور الخليفة أتباعه حذروه أن يقدم على هذا العمل وأدخلوا في روعه إن هولاكو يريد بهذه الوسيلة أن تخلوا بغداد من الجيش حتى يسهل عليه أن يستولي عليها في أي وقت يشاء دون أن يجد صعوبة أو مشقة . فوافقهم الخليفة وأمتنع عن إرسال المدد إلى هولاكو. وعندما فرغ هولاكو من الاسماعيلية قصد همدان وأرسل إلى الخليفة رسولاً يحمل رسالة منه اليه مصاغه في قالب التهديد والوعيد لامتناعه عن إرسال المدد ولم يكن هذا الاحتجاج في الواقع إلا ذريعة للمطالبة بالسلطة الزمنية التي سبق أن فتحت في بغداد لأمراء البويهيين. ثم لسلاطين السلاجقة . يقول هولاكو في هذه الرسالة (لابد أنه قد وصل إلى سمعك على لسان الخاص والعام ما حدث للعالم على أيدي الجيوش المغولية منذ جنكيزخان وعلمت أية مذلة لحقت بأسر الخوارزميين والسلاجقة وملوك الديلم والاتابكة وغيرهم ممن كانوا أرباب العظمة وأصحاب الشوكة، ومع ذلك لم يغلق باب بغداد قط في وجه أي طائفة من تلك الطوائف التي تولت هنا السيادة . فكيف يغلق هذا الباب في وجوهنا رغم ما لنا من قدرة وسلطان ؟ . وقد نصحناك قبل هذا والأن نقول لك تجنب الحقد والخصام والضغينة ولا تحاول أن تقف في سبيلنا لأنك ستتعب نفسك عبثاً. ومع هذا فقد

مضى ما مضى فعليك أن تهدم الحصون وتطم الخنادق وتسلم ابنك المملكة ثم تتوجه لمقابلتنا، وإذا كنت لا تريد ذلك فأرسل الينا الوزير وسليمان شاه والدواة دار ليوصلوا رسالتنا اليك بغير زيادة ولا نقصان ، فإذا أطعت أمرنا فلا حقد ولا ضغينة ونبقي لك ولايتك وجيشك ورعيتك وإما إذا لم تنتصح وسلكت طريق الخلاف والجدال، فأعد جيشك وعين جبهة القتال فإننا مستعدون لمحاربتك وأعلم إنني إذا غضبت عليك وقدت الجيش إلى بغداد فسوف لا تنجو مني ولو صعدت إلى السماء أو اختفيت في باطن الأرض. فإذا اردت أن تحفظ رأسك واسرتك فاستمع لنصحي بمسمع العقل والذكاء وإلا فسأرى كيف تكون إرادة الله.

فرد الخليفة بالرفض على التحذير الرسمي من المغول وعارض امبراطوريتهم بالسيادة الروحية للخلافة الإسلامية فقال: (يا أيها الشاب الغر الذي لم يخبر الأيام بعد والذي يتمنى قصر العمر والذي أغرته إقبال الأيام ومساعدة الظروف فتخيل نفسه مسيطراً على العالم وحسب من أمره قضاء مبرم وأمرٌ محكم . لماذ تطلب مني شيئاً لن تجده عندي؟ . ألا يعلم الأمير أنه من الشرق إلى الغرب ومن الملوك إلى الشحاذين ومن الشيوخ إلى الشباب ممن يؤمنون بالله ويعتنقون الأديان كلهم عبيد وهذا البلاط وجنود لي؟. إنني حينما اشير بجمع الشتات سابدأ بحسم ايران ثم أتوجه منها إلى توران وأضع كل شخص في موضعه وعندئذ سيصير وجه الأرض مملوءاً بالقلق والاضطراب غير إني لا أود الحقد والخصام ولا أن أشتري ضرر الناس وإيذائهم كما إنني لا ابغي من وراء تردد الجيوش أن تلهج ألسنة الرعية بالمدح والقدح خصوصاً وإنني مع الخاقان وهولاكو قلب واحد ولسان واحد . فإذا كنت مثلي تزرع بذور المحبة فما شأنك بخنادق رعيتي وحصونهم؟.

أسلك طريق الود وعد إلى خراسان وأن كنت تريد الحرب والقتال فلا تتوان لحظة ولا تعتذر فأن لي ألوفاً مالفة من الفرسان والرجالة هم على أهبة الاستعداد للقتال).

وإذا أمعنا النظر في رسالة الخليفة نجد إنه كان حريصاً على التهديد والوعيد أكثر من حرصه على المسالمة والمهادنة وربما كان يظن أن ذلك قد يرعب هولاكو ويجعله يفكر ملياً قبل أن يقدم على خطوته. ولكنه كان واهماً لم يكن له سند حقيقي من قوة حتى يمكنه أن يقف هذا الموقف المتشدد من قوم محاربين جبابرة دوخوا الممالك وقوضوا العروش في مدة قصيرة من الزمن ثم أنه إذا كان يعتمد على العالم الإسلامي الذي يدعي أنه رهن إشارته فقد أخطأه التوفيق وكذلك لأن المستعصم كان أول من يعلم حقيقة العالم الإسلامي في ذلك الوقت . كان يعلم أنه فقد أهم أجزاءه وأنه لا يزال يعاني الأثره والأنانية والتفكك والانحلال فلا يعقل أن يهب لنجدته مهما كانت الأسباب وكان من الطبيعي اذن إلا تجدي تلك التهديدات بل يكون لها على العكس أسوأ الأثر في نفس هولاكو فيصمم قبل كل شيء على فتح بغداد وهذا ما حدث بالفعل. وعندما وصلت رسالة الخليفة إلى هولاكو غضب غضباً شديداً وأعاد رسل الخليفة قائلاً لهم (إنني متوجه إلى بغداد بجيوش كالنمل والجراد فإذا تغيرت الأحوال فذلك تقدير الله العظيم) وعلى أثر ذلك أصدر هولاكو أمره بتحرك جيوش المغول من اطراف بلاد الروم عن طريق اربيل والموصل متجهه نحو بغداد لتحاصرها من الجهة الغربية وتنتظر حتى تصل اليهم جيوش هولاكو من الناحية الشرقية أما (كيتوبوقا) أحسن قواد هولاكو فقد أتجه بالجناح إلى العاصمة العباسية عن طريق لرستان وخوزستان كما أنفذ اليها بعض أمراء المغول عن طريق كردستان واستطاع هولاكو أن يستميل إلى جانبه الاكراد سكان الأماكن الجبلية المتآخمة للعراق بواسطة الأموال التي كان يبذلها بينهم كما استطاع أن يضم اليه كثيراً من جنود سليمان شاه وكان بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل والأتابك أبو بكر في إقليم فارس ممن أمدوا هولاكو بالمال والرجال .

أقام هولاكو معسكره في ظاهر بغداد من الشرق وقد حاول الجيش الصغير الذي أعده الخليفة بقياد مجاهد الدين آيبك الدواة دار الصغير أن يحول دون استقرار المغول في أماكنهم فكان نصيبه الهزيمة المنكرة وقتل عدد كير من الجنود لاقوا حتفهم على يد المغول فلم يسع مجاهد الدين إلا الهرب مع قليل من أتباعه . وفي

يوم الثلاثاء ٢٢ محرم أحكم الحصار حول مدينة بغداد واستمر حتى نهاية هذا الشهر وفي خلال تلك الفترة كان المغول يطلقون يد التخريب في المدينة ويفتحون الابراج حتى استولوا بهجماتهم على القسم الشرقي من التحصينات ولما رأى الخليفة حرج موقفه أراد أن يهدئ المغول ويثنيهم عن عزمهم عن اتمام الفتح وذلك بارسال الرسل والهدايا ولكن هولاكو لم يستجب لهذا النداء وأرسل نصير الدين الطوسي إلى الخليفة يأمره باحضار سليمان شاه والدواة دار فوجد نفسه مضطراً إلى اطاعة هذا الأمر وطلب إلى الشخصين المذكورين ان يذهبا لمقابلة هولاكو. فلا وصلا اليه أعادهما إلى بغداد لاصطحاب اتباعهما وكل مل يخصهما بحجة إنهم سينفون جميعاً إلى مصر والشام فخرج معهما جند بغداد وكثير من السكان ضانين أن ساعة الخلاص قد حانت فلما خرج هذا الجمع أمر هولاكو بقتلهم عن أخرهم . وفي يوم(٢ صفر) قتل الدواة دار الصغير وسليمان شاه مع سبعمائة شخص من اقاربه واتباعه وكذلك قتل تاج الدين ابن الدواة دار الكبير وارسلت رؤوس هؤلاء الثلاثة إلى بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ليعلقها على أسوار مدينته ورغم أن بدر الدين كان صديقاً لسليمان شاه فإنه لم يكن في وسعه إلا أن يذرف الدمع وإلا أن يذعن للأمر فيعلق الرؤوس خوفاً من بطش هولاكو وتجنباً لنقمته واستمر المغول يشنون على بغداد حرباً لا هوادة فيها فلم يبق أمام الحاضرين إلا أن يستسلموا وحاول جند الحامية الهرب فأدركهم المغول وقتلوهم عن أخرهم. وفي يم الاحد (٤ صفر سنة ٦٥٦هـ - ١٢٥٨م)، خرج الخليفة من بغداد وسلم نفسه وعاصمته للمغول بلا قيد ولا شرط بعد أن وعده هولاكو بالآمان . وتذكر الرواية الشائعة أنه على اثر الهزيمة التي منى بها جيش الخليفة خرج الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي إلى هولاكو فتوثق نفسه وعاد إلى المعتصم وأخبره أن هولاكو يبقيه بالخلافة كما فعل سلطان الروم ويريد أن يزوج أبنته من ابنه أبي بكر وحسن له الخروج إلى هولاكو وخرج من بغداد ومعه أبناؤه الثلاثة فلما وصلوا إلى هولاكو لم يبدأ اثراً للغضب بل أخذ يلاطفهم ويطيب خاطرهم ثم طلب إلى الخليفة أن ينادي في الناس بالقاء أسلحتهم والخروج من المدينة لاحصائهم فلما

القى الناس أسلحتهم وخرجوا قتلوا جميعهم بعد ذلك أمر هولاكو بردم الخنادق وهدم أسوار المدينة كما أمر بإقامة جسر على نهر دجلة . وفي يوم (٧ صفر) أعلن الهجوم العام على المدينة وذلك بأن كلف القوات المغولية الموجودة في شرق بغداد بدخول المدينة من الشرق كما كلف القوات المغولية المرابطة على الشاطئ الغربي بعبور الجسر واقتحام المدينة من الغرب فدخلها هؤلاء وهؤلاء الأخرين وأتوا على كل ما فيها فخربوا المساجد بقصد الحصول على قبابها الذهبية وهدموا القبور بعد أن سلبوا ما فيها من تحف نادرة واباحوا القتل والنهب وسفك الدماء . يقدر المعتدلون من المؤرخين عدد القتلى (٨٠٠ ألف) واستمرت هذه الغارات على بغداد مدة أربعين يوماً وخربت أكثر الأبنية وجامع الخليفة ومشهد الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) وقبور الخلفاء ثم اصدر هولاكو أمره بالكف عن القتل وينصرف كل شخص إلى عمله.

يقول ابن كثير: (ولما نودي ببغداد بالأمان خرج من تحت الأرض من كان بالمطامر والمقابر والقنى كأنهم الموتى وأنكر بعضهم بعضاً فلا يعرف الوالد ولده ولا الأخ أخاه وأخذهم الوباء الشديد فتفانوا وتلاحقوا بمن سبقهم من القتلى). أما عن الكيفية التي قتل بها الخليفة المستعصم. أختلفت المصادر فيها واكتنفها نوع من الغموض فنصير الدين الطوسي ورشيد الدين فضل الله لا يعطيان تفاصيل وافية عن تلك الحادثة وإنما يكتفيان بالقول: (إن هولاكو رحل من بغداد في يوم الابعاء (١٤ صفر) سنة ٦٥٦هـ وذلك نظراً لعفونة الهواء ونزل بقرية بالقرب من بغداد تدعى (وقف) حيث استدعى الخليفة وقضى عليه في ذلك اليوم).

ويذكر أبو الفداء اختلاف الروايات حول كيفية قتل الخليفة المستعصم إظهاراً واضحاً حيث قال: (ولم يقع الاطلاع على كيفية قتله فقيل خنق وقيل وضع في عدل ورفسوه حتى مات وقيل غرق في دجلة والظاهر ان رواية قتل المستعصم بوضعه في غرارة ثم رفسه إلى أن مات أشهر من غيرها من الروايات لورودها عند مؤرخين قريبي عهد لواقعة بغداد). ولكن بنا أن نتسائل لما أختار هولاكو هذه

الطريقة في قتل المستعصم وأمتنع عن إراقة دمه على الأرض؟ فقد قيل في تبرير ذلك مايأتي:

١- صعب جداً على مستشاري هولاكو من المسلمين أن يراق دم الخليفة وهو أمير المؤمنين وزعيمهم الديني فحذروا هولاكو أن يقدم على تلك الفعلة حتى أنهم ليروون أن أحد المنجمين قال لهولاكو: (إذا قتل الخليفة يصير العالم اسود مظلماً وتظهر علامات القيامة. ولكن نصير الدين الطوسي نفى هذا الادعاء وايد رأيه ببراهين عملية تثبت أن عدة خلفاء من بني العباس قتلوا ولم يحدث خلل يذكر. وقيل كذلك أن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل كان من المحرضين على قتل الخليفة فلما صمم هولاكو على قتله أحترز من أن يريق دمه فقتله بالطريقة سالفة الذكر.

٢- قتل المستعصم دون أن يراق دمه لا خوفاً من تحذير العلماء المسلمين وإنما جرياً على عادة المغول . وقد اشار إلى ذلك ابن خلدون إذ يقول: (وقد قبض على المعتصم فشذخ بالمعاول في عدل تجافياً عن سفك دمه بزعمهم ويذكر النويري في كتابه نهاية الارب. أن المغول لا يرغبون دم السلاطين والأمراء على الأرض الذين يحكم بقتلهم. ويظهر أن السبب الثاني هو الأرجح لأن المغول حتى في دفنهم للمستعصم جروا على سننهم وتقاليدهم إذ دفنوه في مكان مجهول وعفوا على أثر قبره، كما يقول أبن القوطي.

أبن العلقمي وسقوط بغداد

لابد لنا ونحن في صدد الاحتلال المغولي للعراق وسقوط بغداد بيدهم من ذكر الاشخاص الذين لعبوا دوراً هاماً في فتح بغداد وكان موقفهم محاطاً بالشكوك والشبهات ومثاراً للقيل والقال، ويأتي في مقدمة هؤلاء مؤيد الدين بن العلقمي الذي كان وزيراً للمستعصم أبان فتح بغداد.

كان ابن العلقمي يتولى الوزارة للخليفة المستعصم مدة أربع عشرة سنة فلما فتحت بغداد نصب وزيراً في دولة المغول. وقد عرف عنه إنه كان من مثقفي عصره، كما أشتهر بجودة الخط وبلاغة الانشاء وكان ينظم الشعر ويحب الادباء ويقرب العلماء ويجزل لهم العطاء فمدحوه بقصائدهم وصنفوا له الكتب كما كان وزيراً كفؤاً خبيراً بتدبير شؤون الملك. وكان المستعصم أول الامر يثق ويطمئن اليه، غير أن بعض حاشية الخليفة كانوا يكرهونه ويحسدونه ويوشون به، فلما رأى من نفسه العجز عن مقاومة هذا التيار تخاذل وكف يده عن أكثر الأمور لدرجة إنه نسب اليه إنه خان المستعصم وتواطأ مع هولاكو وشجعه على احتلال بغداد بل وحرضه على قتل الخليفة.

تميل مصادر كثيرة إلى اتهام ابن العلقمي بالخيانة صراحة وبتدخله في أمر محاصرة بغداد لصالح المغول وتحريضهم على قتل الخليفة ويرجع السبب في ذلك إلى حادث نهب الكرخ وتخريب مشهد الامام موسى الكاظم (ع) على يد أبي بكر بن المستعصم وما تبع ذلك من قسوة وإهانة لحقت الشيعة. فتأثر الوزير الشيعي أشد التأثر وصمم على أن يساعد هولاكو في الاستيلاء على بغداد والقضاء على الخلافة العباسية ولهذا قيل كان يرسل الرسل سراً إلى هولاكو ليطلع المغول على ضعف الخليفة وليهون له من شأنه وليسهل لهم مهمة فتح بغداد. كما تذكر هذه المصادر المنقولة إنه لما حاول الخليفة أن يستعد لملاقاة جيش العدو قطع ابن العلقمي أرزاق الاجناد وثبط همة الخليفة وصرفه عن الاستعداد بحجة إنه رتب شؤون الصلح، إلى آخر هذه الوسائل التي أنخدع بها الخليفة حتى سقطت بغداد لقمة سائغة في أيدي المغول.

ويذهب بعض المؤرخين إلى أكثر من هذا ويتهمون ابن العلقمي بأنه اثناء جهاد المسلمين في بغداد ضد المغول لم يتورع أن يصدر أمره في وقت المحنة بفتح سد كان مقاماً على نهر يقع خارج بغداد، فغرق بسبب ذلك الكثيرون من جيش الخليفة.

وهناك قلة من المؤرخين دافعوا عن ابن العلقمي وبرؤه من تهمة الخيانة وألقوا التبعة كلها على ضعف الخليفة وظلم أبنه ابي بكر ونفاق الأمراء وقواد الجيش وتنازعهم الواحد مع الآخر. علاوة على قولهم ان سقوط بغداد كان أمراً متوقعاً جداً بعد سقوط الدولة الخوارزمية المسلمة التي كانت تحكم أغلب أجزاء ايران بيد المغول وسقوط بلاد الاسماعيلية وقلاعهم المنيعة بيدهم أيضاً. وعلى أي حال فإن أغلب المصادر الإسلامية قد أدانت هذا الوزير ونعته بتهمة الخيانة وهي مصادر معتبرة وموثوق بها.

وأخيراً على ضوء المصادر والقرائن السابقة نستطيع أن نقول: إن موقف أبن العلقمي لم يكن سليماً على الأطلاق ولكننا لا نستطيع أن نحمله التبعة كلها. بل نشرك معه الخليفة ورجال حاشيته الأخرين كما سبق أن بينا في شرح الاوضاع التي كانت قائمة في بغداد أبان الغزو المغولي. وبعد أن فرغ هولاكو من فتح بغداد وأسقط الخلافة العباسية فيها نظم شؤونها وتوجه إلى أذريجان حيث أختار مدينة مراغة في شمال هذا الإقليم عاصمة لملكه. كما أن الخزانة التي كانت تحوي الغنائم والأموال والنفائس التي أخذت من بغداد وقلاع الاسماعيلية والروم والكرج والأرمن وغيرها من البلاد فقد أرسلت إلى أذربيجان ووضعت في قصر حصين أمر هولاكو بتشيده في إحدى جزائر بحيرة اورمية. وقد أرسل هولاكو إلى أخيه (منكو) كثيراً من التحف والأموال التي غنمها وهي تحمل بشرى الفتح والظفر والتصميم على التوجه للاستيلاء على ديار مصر والشام.

لقد أوقع سقوط بغداد العالم الإسلامي في فزع وذهول وحيرة فسارع حكامه المستضعفون إلى الطاغية هولاكو يقدمون له فروض الطاعة والتهنئة ويتملقونه خوفاً من بطشه واتقاءاً لشره. فكان ممن حضر التهنئة في مراغة أتابك الموصل الهرم بدر الدين لؤلؤ وأرسل أبو بكر اتابك فارس أبنه للغرض نفسه. ووصل كذلك إلى معسكر هولاكو أثنان من سلاطين سلاجقة الروم هما الاخوان المتنافسان السلطان عز الدين كيكاوس الثاني والسلطان ركن الدين قلج ارسلان الرابع . أما

عز الدين فكان يرتجف رعباً لأن جنوده حاولوا أن يصمدوا أمام القائد المغــولي (بايجونويان) فدحرهم بايجو فلما سقطت بغداد أحس عز الـــدين بحـــرج موقفـــه وخشي بطش هولاكو فحاول أن يخلص نفسه بتملق وخضوع وذلة.

ولاشك أن هذا الموقف المخزي يصور لنا ما بلغه بعض حكام المسلمين من استذلال ومهانة.

نتائج سقوط بغداد:

لقد كان لحادثة سقوط بغداد وانتهاء الخلافة العباسية التي استمرت قائمة أكثر من خمسة قرون أسوأ الاثر في نفوس المسلمين جميعاً إذ يعد ســقوطها مــن أكبر الوقائع التي حدثت في التاريخ الإسلامي واعتبرت هذه المأساة لطمة قاســية وبلاء شديد سلط على رأس المسلمين نتائج خطيرة نوجزها بما يلي:

١- كان المسلمون يتطلعون إلى الخلافة على أنها رمز للممالــك الإســلامية جميعها يجب أن يظل قائماً وكانوا ينظرون إلى الخليفــة نظــرة اجــلال واحترام. وعلى هذا كان نفوذه الديني بعيد الأثر في نفوس المسلمين. فلما سقطت بغداد وقتل الخليفة قضى على هذا النفوذ وزال مــا كــان لتلــك الخلافة من مكانة دينية محترمة.

٢- كانت بغداد قبل حملة المغول مركزاً للنشاط السياسي في جميــع أنحــاء الشرق الإسلامي يؤمها وفود الحكام والامراء المسلمين وكانت الــروابط تربط بينها وبين مختلف العواصم. فلما سقطت في أيدي المغول صــارت مدينة ثانوية يعين عليها (والي) وانتقل النشاط إلــى مــدن الــشمال فــي اذربيجان ففقدت بذلك بغداد أهميتها السياسية. ودخل الــشرق الإســلامي عامة في عهد جديد آلت فيه السيطرة من بعد هولاكو إلى أبنائــه الــذين ساروا يستقلون تدريجياً عن المغول في قراقورم وأسسوا لأنفــسهم دولــة باسم (دولة الايلخانيين).

٣- كانت بغداد مركزاً هاماً للعلوم والاداب والفنون يهرع اليها العلماء وطلاب العلم للتزود بالثقافة الإسلامية التي كانت تتمثل هناك بأجلى معانيها. كانت بغداد غنية بعلمائها وأدبائها وفلاسفتها وشعرائها. وكان كل هؤلاء بمثابة أساتذة وقادة لرجال العلم والادب في مختلف أنحاء الشرق الإسلامي. فلما حلت النكبة ببغداد على ايدي المغول قتل ألاف من العلماء والشعراء وشرد من نجا فلجاؤا إلى مصر والشام وغيرهما من البلدان وأحرقت المكتبات وخربت المدارس والمعاهد وقضي على الاثار الإسلامية التي تعب الفنانون المسلمون في ابداعها. كل هذا التراث المجيد قد أصبح في التراب أثراً منسياً . وخلاصة القول ان بغداد بعد أن سقطت بخارى ونيسابور والري وغيرها من مدن العلم والادب كان حقاً جناية إنسانية كبيرة على الحضارة والثقافة.

٤- سقوط الخلافة. وخلوا الأرض من وجود خليفة يكون له المقام الروحي المرموق تاثر له المسلمون أشد التأثر فلما تولى السلطان المملوكي الظاهر بيبرس عرش مصر بحث عن أحد افراد الاسرة العباسية ونصبه خليفة في مصر سنة ٦٥٩هـ. وهكذا قامت الخلافة العباسية في مصر وكان لها شبه سلطة روحية في مدينة القاهرة. وكان الظاهر بيبرس يرمي من وراء احياء الخلافة العباسية في مصر إلى أن يكسب سلطته صفة شرعية بفضل التقليد الذي حصل عليه من الخليفة وأن يمد ملكه ويوسع سلطانه بمساعدته باعتباره حامي الدين. وقد استمر هذا الوضع قائماً في مصر إلى أن استولى عليها السلطان العثماني سليم الأول سنة ٩٢٣هـ. فألغى منها الخلافة العباسية.

٥- أدى سقوط بغداد إلى إثارة الحزن العميق والجزع الشديد في جميع أنحاء البلاد الإسلامية لأن معركة بغداد لم تكن في الحقيقة حدثاً عادياً يمكن أن يمر بسهولة بل كانت قضية الأمم الإسلامية والعربية جمعاء التي أحست

بالخطر الداهم خصوصاً بعد أن توقف قلبها وانتزعت منها عاصمة الخلافة العربية وأنفرط عقد الوحدة الإسلامية . وأقبل المسلمون بعضهم على بعض يتساءلون ماذا عسى أن يكون الوضع بعد بغداد؟ ان الاعداء لازالوا واقفين بالمرصاد يعتدون على الاوطان ويخربون الديار . وإذا كانوا بالأمس قد اسقطوا بغدا فإنهم اليوم يهددون دمشق والقاهرة. لقد جال هذا بخاطر كل مسلم، فانفعلت كل نفس، واهتز كل وجدان خاصة في نفوس الشعراء فإن هذا الحادث الجلل كان أشد وقعاً وأعظم تأثيراً فيهم فنظموا المراثي التي تشيع الأسى في النفس وتثير الشجون وكان من بين تلك المراثي مرثية وردت في تاريخ الإسلام للذهبي منها هذه الابيات:

لسائل الدمع عن بغداد اخبار   فما وقوفك والاحباب قد ساروا

يازائرين إلى الزوراء لا تفدوا   فما بذاك الحمى والدار ديار

تاج الخلافة والربع الذي شرفت   به المعالم قد عفاه اقفار

أضحى لعطف البلى في ربعه أثرٌ   وللدموع على الآثار آثارُ

حملة المغول على الشام:

لما فرغ هولاكو من فتح قلاع الاسماعيلية والاستيلاء على بغداد بقي عليه وفق المنهج الذي رسمه له أخوه (منكوقاآن) ان يخضع الشام ومصر لسيطرته فوجه همته لاخضاع هذيين البلدين. كانت الشام في ذلك الوقت تقاسمها سلطة الفرنج الصليبيين وسلطة الحكام المسلمين الذين كانوا يتمثلون في الأمراء الايوبيين وكانوا يحكمون في مدن ميافارقين وحصن كيفا والكرك وحلب ودمشق وحمص وحماه. ومن المؤسف حقاً ان كل واحد من هؤلاء الأمراء كان يعتبر نفسه مستقلاً عن الآخر لا يربط بينهم وفاق. كما لا سلطان لأمير منهم على أمير بل كانوا في نزاع دائم وخلاف مستمر حتى في الوقت الذي بدأ فيه شبح المغول يظهر مخيفاً مرعباً بل ان هذا الخطر أصبح مائلاً للعيان على أثر فتح بغداد. ولو

قدر لهؤلاؤ الامراء فاتحدوا في كتلة واحدة لتمكنوا أن يوجدوا سداً منيعاً يصدون به خطر المغول عن تلك البلاد . يقول ابن العبري أثناء تاريخه لحوادث سنة ٦٥٦هـ وفيها ((توجه الاشرف ابن الملك الغازي ابن الملك العادل صاحب ميافارقين الى الملك الناصر صاحب حلب يطلب منه نجدة ليمنع المغول من الدخول الى الشام . فأستخف برأيه ولم يسمع مشورته بل صرفه بكلام وسرحه من عنده بالأمان . ولم يقف الناصر عند هذا الحد من التخاذل بل أظهر الضعف والخنوع إذ نجده على اثر فتح بغداد يهادن المغول فيرسل ابنه العزيز الى هولاكو يحمل اليه الهدايا والتحف ويقدم صك العبودية عن طواعية واختيار بل ويطلب العزيز على لسان ابيه أن يمده بنجدة تساعده في الاستيلاء على مصر وانتزاعها من المماليك. فلم يرض الامراء الآخرون على هذا السلوك فاظهروا العداء للملك الناصر . الأمر الذي دفعه الى الاستنجاد بالمغول فكان هذا عاملاً مشجعاً لهولاكو على المسير الى تلك البلاد الى جانب عامل أخر شجع المغول على فتح الشام هو التحالف الذي تم بين الحكام النصارى في غرب اسيا من جهة وبي المغول من جهة أخرى وقد كان لزوجة هولاكو النصرانية والتي كان يؤثرها احترامه وحبه أكبر الأثر في توطيد أواصر الصداقة بين الزعماء الصليبيين وبين هولاكو. ويذكر أن خطة الحملة المغولية قد تقررت بعد لقاء تم بين هولاكو وهيتوم الاول ملك قيلقية وكان الخان قد طلب اليه أن يسير بجيشه الارمني الى (الرها) بحجة انه ذاهب لكي يخلص الارض المقدسة من يد المسلمين ويردها الى النصارى ففرح الملك هيتوم بهذا الخبر وجمع جيشاً كبيراً وانظم الى هولاكو. وهكذا أتخذت حملة حفيد جنكيزخان الارمنية المغولية سمات الحرب الصليبية.

وعندما صمم هولاكو على غزو الشام أوفد رسله الى بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل يأمره بأن يرسل أبنه الملك الصالح نيابو عنه نظراً لكبر سنه لكي يصحب جيوش المغول أثناء حملته على الشام ومصر.

تحرك الجيش المغولي الكبير من أذربيجان قاصداً سوريا في شهر رمضان سنة ٦٥٧هـ، وكان يقود الطلائع القائد المغولي (كيتو بوقا) وكان بايجو وسنقر يقودان الجناح الايمن. أما الجناح الايسر فكان يقوده (سونجاق) وأخيراً القلب وكان يقوده هولاكو نفسه. كما أرسل أبنه (يشموت) مع (سونتاي نويان) لمحاصرة ميافارقين وعهد الى الملك الصالح بن بدر الدين لؤلؤ بفتح (آمد).

ابتدأت الحملة على سوريا بغارة محلية ضد امارة ميافارقين بديار بكر، وكانت في ذلك الوقت تحت سيطرة أحد الامراء الايوبيين المسمى (الملك الكامل) محمد بن الملك المظفر بن العادل ابي بكر بن ايوب. وكان مما أخذه المغول على الملك الكامل انه بتعصبه صلب قسيساً يعقوبياً قدم بلاده وكان يحمل جواز مرور مغولي. فعهد هولاكو الى الامراء يشموت وايلكا نويان وسونتاي بالاستيلاء على نيافارقين فلما اقتربوا منها أرسلوا رسلهم الى الملك الكامل يدعونه الى الانقياد والطاعة. فأخبرهم بأنهم يحاولون عبثاً لأنه سوف لا ينخدع باقوالهم المعسولة ولن يعتمد على وعودهم بل سيمتشق الحسام ضدهم مادام على قيد الحياة وهكذا استقر الرأي على القتال. وتوجه الملك الكامل الى أفراد شعبه مقوياً من عزيمتهم فقال: ((انني لم اضع الفضة والذهب والغلات التي توجد في المخازن بل سأؤثر بها المحتاجين فلست بحمد الله مثل المستعصم عبداً للدينار والدرهم فإنه قد اسلم رأسه وملك بغداد الى الهلاك. بسبب بخله وشحه فأنضم اليه جميع السكان وصاروا رهن اشارته في الاشتراك في المعركة.

حاصر المغول ميافارقين واشتركت معهم فرقة ارمنية نصرانية وقد استمر الحصار مدة عامين أظهر خلالهما المدافعون عن المدينة ضروباً من الشجاعة المنقطعة النظير وكان هناك في جيش الملك الكامل فارسان بارعان دوخا المغول واوقعاهم في الدهشة والحيرة . إذ كانت بسالتهما واحكامهما الرماية سبباً في إنزال أفدح الخسائر في الجيش المغولي ولكن نظراً لطول الحصار نفذت عند المدافعين الأرزاق وعم القحط وانتشر الوباء واضطر الناس الى أن يأكل بعضهم

بعضاً.حتى هلك أكثر سكان المدينة ولما تأكد الملك الكامل أن المقاومة اصبحت عديمة الجدوى استسلم للمغول فقتلوه شر قتلة إذ كانوا يقطعون لحمه قطعاً ويدفعون هذه القطع الى فمه حتى مات ثم قطعوا رأسه وحملوه على رمح وطافوا به في البلاد السورية الكبيرة وكان يتقدم موكب الرأس مغنون وطبالون وأخيراً علق في شبكة بسور باب الفراديس بدمشق.

بعد فتح ميافارقين تقدموا الى ماردين وكانت في قبضة الملك السعيد الذي ابى الا ان يقاوم فاستمر المغول يحاصرونها مدة ثمانية أشهر دون أن ينجحوا في احتلالها وأخيراً حاول أحد ابناء الملك السعيد أن يثني اباه عن عزمه ويحمله على التسليم للمغول فلما لم يفلح قتل أبيه خنقاً لدماء المسلمين فتخلص منه وسلم القلعة للمغول فنصبوه والياً على ماردين بدلاً من أبيه.

وفي أثناء حصار ميافارقين كان هولاكو يغزو الامارات الاسلامية في سوريا إذ نزل من كردستان الى الجزيرة واستولى على نصيبين واستسلمت له حران والرها. وقتل أهالي سروج عن أخرهم لأنهم قاوموه ثم أحتل البيرة وعبر نهر الفرات وأغار على منبج حيث سفك دماء الكثيرين من أهلها. وفي (٢ صفر سنة ٦٥٧هـ) سار الجيش المغولي يقوده هولاكو بنفسه ويعاونه الأرمن والفرنج وأبتدأ بحصار حلب وارسل الى واليها الملك المعظم تورانشاه يطلب اليه ان يسلمه البلد ووعد بأن يؤمنه ويؤمن أتباعه فلم يجبه تورانشاه الى طلبه وصمم على محاربته. أما السلطان الناصر صاحب حلب فبدل أن يبقى ليدافع عن المدينة أثر الهرب الى دمشق فحمل عنه عبء الدفاع الملك المعظم تورانشاه وفي ذلك الوقت كان رئيس أساقفة حلب هو المؤرخ ابن العبري فسارع الى المغول وقدم طاعته لهولاكو.

نصب المغول عشرين منجنيقاً (مدافع) حول المدينة وصاروا يمطرونها بوابل من قذائفهم الى أن اضطرت الى التسليم. فاستباحوها سبعة ايام قتلوا خلالها خلقاً كثيراً امتلأت بهم الطرقات وآسروا النساء والذرية ونهبوا الاموال. أما قلعة حلب فقد استعصت عليهم واستمرت تقاوم مدة ثلاثين يوما ثم سلمت في النهاية . بعد

ذلك رحل المغول الى قلعة حارم ولكن أهلها أبوا أن يسلموها لغير فخر الدين المعروف بالساقي والي قلعة حلب فغضب عليه هولاكو ولكنه تظاهر بالنزول على رغبتهم واستدعى فخر الدين حتى اذا سلمت اليه القلعة أمر هولاكو بالسكان فقتلوا عن اخرهم ومعهم اطفالهم وزوجاتم وكذلك سقطت بأيدي المغول.

حماة وحمص والمعرة:

ونتيجة لهذه الانتصارات السريعة الحاسمة وما صاحبها من قتل وتشريد وتخريب وتدمير عم الرعب في كل بلاد سوريا فسارع الامراء الاخرون بتقديم فروض الطاعة للمغول . فكان ممن جاء إلى هولاكو وهو عند اسوار حلب الايوبي الاشرف موسى ملك حمص سابقاً وكان الناصر قد أنتزعها منه سنة ٦٤٦هـ ، فأعادها هولاكو اليه. وعندما تقدم المغول نحو دمشق كان المدافعون عنها قد هجروها كما ان الملك الناصر لم يحاول أن يحمي المدينة إذ كان قد فر إلى مصر عندما سمع بسقوط حلب أما أهالي دمشق فقد عرفوا ما حل بمدينة حلب وكانوا يخشون أن يلقوا نفس المصير اذا حاولوا مقاومتهم ولهذا سارع ذوو الرأي والوجهاء منهم إلى هولاكو وقدموا له الهدايا والتحف وسلموه مفاتيح المدينة وأظهروا له الانقياد والطاعة. فدخل المغول المدينة دون إراقة الدماء ولكن أمتنعت عليهم قلعة دمشق فحاصروها واقاموا عليها المجانيق إلى أن استسلمت لهم ونهبوا جميع ما فيها وخلال الاسابيع الثلاثة التي أعقبت فتح دمشق أتم المغول فتح سوريا وقتلوا حامية نابلس لأنهم قاوموا ثم تقدموا إلى غزة دون ان يلقوا مقاومة تذكر وكذلك استسلمت لهم حامية عجلون.

سنحت للنصارى الفرصة للتشفي والانتقام من المسلمين على أثر فتح دمشق فنظموا مواكب عامة كانوا ينشدون فيها الاناشيد ويحملون الصلبان ويجبرون المسلمين على أن يقوموا احتراماً لها ومن يمتنع منهم كان يتعرض للسب والشتم والاهانة. وبلغ بهم التحدي أقصاه فدقوا النواقيس وتظاهروا بالخمر في رمضان ورشوه على ثياب المسلمين في الطرقات كما صبوه على أبواب المساجد ولم

يستثنوا حتى الجامع الاموي ، فضجر المسلمون من تلك الفعال ورفعوا شكواهم إلى كيتوبوقا نائب هولاكو فلم يحفل بهم بل أهانهم وضرب بعضهم في الوقت الذي أخذ يزور الكنائس ويعظم رجال الدين النصارى.

حملة المغول على مصر:

لقد تبين لنا مما تقدم أن المغول قد تمكنوا في مدة يسيرة أن يستولوا على معظم اقاليم العالم الإسلامي المعروف آنئذ وتوغلوا في ممالكه يفتكون ويهتكون ويسفكون الدماء ويحطمون العروش . وقضوا على قلاع الاسماعيلية وسقطت بغداد في أيديهم واستولوا على بلاد الروم وديار بكر وديار ربيعة وأخضعوا الشام باسره ولم يبقى أمامهم إلا مصر أخر معقل للإسلام في الشرق.

ولقد كانت هذه الانتصارات المتتابعة التي احرزها المغول قد حيرت الناس وتركت في نفوسهم اثراً عميقاً وجعلتهم يعتقدون ان هؤلاء المغول إنما هم بلاء من الله سلطه على المسلمين ولن تستطيع قوة على ظهر الأرض أن تقف أمامهم ولكن فجأة وقعت حادثة قطعت هذا الاعتقاد وقلبت هذه الفكرة رأساً على عقب إذ وصلت الاخبار إلى هولاكو تنبئ بوفاة أخيه الأكبر (منكوقا آن) في الصين سنة ٦٥٥هـ ويتنازع أخويه الاخرين (قوبيلاي) و (اريق بوكا) ولاية العرش. وبالرغم من ان هولاكو هو الآن الابن الرابع لتولوي، ومن حقه ان ينافس أخوية الاخرين في تولي عرش المغول، غير انه عدل عن ذلك بسبب ما تهيء له من الفتح والظفر في ايران والعراق والشام ولكنه في الوقت نفسه كان يرى ان أخاه (قوبيلاي) أجدر بتولي هذا المنصب من أخيه الآخر اريق بوكا لهذا كان حريصاً على أن يحضر القوريلتاي (مجلس الشورى) ليزكي ترشيح اخيه قوبيلاي خاناً أعظم. ومن ناحية أخرى كان هولاكو يعلم انه مهدد من جهة الحدود القوقازية من قبل ابن عمه (بركة خان) الذي كان يحكم في القبجاق، خصوصاً وانه كان قد اعتنق الإسلام وصار يتوعد هولاكو بالانتقام منه بسبب ما اقترفه من مذابح راح فيها ألوف من الضحايا المسلمين ولتجرؤه على مقام الخلافة وقتل الخليفة.

أضطر هولاكو إلى العودة إلى ايران للسببين المذكورين وكان في نيته أن يكتفي بما تم من فتح ولا يترك خلفاً له يكمل برنامجه في الاستيلاء على فلسطين ومصر. غير أن الحاح النصارى وفي مقدمتهم هيتوم ملك أرمينيا جعل هولاكو يوافق على أن يترك قائده (كيتو بوقا) وتحت أمرته عشرة ألاف مقاتل لإتمام هذا المشروع. كما عهد هولاكو إلى هذا القائد بإدارة شؤون الحكم في سوريا.

لقد كان القائد (كيتوبوقا) يكن أحسن النوايا للنصارى لا لأنه كان يدين بالنصرانية فحسب بل لأنه فيما يبدو قد فهم المصلحة من قيام حلف صليبي مغولي . وبالرغم من أن بوهيمند السادس ملك انطاكيا كان يشارك كيتوبوقا هذا الشعور فإن بارونات عكا ظلوا ينظرون إلى المغول كبرابرة لا يمكن أن يفضلوا في نظرهم المسلمين. وحدث ان هاجم أحد هؤلاء البارونات المسمى (الكونت جوليان الصيداوي) دورية مغولية وقتل أبن اخي كيتو بوقا فسخط المغول وتألموا جداً بسبب وقوع هذا الحادث وتوجهوا لتخريب صيدا فكان هذا ايذاناً بانتهاء الحلف الصريح أو الضمني بين الفرنج الصلبيين والمغول. ونتيجة لهذا التنافر عادت للمسلمبن في مصر شجاعتهم وثقتهم بأنفسهم وكان على المغول أن يدركو انه إذا كانت سلطة حلب ودمشق قد سقطت في أيديهم فإنه قد بقي عليهم أن يغلبوا قوة اسلامية عظيمة هي قوة المماليك أصحاب السيطرة والقوة في مصر. وفي هذه الفترة التي نتحدث عنها كان السلطان المملوكي (قطز) ثالث هؤلاء المماليك هو الذي يحكم في القاهرة. لقد دخلت العلاقات بين المغول والمماليك في مرحلة حرجة حينما أرسل هولاكو قبل ان يترك الشام في سنة ٦٥٨هـ رسله يحملون رسالة إلى السلطان قطز تتضمن كل معاني التهديد والوعيد يدعوه فيها إلى الاستسلام وتقديم فروض الطاعة للمغول. يقول في هذه الرسالة: ((من ملك الملوك شرقاً وغرباً الاعظم. باسمك اللهم باسط الارض ورافع السماء يعلم الملك المظفر قطز الذي من جنس المماليك الذين هربوا من سيوفنا إلى هذا الإقليم (يشير هنا إلى أصل قطز محمود ابن مودود وامه اخت السلطان جلال الدين خوارزمشاه وابوه ابن عم السلطان جلال الدين وكان قد أسر في حروب التتر وبيع بدمشق

للسلطان الملك المعز آيبك ثم انتقل إلى القاهرة). يتنعمون بانعامه ويقتلون من كان بسلطانه بعد ذلك يعلم الملك المظفر قطز وسائر امراء دولته وأهل مملكته بالديار المصرية وما حولها من الاعمال . انا نحن جند الله في ارضه خلقنا من سخطه وسلطنا على من حل به غضبه . فلكم بجميع البلاد معتبر وعن عزمنا مزدجر فاتعظوا بغيركم واسلموا الينا أمركم. قبل ان ينكشف الغطاء فتندموا ويعود عليكم الخطأ فنحن ما نرحم من بكى ولا نرق لمن شكى فلا تطيلوا الخطاب واسرعوا برد الجواب قبل أن تضرم الحرب نارها وترمي نحوكم شرارها فلا تجدون منا جاهاً ولا عزاً، ولا كافياً ولا حرزاً وتدهون منا بأعظم داهية وتصبح بلادكم منكم خالية فقد انصفناكم إذ راسلناكم وأيقضناكم إذ حذرناكم فما بقي لنا مقصد سواكم والسلام علينا وعليكم وعلى من اطاع الهدى وخشية عواقب الردى وأطاع الملك الأعلى).

إلا قل لمصر هاهلاون[1] قد اتى　　　بحد سيوف تنتضى وبواتر

يصير أعز القوم منها أذلة　　　ويلحق اطفالاً لهم بالأكابر

فلما وصل رسل هولاكو إلى القاهرة وتسلم قطز تلك الرسالة استدعى الامراء وتشاور معهم فاستقر الرأي على قتل الرسل والمسير للقتال ذلك لأنه أدرك ان الظروف قد أصبحت ملائمة وان كيتوبوقا بجيشه الذي لا يزيد على عشرة الاف جندي بعد رحيل هولاكو بمعظم الجيش لم يكن ليستطيع أن يحتفظ بفتوحاته إلا عن طريق تحالفة بالفرنج النازلين على الشاطئ وما دام هؤلاء الفرنج قد نفضوا ايديهم من هذا الحلف فقد أصبحت الفرصة مؤاتية للوقوف أمام الغزاة وقفة موفقة بل صار الأمل كبيراً في الانتصار عليهم.

ومع هذا فعندما جد الجد واستعد قطز للمسير إلى القتال نكص جماعة من الامراء على أعقابهم وابدوا تكاسلاً وخنوعاً وخوفاً بحجة انه لا طاقة لهم

([1]) هلاون: صيغة لاسم هولاكو ترد في كتب المؤرخين.

بمقاومة المغول فما كان من قطز إلا أن توجه اليهم بتلك الكلمات اللاذعة التي ألهبت مشاعرهم وقوت عزيمتهم وجعلتهم يطرحون الجبن وراء ظهورهم ويسارعون إلى نصرة قائدهم وتأييده: (يا أمراء المسلمين لكم زمان تاكلون أموال بيت المال وأنتم للغزاة كارهون وأنا متوجه فمن اختار الجهاد يصحبني ومن لم يختر ذلك يرجع إلى بيته فإن الله مطلع عليه وخطئة حريم المسلمين في رقاب المسلمين). فتكلم الامراء الذين تخيرهم وحلفهم في مرافقته على المسير فلم يسع البقية إلا الموافقة وأنفض الجميع . وعلى هذا التصميم تقدمت طلائع المصريين يقودهم الامير بيبرس البندقداري قاصدين فلسطين، بينما كانت الحامية المغولية الصغيرة بقيادة (بايدر) تحتل غزة فلقيها بيبرس ودمرها بعدده الوفير وأجلاها حتى شاطئ نهر العاصي. أما الفرنج في عكا فإنهم بدلاً من أن يتفقوا مع كيتو بوقا سمحوا للمصريين بأن يعبروا ارضهم ويمونوا أنفسهم منها عند أسوار عكا.

يقول المقريزي: (ثم نزل السلطان بالعساكر إلى غزة وأقام بها يوماً ثم رحل من طريق الساحل على مدينة عكا وبها يومئذ الفرنج فخرجوا اليه بتقادم وأرادوا أن يسيروا معه نجدة فشكرهم وأخلع عليهم واستحلفهم ان يكونوا لا له ولا عليه واقسم لهم انه متى تبعه منهم فارس أو رجل يريد أذى عسكر المسلمين رجع وقاتلهم قبل ان يلقي التتر).

ولاشك ان السماح للجيش المصري باتخاذ الطريق الساحلي الذي كان في أيدي الصليبيين واحتشاد هذا الجيش هناك بفضل تموين الفرنجه لهم كان ميزة كبيرة تمتع بها المصريون إذ أتاحت لهم فرصة ذهبية للقاء العدو وهم على أتم الاستعداد هذا فضلاً عن كثرتهم العددية بالقياس إلى جيش المغول.

معركة عين جالوت:

عندما علم القائد المغولي (كيتوبوقا) باندحار (بايدر) صار يغلي كالمرجل من الغضب وتقدم للانتقام واثقاً من نفسه مزهواً بقوته معتمداً على ان

الجيش المغولي لا يمكن أن يكسر أو يقهر فتجمع المصريون عند أسوار عكة كما ذكرنا آنفاً ثم اتجهوا عبر بلاد الفرنجه نحو نهر الاردن وتقدم (كيتوبوقا٩١ ومعه بعض النجدات الارمنية فالتقى الجمعان عند عين جالوت (وهي بلدة بين بيسان ونابلس من أعمال فلسطين) في يوم الجمعة ١٥ رمضان سنة ٦٥٨هـ - ١٢٦٠م، حيث دارت الحرب بين الفريقين فأسفرت المعركة عن هزيمة المغول هزيمة منكرة لأول مرة في تاريخهم بعد ان كانت القلوب قد يئست من النصر عليهم باستيلائهم على معظم البلاد الإسلامية ولأنهم ما قصدوا اقليماً إلا فتحوه ولا عسكراً إلا هزموه إلى أن كانت هذه الواقعة التي رجحت فيها كفة المصريين إذ استطاعوا ان ينتقموا من المغول شر انتقام فقتلوا عدداً كبيراً منهم وتعلق من سلم برؤوس الجبال فتبعهم المسلمون وافنوهم وطاردوا من هرب إلى أطراف البلاد الشرقية.

وقد وقع قائد المغول (كيتوبوقا) اسيراً في قبضة المسلمين بعدما أبدى في هذه الموقعة من ضروب الشجاعة والتضحية ما يجل عن الوصف ثم احضر أمام السلطان قطز الذي قال له بتشف: (ايها الرجل الناكث العهد ها انت بعد ان سفكت كثيراً من الدماء البريئة وقضيت على الابطال والعظماء بالوعود الكاذبة وهدمت البيوتات العريقة بالاقوال الزائفة المزورة قد وقعت أخيراً في الشرك).

فرد عليه القائد المغولي رداً في غاية الجرأة والقوة غير أبه بما ينتظره من مصير مخيف على يد قطز (اني إذا قتلت على يدك فإني أعلم ان ذلك من الله لا منك فلا تنخدع بهذه المادفة العاجلة ولا بهذا الغرور العابر فإنه حين يبلغ هولاكو خان نبأ وفاتي سوف يغلي بحر غضبه وستطأ سنابك خيل المغول البلاد من اذربيجان حتى ديار مصر ان لهولاكو خان ثلاثمائة الف فارس مثل كيتوبوقا فأفرض انه نقص واحد منهم) فقال له قطز (لاتفخر إلى هذا الحد بفرسان توران فإنهم يزاولون أعمالهم بالمكر والخداع لا بالرجولة والشهامة). وكانت اخر صيحة لكيتوبوقا أن سب هؤلاء السلاطين المماليك الذين ترفعهم الصدف والذين يتخذون

قتل ساداتهم وسيلة للوصول إلى الملك. ثم أشاد بالوفاء المغولي ومدى احترام المغول للقانون فقال: (اني كنت عبداً للملك ما حييت ولست مثلك ماكراً وغادراً وقاتلاً لمولاه. بادر بالقضاء علي بأسرع ما يمكن حتى لا أسمع تأنيبك). فأصدر قطز امره على الفور فاحتز رأس القائد المغولي وطيف به في البلاد.

تابع قطز سيره بالجيش حتى دخل دمشق دخول الظافر المنتصر وقد دفع النصارى بهذه المدينة الثمن غالياً بسبب عطفهم السابق على المغول لما اقترفوه من آثام ضد الاهالي المسلمين على أثر انتصار المغول وبهذا النصر دخلت الامارات الإسلامية في سوريا من الفرات إلى حدود مصر تحت حكم المماليك وقد حاول المغول ان يستعيدوا مركزهم مرة اخرى فدخلت فرقة منهم أرض سوريا من جديد ونهبت إقليم حلب إلا انها سرعان ما ردت على أعقابها بعد لقاء قرب حمص فعادت ادراجها شرقي الفرات.

استعدت القاهرة لاستقبال الملك المظفر قطز وأخذت المدينة زخرفها وزينت ليرى القائد العظيم ثمرة انتصاره. ولكن لم تكد قدمه تطأ أرض الوطن حتى راح ضحية الغدر على يد (ركن الدين بيبرس) في ذي القعدة سنة ٦٥٨هـ. ذلك لأن بيبرس كان يشعر بأنه قد أبلى بلاء حسناً في معركة عين جالوت فكان يأمل أن يقطعه السلطان (قطز) حلب حتى إذا خاب رجاؤه عول على الانتقام منه فقتله واعتلى عرش مصر وتلقب بلقب الظاهر ولكن مما عزى الامة الإسلامية عن فقد هذا البطل هو ان الظاهر نفسه كان قائداً عبقريا أثبت كفاءة ومقدرة في حروبه ضد المغول والانتصار عليهم المرة تلو الاخرى.

نتائج عين جالوت:

لقد كانت موقعة عين جالوت أحد الوقائع المهمة ليس في تاريخ مصر والشام فحسب بل في تاريخ العالم الإسلامي بأسره وذلك لما ترتب عليها من نتائج بالغة الاهمية نوجزها فيما يأتي:

١- كانت بمثابة سد منيع حال دون تقدم المغول إلى مصر. ورغم ان الهزيمة لم تلحق بشخص هولاكو إلا انها كانت على كل حال ضربة قاصمة وحاسمة أنزلها قطز بجيوش المغول التي لم تكن تعرف الهزيمة من قبل. ولاشك ان ذلك الانكسار بالإضافة إلى قتل القائد المغولي كيتوبوقا يعد صدمة عنيفة اصابت هولاكو الذي صمم على الانتقام ولكن الظروف لم تمكنه من ذلك.

٢- توطدت العلاقات بين الحكام المغول من المسلمين في القبجاق وبين المماليك في مصر وتحالف الفريقان ضد عدوهما المشترك الذي كان يتمثل في اسرة هولاكو بايران وكان من جراء ذلك انتشار الإسلام بين سكان تلك المناطق.

٣- تبدو أهمية هذه المعركة على وجه الخصوص إذا ما تصورنا انها جاءت بنتيجة عكسية وانتصر فيها المغول اذن لسقط اخر معقل الإسلام في مصر وفلسطين خصوصاً وان الصليبيين كانوا يقفون بالمرصاد للمسلمين فهم يحثون المغول ويتحالفون معهم غي سبيل القضاء على الاسلام والمسلمين فلولا هذا النصر المبين لكان الإسلام مقضياً عليه بالفناء.ولتغير مجرى سير التاريخ الإسلامي.

٤- بعث هذا الانتصار روحاً جديدة في المسلمين ولاسيما الذين تحملوا وطأة الغزو المغولي وخضعت بلدانهم لسيطرة وسلطة المغول ممن لاقوا صنوفاً من العذاب والاضطهاد والتشريد فقوي موقفهم واستطاعوا ان يصمدوا امام مناوراة النصارى واليهود وينافسونهم في تبوء الزعامة والصداره في دولة الايلخلنيين وصاروا يشرحون للحكام المغول تعاليم الإسلام العظيم ويرغبونهم في اعتناقه حتى تكللت مساعيهم بالنجاح واصبح الإسلام ديناً رسمياً للدولة الايلخانية.

٥- أسفرت هذه المعركة عن فشل ذريع لسيلسة الصليبيين في الشرق والغرب ومنحت مصر مركز الزعامة في العالم الإسلامي فكان ينظر اليها دائماً في تلك العصور على انها الدولة الوحيدة التي استطاعت ان تنتصر على عدوين خطرين الصليبيين من جهة والمغول من جهة أخرى.

ولنا أخيراً أن نسجل بمداد الاعتزاز والتقدير الاكبار والاحترام لشجاعة وبسالة القائدين الكبيرين قطز وبيبرس واتباعهما لما أدوه من جليل الخدمات للعالم الإسلامي بوجه عام ولسوريا ومصر بوجه خاص فقد جنبوا مصر ويلات الغزو الذي عطل سير التطور الثقافي والفكري في دنيا الإسلام.

يقول سيديو في كتابه (تاريخ العرب العام): (وجد المغول حينما أغاروا على سوريا في النصف الاخير من القرن الثالث عشر في مقاومة المماليك وشجاعتهم حاجزاً يتعذر اقتحامه وأنضمت عدة قبائل عربية إلى الجيوش المصرية فساعدتها على نيل النصر ولم يتردد بيبرس الذي هو أشهر ملوك المماليك البحرية في الظهور بمظهر المدافع عن الإسلام على حين لم يفكر أمير باسيا في النهوض بهذا العبء وكان الظاهر سياسياً محنكاً كما كان قائداً ممتازاً).

وللتدليل على ما تعرضت له البلاد التي شملها الغزو المغولي من سلب ونهب وتقتيل وتشريد واباحة وهدم وتحريق وتحطيم وتخريب أن نورد نبذة مما كتبه المؤرخ المحقق عز الدين ابن الاثير في كامله إذ يقول: (لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظاماً لها كارها بذكرها فأنا اقدم اليها رجلاً وأؤخر أخرى فمن الذي يسهل عليه ان يكتب نعي الإسلام والمسلمين ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك؟ فيا ليت امي لم تلدني وياليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسيا إلا اني حثني جماعة من الاصدقاء على تسطيرها وأنا متوقف ثم رأيت ان ترك ذلك لا يجدي نفعاً فنقول: (هذا الفصل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التي عقمت الايام والليالي عن مثلها عمت الخلائق وخصت المسلمين فلو قال قائل: ان العالم منذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم إلى الآن لم يبتلوا

بمثلها لكان صادقاً فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة إلا أن ينقرض العالم وتفنى الدنيا إلا ياجوج ومأجوج. وأما الدجال فإنه يبقى على من أتبعه ويهلك من خالفه وهؤلاء لم يبقوا على أحد بل قتلوا النساء والرجال والاطفال وشقوا بطون الحوامل وقتلوا الاجنة فإنا لله وإنا اليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم لهذه الحادثة التي استطار شررها وعم ضررها وسارت في البلاد كالسحاب استدبرته الريح).

ويذكر المؤلف صاحب هذا الكتاب عن حملة هولاكو على بغداد بصورة مختصرة فيها ما خفي عن قبلها في كتابه (وماذا بعد يابغداد) توخياً لزيادة المعلومات فأرتأى ذلك البحث وهذا نصه: (عرف المغول قبل جنكيز خان باسم (التتار) وقد وردت هذه التسمية في نقوش أرخون في القرن الثامن الميلادي وكانوا ينقسمون إلى قسمين الاول يتألف من (٩) قبائل والآخر يتألف من ثلاثين قبيلة [1]، وعاش المغول في الهضبة المعروفة باسم هضبة منغوليا شمال صحراء جوبي الممتدة في اواسط جنوبي سيبيريا وشمال التبت وغربي منشوريا وشرقي التركستان.

وقد مارس المغول الرمي والصيد والواقع ان تاريخ المغول السياسي بدأ مع ظهور جنكيز خان الذي نجح في استقطاب جموع المغول وربطهم بتنظيمات سياسية قدر لها الاستمرار بفضل مهارته وحسن قيادته حتى بعد وفاته . بدأ جنكيز خان اجتياحه لأقاليم العالم الإسلامي منذ عام (١٢١٩م) ففي هذه السنة تدفقت جيوشه على دولة خوارزم فسيطر ولده جورجي على القسم الغربي في بلاد ما وراء النهر وأما جنكيزخان نفسه فقد زحف بالجيش الرئيسي نحو بخاري فأحدث فيها مجزرة رهيبة تحولت المدينة إلى رماد[2]. وأما سمر قند استسلمت في يوم عاشوراء سنة (١٢٢٠م) بعد حصار قصير واصبحت الطرق ممهدة إلى خراسان

---

[1] د.رشيد الجميلي، المورد، ص٦٠.

[2] الخليفة المستنصر بالله أبو جعفر منصور بن الظاهر بأمر الله ولد سنة (١١٩٠م).

وبقية الولايات بعد احتلال المدن وتخريبها أما جنكيز خان فقد عاد إلى منغوليا في سنة (١٢٢٣م) حيث مات بعد أربعة ايام ولم يتم انتخاب ولده وخليفته (أوعوناي) إلا في سنة (٦٢٦هـ) ولقد كان سقوط الدولة الخوارزمية واختفاء جلال الدين قد أتاح للمغول التوسع السريع نحو الغرب فوصلوا ديار بكر وآمد وميافارقين وبلغوا الجزيرة وحران وتعرضت الموصل واربيل وداقوق إلى هجماتهم واصبح الطريق ممهداً أمامهم نحو عاصمة الخلافة بغداد وقد كانت سياسة المستنضصر بالله تقوم على محالة استرضاء المغول ومصالحتهم إلا أن هولاكو استعد للزحف نحو بغداد ووصل هولاكو إلى أسوار بغداد والتقى جيش الخليفة المستعصم بالله بطلائع المغول بالقرب من قنطرة باب البصرة وكانت قوة المغول المتقدمة تقدر بعشرة الاف مقاتل وكان المغول يحاولون سحب القوات الإسلامية إلى خارج بغداد لغرض إرسال قوة مغولية لتدمير الجسور والقنطرات والسدود لغرض إغراق الاراضي وحصر قوات الخليفة ونجح المغول في تحقيق ذلك واستولوا على الضفة الغربية لنهر دجلة وقاموا بتطبيق الحصار على بغداد لمنعهم من الهروب فقرر الخليفة ايفاد وزيره ابن العلقمي وجاثليق المسيحي النساطرة إلى هولاكو لاقناعه بالكف عن القتال وعقد الصلح غير ان هولاكو لم يلتفت إلى ذلك واستمرت الحرب بين الطرفين ولم يلبث الخليفة المستعصم أن اعلن الاستسلام وارسل الهدايا إلى هولاكو ولم يكف هولاكو من القتال ولم يجد الخليفة بداً من الخروج لمقابلة هولاكو وخرج معه أولاده وأهله وطلب هولاكو من الخليفة ان يصدر أوامره إلى بقية المدافعين عن بغداد بالقاء اسلحتهم والخروج فاستجاب الخليفة وخرجوا جميعاً وبالعراء فاحاط جند المغول بهم وقتلهم جميعاً فأطلق هولاكو جنوده لاستباحة المدينة لمدة سبعة ايام وأحرقوا الجوامع ومسجد الكاظم (ع) فاصبح القتلى تلول فوق الشوارع ثم أمر هولاكو بقتل الخليفة واولاده ثم قتل أعمام واقارب الخليفة وبعض أعيان بغداد ثم بعد ذلك أعلن هولاكو ان من بقي حياً فهو من رعاياه حياً ويقدر عدد القتلى أكثر من مليون نسمة حسبما أورده الذهبي وبعد إعلان وقف القتال أمر هولاكو بدفن القتلى ورفع جثث الحيوانات من

الطرقات ففسد الهواء وانتشر الوباء وقبل ان يغادر هولاكو بغداد متوجهاً إلى همدان فوض حكم بغداد إلى الامير علي بهادر وأقر الوزير ابن العلقمي في الوزارة وفخر الدين الدامغاني في الديوان ونظام الدين عبد المنعم في القضاء كما وزع المناصب الإدارية على بقية من يعرفهم ثم رحل هلولاكو سنة ٦٥٦هـ حوالي ١٢٥٠م وترك على بغداد قائدين من المغول مع ثلاثة الاف جندي.

والواضح ان الزحف المغولي قد توقف نهائياً بعد معركة عين جالوت سنة ١٢٦٠م واصبحت مصر نقطة بالغة الاهمية والقوة في الدفاع عن الشرق الادنى لاسيما بعد ان تداعت امارات السلطنة الايوبية في الشام . وبهذا نكون قد فرغنا من سرد موجز لتاريخ حروب العرب والمسلمين نسأل الله تعالى في حاضرنا العون والمدد لأمتنا لما خلفه الاستعمار البغيض وأذنابه المرتزقة سابقاً وحالياً لمدينة بغداد واخواتها من المدن العراقية من التخريب والدمار للإنسان والارض ما فاق بربرية هولاكو لما فيها من الأوضاع الشاذة والامعقول بقضية العراق المستعصية من قبل السياسيين الذين هم أساس المشكل المتفاقم حول تخاذلهم وتنافسهم على المناصب وأوسع الحصص من الكعكة النفطية وتركوا جسد الأمة المتعب والمثقل بالهموم بسكاكين اللصوص وقطاع الطرق والانتحاريين والمجرمين من الأعراب لأحياء النظرة الفوضوية الخلاقة لتقسيم الوطن العراقي إلى ثلاث كيانات هزيلة ومتناحرة وربما إلى رابعة وخامسة باسم الربيع العربي ومنهم من ينتظر استفحال الازمات الداخلية وتنامي تطاول بعض رؤوس الكتل في زمن كثرت فيه ديدان وغربان الأرض وآراذل القوم تنهش الاجساد والمقدسات. وما مر يوم والعراق ليس فيه دم يجري ومازال الدم العراقي يسفح برخص من دون أن يثير إهراقه حمية أولي الأمر وكأنه كتب على نسائنا شق الثياب ولبس السواد ولطم الخدود وعلى اطفالنا البؤس واليتم والفاقة والتخلف. أي بلد هذا الذي يصحو فيه الناس على مجزرة ويغمضون أعينهم من الهلع وأي مقابر تلك التي تتزاحم بها الاضداد فيلتقي الابناء والاحفاد والاجداد وكلهم ماتوا غيلة أو ذبحاً أو انتقاماً اوثأراً.

جميع الديانات حرمت قتل بني البشر إلا بعض المشعوذين والظلاميين الذين يحسبون أنفسهم على أمة محمد (ص) فإلى متى سنبقى مأكولين تفترسنا النطيحة والمتردية وتلغ بدمائنا الكلاب المتوحشة . ويعلم الجميع ان العراقي فاقه صبره صبر ايوب وما عاد لينتظر ما تأتي به رياح الشمال نتمنى جميعاً أن لا يظهر أبو رغال جديد بين بغداد واربيل لتوريط ابناء شعبنا الكردي والعربي لويلات الحروب المدمرة بين ابناء الشعب الواحد ذات الاهداف المشتركة بالدين والارض والتاريخ ليجربوا ستراتيجية فتنة حرب الجمل مع من لا يفرق بين الناقة والجمل.

الفردوسي والشاهنامه

تعتبر الشاهنامه من أعظم الملاحم الإيرانية وواحدة من أهم الملاحم العالمية وتمثل كتاب الفرس القومي، نظمها وقدمها شعراً أبو القاسم الفردوسي[١]، في القرن الرابع الهجري ويبلغ عدد أبياتها حوالي ستين ألف بيت ويدور موضوعهما حول الإمبراطورية الفارسية القديمة منذ الخليقة وحتى الفتح الإسلامي لإيران ولكي ينظم الفردوسي هذه الشاهنامه كان لابد له من توافر مجموعة من المصادر والكتب التي تقدم المادة المطلوبة لهذه الملحمة، وعندما توافرت له الآثار والملاحم الفارسية علاوة على مصادر تاريخية إسلامية كتبت باللغة العربية صنفها مسلمون من الفرس أمثال الطبري والبخاري والثعالبي وحمزة والأصفهاني والمسعودي وغيرهم من حول هذه الأفكار إلى هذه الملحمة الشهيرة وعلى الرغم من شيوع هذه النظرة وانتشارها لدى البعض إلا ان الفردوسي أثبت خلال نظمه للشاهنامه كان واقعاً تحت تأثير المجتمع الإسلامي بكل ما فيه من قيم ومفاهيم ونظم وعلوم

---

[١] كان مولده في الربع الاول من القرن الرابع الهجري في قرية (باز) من قرى طوس بخراسان من أسرة تنتمي الى طبقة تعرف باسم (الدهاقين) ، دراسات في الشاهناميه، طه ندا، الدار المصرية للطباعة ، الاسكندرية، ١٩٥٤، ص٨-٩.

إسلامية مما جعله يعيد صياغة الصور الكلية لإيران قبل الإسلام من خلال منظور إسلامي شمل كافة الموضوعات والأفكار المطروحة وجاءت رواياته أقـرب مـا تكون إلى المصادر الإسلامية منها إلى الروايات الإيرانية القديمة وكأنه تمنـى أن يكون لأجداده الفرس هذه الصور المثالية التي استقى أسسها وأطرها العامة مـن خلال المجتمع الإسلامي والعربي الذي عاش فيه وكان واحداً من أبنائه. ولما كان التأثير الإسلامي المفترض قد تجاوز مجرد التشابه بين بعض قصص الـشاهنامه وقصص الأنبياء إلى سيطرة بعض الظواهر السياسية والاجتماعية الإسلامية على الفردوسي.

وكان الفردوسي كواحد من أبناء ذلك العصر وكان يمجد العقل ويدعو لطلب العلم والمعرفة وهذه منظومته تبدأ بهذا الشطر الذي يقول فيه (بسم رب الروح والعقل)، ومن الروايات التاريخية في الشاهنامه دراسة مقارنة بينها وبين المأثور التاريخي الإسلامي حيث يقال (إذا كان لإيران في الشاهنامه علاقات عديدة ومتنوعـة مـع الأمم والدول المجاورة، مثل توران والـروم والـصين والهنـد إلا ان العلاقـات الإيرانية العربية في الشاهنامه لها طابعها الخاص والمميز، فالعرب وكما جاء في الشاهنامه هم أول الأجناس احتكاكاً بالإيرانيين وهم أيضاً الذين قضوا على الدولة الساسانية في إيران وأقاموا بها الدولة الإسلامية ويذكر الفردوسي ان جمشيد الملك البيشدادي حين استقامة له الدنيا بأسرها وأطاعته كافة المخلوقات كفر بالله وأدعى الإلوهية وصار من المفسدين فكان ذلك سبباً في زوال ملكه وانتهاء أمره.

وقد أنفض الإيرانيون من حول جمشيد وأسرعوا إلى الـضحاك الحـاكم العربـي يطلبون منه إنقاذهم من حكم جمشيد ويعرضون عليه حكم إيران. ويقول الفردوسي (خرج الجند من إيران واتجهوا صوب بلاد العرب وراح كافـة فرسـان إيـران يبحثون عن ملك فقصدوا الضحاك) وهناك قصة كبيره حول ذلك سنذكرها لاحقاً.

ولد الفردوسي في القرن الرابع الهجري وهو القرن الذي ضعفت فيه الخلافة العباسية وشهد العالم الإسلامي خلاله اضطراباً سياسياً حاداً وانقسمت فيه الدولة الإسلامية الكبرى إلى دول صغيرة فصارت فارس والري وأصفهان والجبل في أيدي بني بويه، وكرمان في يد محمد بن الياس والموصل وديار ربيعة وديار بكر وديار مضر في أيدي بني حمدان وصارت مصر والشام في أيدي الآخشيد، والمغرب وأفريقيا في يد الفاطميين، والأندلس في يد الأمويين، وخراسان يحكمها الساسانيون. والاهواز وواسط والبصرة في يد البريديين واليمامة والبحرين تحت سيطرة أبي طاهر القرمطي، وطبرستان وجرجان في يد الديلم، وغزنه يحكم فيها الغزنيون ولم يبق في يد الخليفة إلا بغداد وأعمالها وبعض الإمارات الكردية في جبال شمال العراق (كردستان حالياً)[١]. مع اعتراف الحكام جميعاً بالسيادة العليا للدولة العباسية والسلطة الدينية للخليفة العباسي وسميت جميعاً مملكة الإسلام وقامت وحدة إسلامية لا تتقيد بالحدود السياسية الجديدة[٢]. وكان المسلم يستطيع أن يرحل في داخل حدود هذه المملكة في ظل دينه وتحت رايته، ويمكن القول ان القرن الرابع الهجري يمثل تبلور الثقافة الإسلامية وأزدهارها . وهكذا كان حظ العلم والعلماء في القرن الرابع الهجري بيناً مرموقاً وقد أدى هذا الانقسام السياسي إلى إيجاد نوع من التنافس بين الدول الإسلامية حول تشجيع العلم والثقافة وكان كل قطر يباهي صاحبه بما لديه من العلماء والأدباء المفكرين، فأدباء الشام يزهون على أدباء العراق وعلماء مصر يجلون علماء بغداد. وشاهد الناس في ذلك

---

(١) تجارب الأمم، ابن مسكويه، ط القاهرة (١٩٨٣)، ج٥، ص٥٥٣. الكامل في التاريخ، ابن الاثير، دار الكتاب العربي، ط٢، بيروت ١٩٦٧، ج٨، ص٢٤١.

(٢) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم متز، نقله الى العربية محمد عبد الهادي، ط٢، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة، ١٩٤٧.

العصر مساجلات ومنافسات بين العلماء والمفكرين في العديد من المدن والبلدان التي تميزت بقوة الحركات العلمية وجذبت إليها مشاهير العلماء والمفكرين مثل بغداد والبصرة والكوفة والري وأصفهان وطوس وبخارى وغزنه ودمشق وحلب ومصر وقرطبة وغيرها[١] .

وافرز القرن الرابع الهجري كوكبة من العلماء في شتى فروع العلوم قلما نجد أمثالهم في عصر آخر. مثل إبراهيم المروزي والقدوري والطحاوي وابن سريج والماوردي وأبي بكر الجصاص في الفقه والدارقطني والنيسابوري وابن حيان وابن منده والبيهقي في الحديث وأبي علي الفارسي وأبن دريد والنحاس وأبن فارس والزجاج وأبن درستويه وأبن السراج والسيرافي والرماني في النحو واللغة وأبي إسحاق والصابي والخوارزمي وجعفر البرمكي وبديع الزمان الهمداني وعلي بن عبد العزيز الجرجاني وأبي هلال العسكري وأبن العميد وأبن عباده والشريف المرتضي والقاضي والتنوفي والروزني والازهري صاحب الصحاح وأبي الفرج الأصفهاني والشريف الرضي في اللغة والطبري وأبن زولاف والشاشتي وأبي الحسن الاشعري والكعبي والبلخي وأبي إسحاق الاسفرايئي وأبي بكر بن فورك وأبي منصور الماثريدي وأبي ليث السمرقندي والقاضي عبد الجبار الهمذاني في علم الكلام وأبي سليمان المنطقي وأبن بطلان ويحي بن عدي وأبي زرعه وأبن

---

[١] وقد زار المقدسي هذه البلدان والعوالم في القرن الرابع الهجري ووصفها وتحدث عما بها من مظاهر التقدم العلمي وسجل ذلك في كتابه المعروف باسم (أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم) ولمزيد من التفاصيل أنظر الكتاب المذكور لشمس الدين المقدسي (ت٣٩١هـ)، طبعة لندن ١٩٠٦م، ص١١٣.

مسكويه وأبي بكر الرازي وأبن الحجاز والفارابي وأبن سينا والبيروني في الفلسفة والحسين بن منصور الحلاج وأبي طالب المكي وغيرهم في التصوف[1].

فعلى سبيل المثال كان من أهم مظاهر ازدهار الثقافة والعلوم الاسـلامية انتـشار المكتبات والمدارس، فقد أنشأ العزيز بالله الفاطمي الذي بدء حكمه عام ٣٦٥هـ مكتبة سميت خزانة الكتب بلغ عددها مليوناً وستمائة كتاب تم الاستيلاء عليها مـن قبل صلاح الدين الايوبي وقد بلغ من حب العلماء المسلمين للكتب والمكتبات مبلغاً يضرب به المثل، فقد قيل ان الجاحظ كان يؤجر دكاكين الـوراقين ويبيـت فيهـا للنظر ويروي ان الجاحظ مات بسبب كتبه حيث كان يضعها كالحـائط فـسقطت عليه وقتلته كما ورد في تاريخ أبي الفداء وكان لدى الصاحب بن عبـاد المتـوفي ٣٨٤هـ من الكتب ما يحمل على (٤٠٠) بعير وفهرس كتبـه يقـع فـي عـشر مجلدات حتى انه اعتذر عن توليه الوزارة من قبل السلطات نـوح بـن منـصور الساماني حسبما ورد في الإرشاد والياقوت الحموي وقد عاصر الفردوس الدولتين السامانية والغزنوية وكانت بخارى وسمرقند تحت حكم السامانيين وهـي المـلاذ المفضل عند العلماء المسلمين الحريصين على التمسك بـدقائق الـشرع والـسنة حسبما ورد في كتاب تاريخ البخارى ترجمة وتعليـق احمـد محمـود الـساداتي (القاهرة) والمذكور في كتاب الأثر الإسلامي في الملحمة الإيرانية للـدكتور عبـد الحفيظ محمد إبراهيم حجاب ويقول الثعالبي عن البلاط الساماني في بخارى كانت بخارى في الدولة السامانية مثابة المجد وكعبة الملك ومجمع أفراد الزمان ومطلـع نجوم أدباء الأرض وموسم فضلاء الدهر كما ورد في يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، القاهرة، ١٠٥٦م.

---

[1] التفاصيل في هؤلاء واسهاماتهم العلمية أنظر ظهر الاسلام . احمد ابـين ج/١، ص٢٢١ ومابعدها، لندن ١٩٥٠، ص١٧.

الفردوسي كان يمجد العقل ويدعو لطلب العلم والمعرفة وهذه منظومته تبدأ بهذا الشطر العربي يقول فيه (بسم رب الروح والعقل). وبعد ان ينتهي من حمد الله والثناء عليه نجده يفيض كثيراً في مدح العقل وبيان فضله وكذلك يحث على طلب العلم والمعرفة ومن أقواله:

١- العقل أفضل من كل الأشياء التي منحها الله لك ومدح العقل أفضل طرق العدل.

٢- العقل تاج الملوك وزينة العظماء.

٣- تعلم واستمع الى كل علم فستجد الراحة في المعرفة.

٤- فلا مفر من التعليم ومن يقول ان العالم مثله كمثل الجاهل والفردوسي فضلاً عن تمكنه من اللغة الفارسية الإسلامية وكان على دراية باللغتين البهلوية والعربية مما مكنه من الإطلاع على العديد من المصنفات بتلك اللغات .

٥- فهو يقول في الشاهنامه في تفسير لقب الضحاك (بيوراسب) ان بيور في الحساب الفارسي معناه عشرة الاف باللغة الدريه (الفارسية) ويقول عن دجلة انها تسمى بالبهلوية (أروند) فإن كنت لا تعرف البهلوية فسمها دجلة بالعربية وكذلك يذكر في المقدمة ان صاحبه الذي شجعه على نظم الشاهنامه قال له انك فصيح اللسان وشاب وتتكلم البهلوية وهكذا كان الفردوسي واسع الافق غزير الثقافة فقد أطلع على تاريخ أمته وغيرها من الأمم.

استخلص من خلال ذلك مواعظ كثيرة جعلته يؤمن بأن الحياة مليئة بالحكمة والموعظة والدنيا مليئة بالحكمة والعبرة، فلماذا يكون نصيبنا دائماً الغفلة لذلك لا تخلو صفحة من صفحات الشاهنامة من كلمة او موعظة كان يسوقها الفردوسي

غالباً كمقدمات في بداية حديثه عن ملك من الملوك أو بطل من الأبطال أو حادثة من الأحداث وكذلك كثيراً مانجده يذيل حديثه بمجموعة من الأشعار يركز فيها على الدرس المستفاد . مما سبق عرضه من موضوعات وأحداث وفي مطلع الحديث عن قصة رستم وسهراب يقول الفردوسي عن الموت: (ان لحظة الموت كالنار المهولة لا تفرق بين شاب وعجوز). وبما ان المسألة هكذا فإنه لا ينبغي على الشاب أن يأمن لهذه الدنيا ويفيض حياته لاهياً ويظن انه بمأمن من الموت ويمكن للإنسان ان يجد الراحة الكاملة في الإيمان التام والتسليم بقضاء الله وقدره والاستغراق في العبادة فلن ينفع المرء بعد الموت سوى الإسلام، ويقول الفردوسي: أربع صفات ان وجدت في شخص استراح من هم الدنيا ومشاكلها وعاش ينعم بالسرور حتى نهاية حياته وهذه الصفات الأربع هي المعدن أو الجوهر ثم العقل والأصل الطاهر العفيف والمهارة . ويقول الفردوسي: والأصل ان يكون الإنسان من صلب والده واللائق ان يتخذ الابن عن نسل طاهر. ويقول: حين نعقد العزم لخوض طريق الطمع فإن أمر دنياك يصبح طويلاً شاقاً شأنه كشجرة سرو معوجة في غابة يصبح المصباح المضيء مظلماً أمامه. وتمتع بما لديك ولاتبحث عن المزيد أو كن قانعاً فإن الطمع يريق ويخدش الحياء ويجدر البحث عن العلاء حتى ولو كان من بين زفرات الأفاعي. وكل من يتخلى عن طريق الرجولة والمروءة لا تعده آدمياً وادخله في زمرة الشياطين.

ولقد سبق الفردوسي عمر الخيام في كل ما قاله من آراء فلسفية وما طرحه من تساؤلات حول الحياة ومغزى مجيء الإنسان إلى هذا الوجود وما الذي سيكون عليه المصير بعد الموت والدنيا لا تعرف الأمان فهي دائمية التقلب لم تكن شاهنامه الفردوسي أول الآثار والملاحم في تاريخ الادب الفارسي، فقد كان للفرس

قبل الفردوسي وقبل ظهور الاسلام قصص وأساطير وملاحم كما ذكر ذلك محمد عبد السلام كفافي في الادب المقارن ومنها:

١-الاوستا (الابستاق)[1].

يعد الاوستا أو الابستاق اول كتاب يظم أطرافاً من اساطير الفرس القدماء يذكر الملوك الفرس محاطين باساطير دينية ويذكر المسعودي ان الاوستا كتب بالذهب في اثني عشر الف مجلداً.

٢-يادكارزري (ايتكارزريران)

يعد اول كتاب بعد الابستاق يظم جانباً من الروايات الايرانية الهزيلة ويعتبر أفضل الاثار الباقية عن البهلوية ويدور الكتاب حول الحروب التي دارت بين الايرانين والتورانيين بسبب اعتناق الايرانيين دين زرادشت وقد دون أواخر القرن الخامس الميلادي.

---

(١) الاوستا هو الكتاب المقدس عند الزردشتيين معربة ابستاق ويظم الاوستاخمسة اجزاء، القاموس الفريد، احمد النجفي، طهران، ج١، ص١٧١.

الخاتمـــة

تعتبر الامة الفارسية من أقدم أمم العالم وأكثرها قوة وفتوحات وهم مــن الشعوب الآرية وقد نزلوا بلاد ايران منذ أقدم الأزمنة وكان لهم الاستعداد الفكري والذهني لأسباب التمدن والقوة والتقدم فأنشأوا الدول ووضعوا الأحكـام وساسـوا الأمم وبرز منهم ملوك وقادة مشهورين مثـل كـورش ودارا الأكبـر وكـسرى ونروشروان وغيرهم ونبغ منهم رجال وأعلام دين وأدب وعلـم دونهـا التـاريخ العربي والاسلامي في الفلسفة والطب والنحـو والأدب والرياضـيات وترجمـوا العلوم المختلفة إلى العربية وكانوا من أقدم من خالط العرب من الأمـم الغربيـة وأقدم من ساد على وادي الرافدين قبل الإسلام وبعده ومن أجل ذلك كانـت بـين الأمتين العربية والفارسية منافسة شديدة وخاصة في أيام الدولة الـساسانية لظلـم ملوكهم للقبائل العربية فيقابلهم فرسان العرب بالغارات على مدن الفرس للانتقـام منهم إلا انهم كانوا يستخدمون العرب في دواوينهم للكتابة والترجمة وكـان أكثـر ملوكهم يتقنون العربية وبعظهم ينظم الشعر العربي ومنهم من قرب العرب وأتخذ منهم ملوكاً وعضداً ونصيراً كملوك الحيرة وغيرهم.

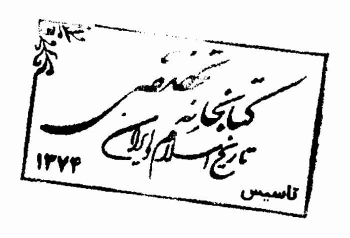
ولم يشتركوا مع العرب في دين ومعتقد واحد كما لم يجبـروا العـرب وغيرهم طيلة حكمهم على عبادة ما يعبدون حيث كان الفـرس يعبـدون الـشمس والقمر والنار وأخيراً دخلوا في دين زرادشت قبل الميلاد وضلوا على المجوسـية حتى جاء الإسلام لبلادهم بعد الفتوحات الإسلامية في زمـن الخلفـاء الراشـدين فاعتنقوه كبقية الأقوام الغير عربية وتركوا معتقداتهم ودياناتهم السابقة مثلما كـان العرب وغيرهم قبل الإسلام يعبدون الحجارة والأوثان ودام حكم الفرس للعرب ما يقارب ١١٤٠ سنة قبل الميلاد وبعده.

حسبما ورد في المصادر التاريخية ومراجع التحقيق وفي سنة ٣٣١ ق.م سقط عرش الامبراطورية الفارسية على يد القائد الشهير بطل مقدونية الاسكندر الأكبر المعروف بذي القرنين في واقعة (اربيلا)، محافظة اربيل حالياً ثم سقوط بابل وكل ما كان ما بين وادي الرافدين (العراق) وبهذا الزحف اليوناني حطم الاسكندر أكبر وأعظم دولة كانت في ذلك العصر ودام حكم الدولة اليونانية (الاسكندر والسلوقيون) في وادي الرافدين العراق حوالي ٢٠٥ سنة قبل الميلاد. وكان للدولة الفارسية ثقلها ومكانتها العلمية والدينية والأدبية وكانت مركز استقطاب العديد من العلماء الذين رحلوا منها أو جاءوا اليها للتدريس أو للدراسة فأفادوا وأستفادوا من الدين الإسلامي ورحم الله ابن خلدون حينما قال في مقدمته (ان الدول لها أعمار طبيعية كأعمار الأشخاص)

والحمد لله رب العالمين..

المؤلف

شاكر مجيد الشطري



المحتويات

المصادر والمراجع

١ مقدمة ابن خلدون — للعلامة عبد الرحمن ابن خلدون

٢ معجم البلدان. — ياقوت الحموي.

٣ خلاصة تاريخ العراق — للأب أنستاس

٤ التمدن الإسلامي — جورجي زيدان

٥ تلخيص التاريخ العثماني — تعريب شاكر أفندي

٦ تاريخ البصرة — للنبهاني

٧ الكامل — لأبن الأثير

٨ تاريخ بابل وآشور — لرئيس أساقفة سردادي شير

٩ التاريخ العام — جميل نخلة

١٠ نزهة المشتاق — يوسف غنيمة

١١ طبقات الأمم — لأبن صاعد

١٢ الأخبار الطوال — للدينوري

١٣ معارك القبائل العربية في الفتوحات الإسلامية — شاكر مجيد الشطري

١٤ تاريخ الدولة اليونانية والفارسية في العراق — علي ظريف الاعظمي

١٥ البويهين في فارس — د.علي حسن غضبان

١٦ معارك العرب الحاسمة — صبحي عبد الحميد

تم بعون الله